تمت الفهرست

الجزؤ الاول من كتاب المستطرف
فى كل فن مستظرف تاليف الامام
الاوحد العالم العلامة اللوذعى
الفهامه الشيخ شهاب الدين
احمد الابشيهى تغمده
الله بالرحمة
والرضوان
امين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المتفرد بالعز والبقا والارادة والتدبير المحي العليم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير احمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير واشكره على ما اعان عليه من قصد وبشر من عسير واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا ظهير له ولا وزير واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الخلق من غني وفقير ومأمور وامير صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة واجر كبير وينجو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير (اما بعد) فقد رايت جماعة من ذوي الهمم جمعوا اشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا مجلدات في التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار والفوائد في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب محصوره فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف وسميته المستطرف في كل فن مستظرف واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم واحاديث صحيحة من احاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الاخيار ونقلت فيه كثيرا مما اودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت ان يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة من منتخبات الكتب النفيسه المفيده واودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية والحكايات الجدية والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ما تشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح بمطالعته كل قلب

مخزون شعر

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعشقه القرطاس والقلم

وجعلته يشتمل على اربعة وثمانين بابا من احسن الفنون منوجة بالفاظ كانها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا في المعنى

فني كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر
فان نظم العقد الذي فيه جوهر * على غير تاليف فما الدر فاخر

وضمنته كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت ان يتيسر لي ما رمته من الوصول وجعلت ابوابه مقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى في بابه ان شا الله تعالى والله المسئول في تيسير المطلوب وان يلهم الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب انه على ما يشا قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرسة الكتاب والله المهون للصعاب (الباب الاول) في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول (الباب الثاني) في العقل والذكاء والحمق والذم وغير ذلك (الباب الثالث) في القرآن العظيم وفضله وحرمته وما اعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس) في الاداب والحكم وما اشبه ذلك (الباب السادس) في الامثال السائرة وفيه فصول (الباب السابع) في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول (الباب الثامن) في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك (الباب التاسع) في ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى والرضى بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما اشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادي عشر) في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب (الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما اشبه ذلك (الباب الثالث عشر) في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة امور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته (الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم واحوالهم وما اشبه ذلك (الباب السابع عشر) في ذكر الحجاب والولاية وما فيهما من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك (الباب العشرون) في الظلم وشومه

وسوء عواقبه وذكر الظلمة واحوالهم وغير ذلك (الباب الحادى والعشرون) في بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج واحكام اهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) فى اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء الحوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) فى محاسن الاخلاق ومساويها (الباب الرابع والعشرون) فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما اشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) فى العجب والكبر والخيلاء وما اشبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) فى الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) فى الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) فى الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم اجمعين (الباب الحادى والثلاثون) فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) فى ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) فى البخل والشح وذكر البخلاء واخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) فى الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف واخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما اشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) فى الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) فى كتمان السر وتحصينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى والاربعون) فى ذكر اسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم واخبارهم وذكر الجبناء واخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) فى الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) فى الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول (الباب

* (الباب الاول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول) *

الفصل الاول) فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو ان نعلم ان الله تعالى واحد
لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ندله ازلى قائم ابدى دائم لا اول لوجوده
ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والآخر والظاهر
والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ وهو فوق كل شئ فوقية لا تزيده بعدا
عن عباده وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم
اينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن
ان يحده زمان مقدس عن ان يحيط به مكان تراه ابصار الابرار فى دار القرار
على ما دلت عليه الايات والاخبار حى قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور
ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق
واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته
عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات يعلم السر
والخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر
للحادثات لا يجرى فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير او شر نفع او ضر
الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ
المعيد الفعال لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن
معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع

الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة او يسكنوها دون
ارادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لا يشبه كلام خلقه وكل ما سواه سبحانه
وتعالى فهو حادث اوجده بقدرته وما من حركة وسكون الا وله فى ذلك حكمة
دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض الاية وقال ابو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد
ولله فى كل تحريكة * وتسكينة فى الورى شاهد

وقال غيره

كل ما ترتقى اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذى ابدع البرية اعلى * منه سبحان مبدع الاشيا

وقال على رضى الله عنه فى بعض وصاياه لولده اعلم يا بنى انه لو كان لربك شريك
لاتتك رسله ولرايت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله
واحد لا يضاده فى ملكه احد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور فى الاذهان
فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد بن ربيعة

الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن انثى لو تطاول عمره * الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حصلت عند الاله الحصائل

وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر اشعر كلمة قالتها العرب
الا كل شئ ما خلا الله باطل ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بان محمدا
رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته
الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع فى المحشر وجب على الخلق تصديقه
فيما اخبر عنه من امور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر به
بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان
العبد فى قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
ويؤمن بعذاب القبر وانه حق وان الميزان حق والصراط حق والحساب حق
وان الجنة حق والنار حق وان الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب
وهم المقربون وانه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى
فى جهنم من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة
العلماء ثم بشفاعة الشهداء وان يعتقد فضل الصحابة رضى الله عنهم ويحسن
الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع

ذلك مؤمنا به موقنا فهو من اهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال
والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من اهلها ووفقنا
للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة
قد اشتملت على احد اركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا (الفصل
الثاني) في الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
وقوموا لله قانتين وقال تعالى واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى
ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا في اشتقاق اسم الصلاة
مم هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة في كلام العرب فسميت
الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار
ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اي ارحمهم
وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار اذا قومته
والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربه وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه
وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله تعالى صلاة
قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله
على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن
ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم
نورا من نوره وقال بعضهم لا تفوت احدا صلاة في جماعة الا بذنب وكانت
رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة الف ركعة وتقول والله ما اريد بها
ثوابا ولكني ليسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة
والسلام انظروا الى امرأة من امتي هذا عملها في اليوم والليلة وقال بعضهم صليت
خلف ذي النون المصري فلما اراد ان يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقي
كأنه جسد لا روح فيه اعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله اكبر فظننت ان قلبي
انخلع من هيبة تكبيره وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود
كذب من ادعى محبتي واذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب الخلوة

بحبيبه

بحبيبه ولعبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل اظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا * واهل الامن فى الدنيا هجوع

وكان سيدى الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريرى رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات

يا ايها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدى اويس القرنى لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وقال هشام ابن عروة كان ابى يطيل المكتوبة ويقول هى راس المال وقال ابو الطفيل سمعت ابا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا ايها الناس قوموا الى نيرانكم فأطفئوها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى امه وعلى اخته الليل اثلاثا فماتت اخته فجزاه عليه وعلى امه فماتت امه فقام الليل كله وكان مسلم بن يسار اذا اراد ان يصلى فى بيته يقول لاهله تحدثوا فلست اسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت اهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو فى الصلاة فما شعر به حتى اطفئ وكان الحمام يقع على راس ابن الزبير فى المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه فى الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كانها على الحائط وختم القرآن فى ركعة واحدة اربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وابو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعى شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقال يا ابن اخى لك ولاصحابك لا للجمالين وكان خلف بن ايوب لا يطرد الذباب عن وجهه فى الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى ان الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وانا بين يدى ربى افلا اصبر على ذباب يقع على وقال ابو صفوان بن عوانة ما من منظر احسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فى القمر كانه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان فى هذه الامة اعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع فى مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه خفقان وغليان هذا خوف الحبيب والخليل مع ما اعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من ازعجته الاثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله ان يجعلنى رفيقك فى الجنة

فقال اعني على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتني صلاة الجماعة مرة فعزاني ابو اسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم اهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله عنهم يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وانشد بعضهم

خسر الذى ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك انه * اضحى بربك كافرا مرتابا
او كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للامام عذابه * بجميع تاديب يراه صوابا

اللهم اعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل ذكر شئ من فضل السواك والاذان اما السواك فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال ايضا صلاة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس ما في السواك لبات مع الرجل في لحافه وقال ايضا افواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها والاختيار في السواك ان يكون بعود الاراك ويجزي بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الايمن من فيه وينوي به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لي فيه يا ارحم الراحمين ويستاك في ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على اطراف اسنانه واضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك انه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح * واما الاذان فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه قيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت في المؤذنين وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم قال اذا نودي للصلاة ادبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين رواه البخاري ومسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه البخاري والاحاديث في فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى اعلم

(الفصل الثالث في الزكاة وفضلها) قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة في مواضع شتى من كتابه قال الله تعالى واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الزكاة مالا قط الا اهلكته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يزكي ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعني قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت * ولنلحق بهذا الفصل ذكر شئ من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما اعد الله تعالى للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات والايات الكريمة في ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفي صحيح مسلم وموطأ مالك وجامع الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة او قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى وردت امرأة ثكلاء على عائشة رضي الله عنها فقالت كان ابي يحب الصدقة وامي تبغضها لم تصدق في عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن امي قد غطت عورتها بالخلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى ابي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت امي فنوديت من فوقي الا من سقاها شل الله يدها فانتبهت كاترين ووقف سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يا رب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير اذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل * وعشش ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت افراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له اخذ افراخ ذلك الورشان يفعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان اخذوا افراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يا رسول الله اردت ان يكون لي اولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم اعاد الورشان الشكوى فقال سليمان للشيطانين

اذا رابيناه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما اراد الرجل ان يصعد الشجرة اعترضه سايل فاطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد واخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين الم تفعلا ما امرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين وقال النخعي كانوا يرون ان الرجل الظلوم اذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويمثل قائما بين يديه ويساله قبولها حتى يكون هو في صورة السايل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل راس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ردوا مذمة السايل ولو بظلف محرق وعنه ايضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سايلا خائبا لم تغش الملايكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم انه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فراى سايلا فاعطاه اياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان سوء الخلق شوم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى ابن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سايل فان كان عنده ذهب او فضة او طعام اعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء اعطاه دهنا او غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء اعطاه كحلا او اخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السايل ووجه رجل ابنه في تجارة فمضت اشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وارخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما رابحا فسأله ابوه هل اصابك في سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت في جملة الناس واذا بشابين اخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت باكثر من ذلك وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه اذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله اياه ولله در القائل حيث قال

يبكي على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذي يذهب

(وحكي) ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ وقفت به امراة جميلة
فسالته ان يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها واقبل على عبادته فولت المراة فنظر اليها فاعجبته
فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال الى اين فقالت الى حيث اريد فقال هيهات
صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة ايام فعند ذلك
تفكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة ايام فبكى حتى غشي
عليه فلما افاق قالت له يا هذا والله انت ما عصيت الله مع غيري وانا ما عصيت الله مع غيرك
واني ارى في وجهك اثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرني قال فخرج هائما
على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم
في كل ليلة بعشرة ارغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصي يده فاخذ
رغيفا فبقي منهم رجل لم ياخذ شيا فقال ابن رغيفي فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال
ابيت طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه انا احق ان ابيت
طاويا لانني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى اشرف على الهلاك فامر الله تعالى
ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب فقالت ملايكة
الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طايعا وقالت ملايكة العذاب بل هو رجل عاص فاوحى الله
تعالى اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على
عبادة السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على
نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملايكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكي) ان رجلا
جلس يوما ياكل هو وزوجته وبين ايديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه
وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت
بعده برجل آخر فجلس ياكل معها في بعض الايام وبين ايديهما دجاجة مشوية واذا بسائل
يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو
زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسالها زوجها عن بكائها فاخبرته
ان السايل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السايل الذي انتهره زوجها الاول فقال
لها زوجها انا والله ذلك السائل وذكر عن مكحول ان رجلا اتى الى ابي هريرة رضي الله عنه
فقال ادع الله لابني فقد وقع في نفسي الخوف من هلاكه فقال له الا ادلك على ما هو انفع
من دعائي وانجع واسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوي بها نجاة ولدك
وسلامته مما معه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سايل بدرهم وقال هذا خلاص ولدي وسلامته
وما معه فنادى في تلك الساعة مناد في البحر الا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم ساله ابوه
عن حاله فقال يا ابت لقد رايت في البحر عجبا يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا وهو اليوم الذي
تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا اشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهوا
الا ان الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة

كانت بالقرب منا وسلمنا ومررنا بحجر لجمعين والآثار والحكايات في ذلك كثيرة وفيما اشرت اليه كفاية لمن وعى وان ليس للانسان الا ما سعى والله اعلم

(الفصل الرابع في الصوم وفضله وما اعده الله للصائم من الاجر والثواب) قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية انها ايام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من افطر يوما في رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى في صحيح النسائي عنه ايضا صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهري ان تسبيحة واحدة في شهر رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له في شهر رمضان فلن يغفر له في غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في شهر رمضان من الخير لتمنت امتي ان يكون رمضان السنة كلها ولو اذن الله للسموات والارض ان تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة الفا وخمسماية حسنة وبنى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون الف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة شجرة يسير الراكب في ظلها ماية عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا اراد ان تقبل فليقل في كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لي وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله في يوم شديد الحر من ايام الدنيا كان حقا على الله ان يرويه يوم القيمة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروي في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال صيام ثلاثة ايام من كل شهر كصيام الدهر وهي الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفي صحيح البخاري عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم عزيز لانه خصه الله تعالى

بالاضافة

بالاضافة اليه كما ثبت فى الصحيح من الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مخبرا عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا اجزى به وقد يكتفى فى فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الخامس فى الحج وفضله) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى الله له اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفى الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له وهو افضل يوم فى الدنيا وفى الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء فى الحديث الصحيح ان آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة لقيتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضى الله عنهم ان يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه كل سنة ستمائة الف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق باستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) ان جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة ابى محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت اهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكن على الجمال واعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر واعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية واغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه السلام البيت قال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجر عملى قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدنى قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يا رب زدنى قال اغفر لكل من استغفرنى من الطائفين به من اهل التوحيد من اولادك قال يا رب حسبى * وفى الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال ان ترجع زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة * واول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله احبه واخشاه ورؤى الحسن بن على رضى الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكى ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك

مسكينك يا بك برد ذلك مرارا ثم انصرف رضي الله عنه فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلي فتوجهوا معه فاطعمهم وكساهم وامر لهم بدراهم * وحج عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وامر لهم بثلاثين الفا وقال اعتقتهم لله تعالى لعله يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لاستحيي من ربي ان القاه ولم امش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما انشد عمرو بن حيان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيأ

كأن الحجيج الآن لم يقربوا مني * ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
اتونا فما جادوا بعود اراكة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال غيره

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم ان وزره * يحط ولكن فوقه في جهنم

وقال آخر

حج في الدهر حجة * حج فيها واحرما
وانا نام من اتحها * زكما راح محرما
فهو ذو الحجة الذي * ما نوى قط محرما

وتخاصم بدوي مع حاج عند منصرف الناس فقيل له اتخاصم رجلا من الحجاج فقال

يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال ابو الشمقمق

اذا حججت بمال اصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى اعلم

(الباب الثاني في العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك)

نص الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال ووضحها وبين بدايع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال عز من قايل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك احاسب وبك اعاقب وقال اهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضي خلقه الله عز وجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات

بالمشاهدة

بالمشاهدة * واعلم ان العقل ينقسم الى قسمين قسم لايقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلها فاما الاول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلا واما الثانى فهو العقل التجربى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ اكمل عقلا واتم دراية وان صاحب التجارب اكثر فهما وارجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته واخلقت التجارب لباس جدته واراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف اقداره وامضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بالطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما اخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وادركته عناية ازلية اشرقت على باطنه انوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه واسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبى حيث رد حكم ابيه داود عليه السلام فى امر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام احدهما صاحب غنم والاخر صاحب حرث فقال احدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثى فاهلكته واكلته ولم تبق لى فيه شيا فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله ائمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود عليه السلام وقال له ما هو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده فى قول اكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها ونسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفى هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية والطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيا من انوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام * فاقول يستدل على عقل الرجل بامور متعددة

متوسليه الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذايل الاعمال ورغبته فى اسداء صنايع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من اكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى ان حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق مقتضاه ان من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع اهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابى فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بايدى العقول تمسك اعنة النفوس وكل شئ اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شئ غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول ابى حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى انه فى القلب كما روى عن الشافعى رحمه الله واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت اراء المشايخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم باراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد افادتهم الايام حيلة وتجربة قال الشاعر

الم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال اخر

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * افادت له الايام فى كرها عقلا

وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل ويقال لا شرف الا شرف العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان

قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل اجل لعقله * وافضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل

شطره ادنى منزلة كالحشيش يحركه ادنى ريح وقيل لعلي رضي الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشيء مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع الشيء مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال ازدشير اربعة تحتاج الى اربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى انوشروان اربعة تؤدي الى اربعة العقل الى الرياسة والرأي الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حتفه من اغلب الخصال عليه وقيل افضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من اعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال اهل مصر اعقل الناس صغارا وارحمهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغي للعاقل ان يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية امان من العقل وسئل بعضهم ايما احمد في الصبا الحيا ام الخوف قال الحيا لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بابي وامي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى واد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنفل الى صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا (وحكي) بعض اهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها اومن اعاديها
والنفس تعلم اني لا اصدقها * ولست ارشد الاحين اعصيها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ورأيه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكتفي في الدلالة على عقل الرجل الاغتر بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته فكم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت ان اختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه

وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدنع ذلك عنه غزارة دخله وخرجه وقد يكون الرجل
موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتنبه عليه
بقلة عقله ولفضله وقيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من اكابر العقلا وكان عقله
يهديه الى سلوك طرق لايكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقايع التى صدرت منه
وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان فى زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة
فاتفق ان رجلا اراد ان يحج فاودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج
فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فانكره وجحده فجاء الى القاضي اياس
وقص عليه القصة فقال له القاضي هل اخبرت بذلك احدا غيرى قال لا قال فهل علم الرجل
انك اتيت الى قال لا قال انصرف واكتم امرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي
دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندى اموال كثيرة ورايت ان اودعها عندك
فاذهب وهيئ لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل
فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معي
الى القاضي اياس احاكم اما وانت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي
واعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعا فى تسليم المال فسبه القاضي
وطرده وكانت هذه الواقعة مما يدل على عقله وصحة فكره ولما مات بعض الخلفاء اختلفت
الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم
والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة
الدهر وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة والراي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض
الراي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا ارى ذلك صوابا فسالوه عن علة ذلك فقال
فى غد اخبركم ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا اتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا فى هذا اليوم
بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وامر باحضار كلبين عظيمين كان قد اعدهما ثم حرش
بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية
فتح باب بيت عنده وارسل على الكلبين ذئبا كان قد اعده لذلك فلما ابصراه تركا ما كانا
عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فاقبل الرجل على اهل الجمع فقال
مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر
لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألبوا على العدو فاستحسنوا قوله
واستصوبوا رايه فهذه صفة العقلاء * واما ذم الحمق فقد قال ابن الاعرابي الحماقة
ماخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكانه كاسد العقل والراى فلا يشاور ولا يلتفت
اليه فى امر من الامور * والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة اعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق ابغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه

اعز

اعز الاشيا عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن افرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو احمق واما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال افحش وان سئل بخل وان سال الح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعياني والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكما الى احمق على حجر فقال الحجر على حجر (وحكى) ان احمقين اصطحبا في طريق فقال احدهما للاخر تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال احدهما انا اتمنى قطايع غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الاخر انا اتمنى قطايع ذئاب ارسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ. قال ويحك اهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان اول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رجل يتعبد في صومعة فامطرت السما واعشبت الارض فراى حماره يرعى في ذلك العشب فقال يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم ان يدعو عليه فاوحى الله اليه لا تدع عليه فاني اجازي العباد على قدر عقولهم ويقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله عليه * وخطب سهل هند ابنة عتبة فحمقته فقال

وماهو بي ياهند الاسجية * اجرلها ذيلي بحسن الخلايق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولاطمت في البطحاء من كل طارق

ويقال للأبله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحمق المؤذي هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(الباب الثالث في القرآن وفضله وحرمته وما اعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم)

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد انزله الله تعالى على سيد الانام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام فكان من اعظم معجزاته اعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فاتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت

الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لا شئ اسطع من اعلامه ولا اصدع من احكامه ولا افصح من بلاغته ولا اربح من فصاحته ولا اكثر من افادته ولا الذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم اصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبي الذى يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب بن صعصعة على علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من انت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال اذهبتها النوايب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له يا ابا الاخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه ان لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه في سنة وفي ذلك قال

وما صب رجلي في حديد مجاشع * مع القيد الا حاجة لي اريدها

وقال انس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا اصبحت واذا امسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر (وحكى) الزمخشري في كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع فاذن في اذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني اقتله فانه يقول القرآن مخلوق وكان سفيان الثوري رحمه الله اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة واقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن انس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة اهل العلم ويقبل على القراءة في المصحف وكان ابو حنيفة والشعبي رحمهما الله تعالى يختمان في رمضان ستين ختمة وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا * وقال الشعبي اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم راى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت * وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا صالح هذه القراة فاين البكاء وكان
عثمان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة
الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بمريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثا بالعنكبوت
الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وعن على رضى الله عنه لاخير
فى عبادة لا فقه فيها ولاخير فى قرأة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه
ولعن اباه اذا نشر المصحف اغمى عليه ويقول هو كلام ربى وابطأت عايشة رضى الله عنها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ما حبسك قالت قرأة رجل ما سمعت احسن
صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى ابى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى
امتى مثله وقال ابن عيينة رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله
قد اختلف على القرآات فعلى قرأة من تامرنى فقال على قراءة ابى عمرو وعن ابى عمرو انا لم
ازل اطلب ان اقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما انزل عليه فقدمت مكة
فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضى الله عنهم اجمعين فقرات عليهم فاشدد
بما يدلك فينبغى للانسان ان يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا وقال الشيخ
محيى الدين النووى رحمه الله فى كتابه الاذكار وقد كان للسلف رضى الله عنهم عادات مختلفة
فى القدر الذى يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون فى كل شهر ختمة وآخرون فى كل
عشر ليال ختمة وآخرون فى كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون فى كل يوم وليلة ختمة
وختم جماعة فى كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم فى اليوم والليلة ثمان ختمات اربعا
فى الليل واربعا فى النهار وروى ان مجاهدا رحمه الله كان يختم القران فى شهر رمضان فيما
بين المغرب والعشاء واما الذين ختموا القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان
ابن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنهم وروينا فى مسند الامام المجمع
على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابى محمد الدارمى رحمه الله عن سعد بن ابى وقاص
رضى الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن اول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق
اول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى قال الدارمى هذا حديث حسن عن سعد وافضل
القراة ما كان فى الصلاة واما فى غير الصلاة فافضلها قراة الليل والنصف الاخير منه افضل
من الاول والقراة بين المغرب والعشاء محبوبة واما قراءة النهار فافضلها بعد صلاة
الصبح ولا كراهة فى وقت من الاوقات ولا فى اوقات النهى عن الصلاة ويستحب الاجتماع
عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعاء يستجابُ عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل
عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تاكيدا شديدا ويجب على القارى
الاخلاص فى قراءته وان يريد بها وجه الله تعالى وان لا يقصد بها توصلا الى شئ سوى
ذلك وان يتادب مع القرآن ويستحضر فى ذهنه انه يناجى ربه سبحانه وتعالى ويتلوا
كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغى القارئ اذا

القراءة ان ينطق فيه بالسواك وان يكون شانه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو
المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وبتيسر المرغوب ودلايله اكثر من ان تحصر
واشهر من ان تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة
يتدبرها ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين
وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا
وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص
رضي الله عنه دواء القلب خمسة اشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل
والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة
وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان اراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو افضل في
حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر افضل بشرط ان لا يؤذي غيره من مصل او نائم
وغيرهما والاحاديث في فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن اراد
الزيادة فلينظر في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيي الدين
النووي قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء في فضل القرآن احاديث كثيرة وروي
في فضل قراءة سور من القرآن في اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة
والدخان فعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ
يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفي رواية له من قرأ سورة الدخان في
ليلة اصبح مغفورا له وفي رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضي الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب
وتبارك الملك وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال من قرأ في ليلة اذا زلزلت الارض
كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن
ومن قرأ قل هو الله احد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد اشرنا
الى المقاصد منها والله تعالى اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الرابع في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم) *

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة
وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس
في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء
والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل
الاخيار في الدرجات العلى ومجالسة الملوك في الدنيا ومرافقة الابرار في الآخرة والتفكر

في العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد قيل العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل احدهما على الآخر ولغدوة في طلب العلم احب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج احد في طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال علي كرم الله وجهه اقل الناس قيمة اقلهم علما وقال ايضا رضي الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون في سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام في مناجاته الهي من احب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضي الله عنهم العلوم اربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره وسئل الشعبي عن مسئلة فقال لا علم لي بها فقيل له الا تستحيي فقال ولم استحيي مما لم تستحي الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وقال علي كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها احق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وانشدوا

يا ايها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا * كيما يصح به وانت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * ابدا وانت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

اني رايت الناس في عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لاصحابه * وعدة للغش والظلم

نظر رجل الى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها انت طالق ان صعدت وانت طالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك ابي وامي ان مات الامام مالك احتاج اليك اهل المدينة في احكامهم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم هلاك امتي في شيئين ترك العلم وجمع المال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه في دينه وكررها عليه فقال يا رسول الله اسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال ان العلم

ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد فى الملكوت الاعظم عظيما وقال الخليل عليه السلام العلوم اقفال والاسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رايت اقواما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم وقال يزيد بن ميسرة من اراد بعلمه وجه الله تعالى اقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن اراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم باجود الاجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله اجود الاجواد وانا اجود ولد آدم واجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة امة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى قتل وقال الثورى كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم واعزوا هذا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم اذلوا انفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم بها مصيبة والله اعلم وللقاضى العلامة ابى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى وقد احسن كل الاحسان كانما طرزت فى خلع حسان شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا واجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان اسلما
فان قلت زند العلم كاب فانما * كبا حين لم نحرس حماه واظلما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم فى صغره لم يتقدم فى كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا راى طالبى العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب رياحين كل قبيلة وقال على رضى الله عنه كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة ان يتبراه منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله احدا علما الا اخذ عليه الميثاق ان لا يكتمه احدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثماراً كثدى النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضى الله عنه من تعلم باباً من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله لعطاه الله اجر سبعين نبياً وعن انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتى من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا اربح الله تجارتهم شعر

العلم النفس شئ انت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
اقبل على العلم واستقبل مقاصده * فاول العلم اقبال وآخره

وقال الشعبى دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسالنى عن اسمى فاخبرته ثم قال يا شعبى كيف علمك بكتاب الله قلت عنى يؤخذ قال كيف علمك بالفرايض قلت الى فيها المنتهى قال كيف علمك بانساب الناس قلت انا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت انا ديوانه قال لله ابوك وفرض لى اموالاً وسودنى على قومى فدخلت عليه وانا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وانا سيدهم قال البستى

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلاً واخلاقه حسناً
فبشره ان الله اولاه فتنة * تغشيه حرماناً وتوسعه حزناً

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن انس رضى الله عنه سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال فى ثنتين وثلاثين منها لا ادرى وقال الاوزاعى شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال على رضى الله عنه من افتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض * ولصالح اللخمى شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند اهل التعلم
تعلم فان العلم زين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلى على المهدى فى القراء فاخذ عشرة الاف درهم ثم دخل فى الرماة فاخذ عشرة الاف درهم ثم دخل فى المغنيين فاخذ كذلك ثم دخل فى القصاص فاخذ كذلك فقال المهدى لم ار كاليوم اجمع لما يجمع الله فى احد منك ومن جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه فى بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون فى شئ الا صدروا عن رأيه وشكى رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصى فانشا يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فارشدنى الى ترك المعاصى
وذلك ان حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الاثار عن بعضهم انه قال اذا اردت ان تكون احفظ الناس فقل عند رفع الكتاب او المصحف او ابتداء القراءة فى كل شئ اردت بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب

ويكتب ابد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قبل
واذا اردت ان لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك
يا ذا الجلال والاكرام واذا اردت ان ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت
بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سيدي الشيخ الصالح
شهاب الدين احمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى في الحفظ يقرأ في كل يوم عشر مرات
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكنا فاعلين يا حي يا قيوم يا رب
موسى وهارون ويا رب ابراهيم ويا رب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ارزقني اللهم
وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا ارحم الراحمين وعن ابي يوسف قال مات لي ولد
فامرت من يتولى دفنه ولم ادع مجلس ابي حنيفة خوفا ان يفوتني منه يوم وقال محمد بن
اسحاق بن خزيمة ما رايت تحت اديم السماء اعلم بالحديث ولا احفظ له من محمد بن اسماعيل
البخاري حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث وقال البخاري
رحمه الله تعالى احفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح وقال ما وضعت
في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال اخرجته من ستمائة الف
حديث وصنفته في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى وقال مجاهد
اتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله
تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعي لما قدم مصر بعد موته والله لانت اعلم من
مالك وانما اصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه
ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا يعجب انت فان ذلك استحقاق بالسائل
والمسئول وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر شعر

لا تدخرن غير العلو * م فانها نعم الذخاير
فالمرء لو ربح البقا * مع الجهالة كان خاسر

وللشافعي رضي الله تعالى عنه شعر

اخي لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الزهري العلماء اربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن
البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه
يستضي به اهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة قال اما في الدنيا
فصانع المعروف الى من لا يشكره واما في الآخرة فعالم مفرط شعر

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط

على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا نبي الله ان هذا العصفور يقول يا موسى انت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه انت وانا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه انت ولا الخضر وما علمي وعلمك وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى اربعين الف عالم الانس والجن عالمان والبواقي لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يا رب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت آمر دابة من دوابي ان تبتلعهما قال موسى يا رب واين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال موسى يا رب واين ذلك المرج قال في علم من علمي لا يعلمه الا انا وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فكرة فقال فيم تفكرون نتفكر وا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله خلق من جانب الغرب ارضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في اربعين يوما فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يا رسول الله ابن ابليس منهم قال ما علموا بابليس خلق ام لا قال امن بني آدم قال ما علموا بآدم خلق ام لا فهذه كلها مما اعدها الله في علم غيبه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون وقال قتادة لو كان احد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام اذ قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقال الحكماء افضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ما خزنته الدفاتر وانما العلم ما خزنته الصدور وقيل العلم يؤدي الى النصر وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل غي وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل اربعة يسودون العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل اهل العراق اطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ولابراهيم بن خلف المهراني

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم اجلها * فاجلها منها مقيم الالسن

وقال علي بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله * فيسقط من عيني ساعة يلحن

ودخل اعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم ابو موسى بعض قواده فلحن فقال لو لا تنظر في العربية فقال بلغني ان من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لان يقل كلامك بالصواب خير لك من ان يكثر كلامك بالخطاء وكان يقال الجاهلية الجاهل مرض للعاقل وقال ابو الاسود الدؤلي اذا اردت ان تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولا تدري بانك جاهل * ومن لي بان تدري بانك لا تدري

وقال رجل للحسن انا افصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ علي كلمة واحدة قال هذه واحدة ابو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه ابا الحكم فقال حسان رضي الله عنه

الناس كنوه ابا حكم * والله كناه ابا جهل

واما ما جاء في الادب فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال علي كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروءة صاحب في المجلس انيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيى به الالباب الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا ادب كشجاع بلا سلاح (وحكي) ان رجلا تكلم بين يدي المامون فاحسن فقال ابن من انت قال ابن الادب يا امير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك محموده عن النسب

ان الفتى من يقول ها انا ذا * ليس الفتى من يقول كان ابي

وقال بعض الحكماء من كثر ادبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة في الورى * وزينة المرء تمام الادب

قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا

مالي عقلي وهمتي حسبي * ما انا مولى وما انا عربي

اذا انتمى منتم الى احد * فانني منتم الى ادبي

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفضيلة وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من ادبك قال رايت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن ادب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الادب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له ادب ومن لا ادب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق ودخل ابو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فاقعده معه على السرير واقعد رجالا من قريش تحته فراى سوء نظرهم اليه وحموضة وجوههم فقال ما لكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس

هكذا

هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة
وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان اديبا كان نقص ابيه زايدا فى منزلته وابن الشريف
اذا كان غير اديب كان شرف ابيه زايدا فى سقوطه وقيل احسن الادب ان لا يفتخر
المرء بادبه وسمع معاوية رجلا يقول انا غريب فقال كلا الغريب من لا ادب له ويقال
اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من اعظم الاداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم اضاعوا مجد اولهم * ما فى المكارم والتقوى لهم ارب
سوء التأدب اردا هم وارذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

وقيل اربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة
لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود
ولا يتم البطش الا بالجرأة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى اعلم

* (الباب الخامس فى الاداب والحكم وما اشبه ذلك) *

قال الحكماء اذا اراد الله بعبد خيرا الهمه الطاعة والزمه القناعه وفقهه فى الدين
وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا اراد به شرا حبب اليه المال
وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة
بالله ازكى امل والتوكل عليه اوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ
من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك
وسلامة امسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من اطاع هواه باع دينه بدنياه
ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه احد ومن قنع بعطائه لم يدخله
حسد افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من اخرج الحرص من قلبه وعصى
هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس نعمته وخازن
لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع
من جهل المرء ان يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى اكرام دنياه ايام الدهر ثلاثة
يوم مضى لا يعود اليك ويوم انت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله ولا
تعرف من اهله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت
من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسئ بحسن افعالك ودل على الجميل بجميل خلالك
اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا تجد
العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا احسن النية من العبادة حسن
المجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من ائتمن الزمان خانه اظهر
الناس محبة احسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه حتى يكون فيه اربع خصال يقطع رجاءه
مما فى ايدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله
اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروءة قيل لافلاطون ما الشئ

الذی لا یحسن ان ینال وان کان نحقا قال مدح الانسان نفسه اربعة تودی الی اربعة
الصمت الی السلامة والبر الی الکرامة والجود الی السیادة والشکر الی الزیادة من ساء تدبیره
اهلکه جده العزة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبح المن آفة الذنب
حسن الظن الحزم اسد الاراء والغفلة اضر الاعداء من قعد عن حیلته اقامته الشدائد
ومن نام عن عدوه ایقظته المکاید من قرب السفلة واطرح ذوی الاحساب والمروات
استحق الخذلان من عفا تفضل من کظم غیظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر
من ملك نفسه عند اربع حرمها الله علی النار حین یغضب وحین یرغب وحین یرهب وحین
یشتهی من طلب الدنیا بعمل الاخرة فقد خسرها ومن طلب الاخرة بعمل الدنیا فقد
ربحهما کلام المرء بیان فضله وترجمان عقله فاقصره علی الجمیل واقتصر منه علی
القلیل کل امرئ یعرف بقوله ویوصف بفعله فقل سدیدا وافعل حمیدا من عرف شانه
وحفظ لسانه واعرض عما لا یعنیه وکف عن عرض اخیه دامت سلامته وقلت ندامته
کن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من اکثر مقاله سئم ومن اکثر سؤاله
حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترا علی سلطانه قتل ما عز من اذل جیرانه
ولا سعد من حرم اخوانه خیر النوال ما وصل قبل السؤال اولی الناس بالنوال ازهدهم
فی السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبیح الشتم منه فغظه بحسن
الحلم عنه من یبخل بماله علی نفسه جاد به علی زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره
واذا اصطنع الیك فانشره من جاور الکرام امن من الاعدام من طاب اصله زکا فرعه
من انکر الصنیعة استوجب القطیعة من من بمعروفه سقط شکره من اعجب بعمله حبط
اجره من رضی من نفسه بالاساءة شهد علی اصله بالرداءة من رجع فی هبته بالغ فی خسته
من رقی فی درجات الهمم عظم فی عیون الامم من کبرت همته کثرت قیمته من ساء خلقه
ضاق رزقه من صدق فی مقاله زاد فی جماله من هان علیه المال توجهت الیه الامال
من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خیر المال ما اخذ من الحلال وصرف فی النوال
وشر المال ما اخذ من الحرام وصرف فی الاثام افضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام
المروة ان تنسی الحق لك وتذکر الحق علیك وتستکبر الاساءة منك وتستصغرها
من غیرك من احسن المکارم عفو المقتدر وجود المفتقر الرجل یحببه الی اصدقائه ویبخله
یبغضه الی اودائه لا تسیء الی من احسن الیك ولا تمن علی من انعم علیك من کثر خطله
واعتداؤه قرب هلاکه وفناؤه من طال تعدیه کثرت اعادیه شر الناس من ینصر
الظلوم ویخذل المظلوم من حفر حفیرا لاخیه کان حتفه فیه من سل سیف العدوان
اغمد فی راسه من لم یرحم العبرة سلب النعمة ومن لم یقل العثرة سلب القدرة لا تحتج
من یذهلك خوفه ویملکك سیفه صمت تسلم به خیر من نطق تندم علیه من قال
ما لا ینبغی سمع ما لا یشتهی جرح الکلام اصعب من جرح الحسام من سکت عن جاهل فقد

اوسعه جوابا واوجعه عتابا من امات شهوته احيى مروته من كثرت عوارفه كثرت معارفه
من لم تقبل توبته عظمت خطيئته اياك والبغى فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس
فى الخير اربعة اقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا
ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن
تركه حرمانا فهو شقى ومن تركه استحسانا فهو دنى من سالم سلم ومن قدم الخير غنم
من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله خاب امله المجول محظى وان ملك والمتانى مصيب
وان هلك من امارات الخذلان معادات الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق
الرفق مفتاح الرزق من نظر فى العواقب سلم من النوائب ومن اسرع فى الجواب اخطأ فى الصواب
من ركب العجل ادركه الزلل من ضعفت اراؤه قويت اعداؤه من قلت فضائله ضعفت
وسائله من فعل ماشاء لقى ماساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده
القليل مع التدبير ابقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل اصح من يقين الجاهل قليل
تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك اذا استشرت الجاهل
اختار لك الباطل من اعجبته اراؤه غلبته اعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن
الرياسة لا تشك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يعمل
لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من افشى سره افسد امره
الحازم من حفظ ما فى يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه
لا تفتح بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء التدبير سبب التدمير اغمد سيفك
ما ناب عنك لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحبه
لان كل شئ يفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت
طلب ومنية تحت امنية لا يخلو المؤمن ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من
الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه اشتد حتفه
من لم تسر حياته لم تعم وفاته من اعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية
لا بالرمم البالية اذا املق الاراذل هلك الافاضل من ساءت اخلاقه طاب فراقه
من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفا خير من قرب يوجب الجفا اللسان
سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده من اطلع على جاره انهتكت
حجب استاره اجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه اظهر الناس نفاقا من امر بالطاعة
ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن
صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بنزاهة الدواب من زادت
شهوته نقصت مروته من عرف بشئ نسب اليه ومن اعتاد شيئا حرص عليه عند
الجدال يظهر فضل الرجال من اخر الاكل لذ طعامه ومن اخر النوم طاب منامه
موت فى دولة وعز خير من حياة فى ذلة وعجز مقاساة الفقر هى الموت الاحمر ومسئلة

الناس هي العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر
ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح
يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوي الالباب عمارة
القلوب شر ما صحب المرء الحسد ربما اصاب الاعمى رشده واخطأ البصير قصده
الياس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا في غير عجب ولا ماشيا في غير ارب من سعى
بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد
برأيه اشرف الغنى ترك المنى من ضاق خلقه مله اهله الحسد للصديق من سقم المودة
كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقلت الذي انت فيه استر سوءة لخيلك لما يعلم
فيك خمول الذكر اسنى من الذكر الذميم العجلة اخت الندامة من كرم اصله لان قلبه
ومن قل لبه زاد عجبه ربما ادرك بالظن الصواب ليس لمعجب راي ولا لمتكبر صديق
سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين احدا فانك لا تخلو من
عداوة جاهل او عاقل فاحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف
بذنبه خير من باك مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذي
خطاء خطاءه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استحي من ذم من لو كان حاضرا
لبالغت في مدحه وملح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة
والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل
يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق
يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر
يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم
والتواني يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير
توجب بقاء النعمة وبالتأني تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض
الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد
وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة
وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكوا الاعمال وباحتمال المؤن يجب
السودد وبالحلم على السفيه تكثر انصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة
وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة ومن صغر
الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم
ومن سكت سلم ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل
ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل
مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا اسأت فاندم
واذا ندمت فاقلع المروات كلها تبع للعقل والراي تبع للتجربة والعقل اصله التثبت

وثمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء اربع كلمات من اربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال والله تعالى اعلم

* (الباب السادس في الامثال السائرة وفيه فصول) *

(الفصل الاول فيما جاء من ذلك في القرآن العظيم واحاديث النبي الكريم) اعلم ان الامثال من اشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو اشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو افصح العرب لسانا واكملهم بيانا فكم في ايراده واصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من امثال العرب والمولدين والعامة * فمن امثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضي الامر الذي فيه تستفتيان اليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوي الخبيث والطيب ففررت منكم لما خفتكم وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وما تاتيهم من آية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر انا وجدنا آباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لا يجليها لوقتها الا هو فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كل يوم هو في شان فبأي حديث بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ان هي الا فتنتك فاعتبروا يا اولي الابصار وان لقسم

لو تعلمون تعلم ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكذلك
ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر
هذا أم أنتم لا تبصرون * ومن الامثال من الحديث النبوي انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه انزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد
السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغني ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار
والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من
الايمان تخيروا لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس
بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك وما يعتذر منه
الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون
المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريبك الى ما لا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم
انصر اخاك ظالما او مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر ان يكون كفرا نعم
صومعة الرجل بيته الاعمال بخواتيمها

(الفصل الثاني في امثال العرب) ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء
موكل بالمنطق ان اخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك انف في السماء
واست في الماء ان الذليل الذي ليست له عضد اي الرجال المهذب انما هو كبرق
خلب اذا ادبر الدهر عن قوم كفى عدوهم امرهم اياك اعني فاسمعي يا جاره ان لم يكن وفاق
ففراق انك لا تجني من الشوك العنب اذا جاء القضاء ضاق الفضاء ان المناكح خيرها
الابكار اذا كنت ناطحا فناطح بذوات القرون اوى الى ركن بلا قواعد اياك ان
تضرب بلسانك عنقك اكل وحمد خير من اكل وذم آفة المروءة خلف الوعد اذا قلت
له زن طأطأ راسه وحزن اذا اتاك احد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى
ياتيك خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب ايسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن
اليه الناس اخوان وشتى في الشيم بلغ السيل الزبى اجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق
ولو في الحريق اشتدي ازمة تنفرجي اتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل اعرف بفرسانها
رمتني بدائها وانسلت رب رمية من غير رام الرباح مع السماح رب اكلة تمنع
اكلات استراح من لا عقل له رب اخ لم تلده امك رب طمع ادى الى عطب ربما
كان السكوت جوابا رب ملوم لا ذنب له رب عين انم من لسان رحم الله من اهدى
الى عيوبي ركوب الخنافس ولا المشي على الطنافس سبق السيف العذل زوج من
عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر ايام
الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة اطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه
ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرتعه وخيم

عند النطاح يغلب الكبش الاجم العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء او يهان عند النازلة تعرف اخاك فى الضراء والشمس ضوء امنه القول ما قالت حذام لقد اسمعت لو ناديت حيا اقلل طعامك تحمد منامك كل فتاة بابيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس ان يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء اكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام انثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ فى بيته صبى كلب جوال خير من اسد رابض لقد ذل من بالت عليه الثعالب ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوه ولكل جواد كبوه لكل قادم دهشه لعل لها عذرا وانت تلوم لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب وبنان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لا عطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لا تقتن من كلب سوء جرو مقتل الرجل بين فكيه ما حك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادي اظلم يا حبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس واسته عارية يدك منك وان كانت شلاء

(الفصل الثالث فى امثال العامة والمولدين) التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر اجرأ الناس على الاسد اكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوى لا ينجو من الحيات الحية تدور والى الرحى ترجع المؤذي ردى كلما جلوته صدى الاسواق موائد الله فى ارضه السلامة لسدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب بحجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس اتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النضج بين الملاء تقريع الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدر التثبيل اذ تحقق صار طاعونا اضيع من حلى على زنجية احمل للزدنيخ والاسم للنورة انشط من اير دخل نصفه البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ اللص قبل ان يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لا سفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع كقاعد زكاة البدن العلل زلق الحمار وكان من شهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لا تعد ايامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكسا طاعة الولاة

بقاء المرء طفيلي ويقترح عناية القاضي خير من شاهدي عدل ولت على اهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر في فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء في الغربة وطن فر من الموت وفي الموت وقع قد يسبح وقلب ينيح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار ضيا للزمر قال المزمار في كمي والريح في فمي كل قليل تغش كثير كلامه ريح في قفص كالابرة تكسو الناس وهي عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كالدار المرب بقول حذوني كنت سنداناً فصرت مطرقة كل ما فاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا اجنحته لو كان المزاح فحلاً لم ينتج الا الشر اللسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لو ضاعت صنعة ما وجدنا الا في قفاه لو كان في البوم خير ما فاته الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء ان يكون خصمه عاقلاً وبالله التوفيق

(الفصل الرابع) في الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم

حرف الالف

الا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

اذا جاء موسى والقى العصا * فقد بطل السحر والساحر

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى * فابعدكن الله من شجرات

اذا كنت في فكري وقلبي ومقلتي * فاي مكان من مكانك الطف

اذا اراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف يمنعه

اذا ما اتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدي

اذا انت لم تنصف اخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل

اذا لم يكن عندي نوال هجرتني * وان كان لي مال فانت صديقي

الناس في طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق

ايها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق

* انما انفسنا عارية * والعواري حكمها ان تسترد *

ان العدو وان ابدى مسالمة * اذا راى منك يوماً غرة وثبا

* اتمنى على الزمان محالاً * ان ترى مقلتاي طلعة حر *

* اذا ملك لم يكن ذا هبه * فدعه فدولته ذاهبه *

اذا ثارت خطوب الدهر يوماً * عليك فكن لها ثبت الجنان

اذا كنت لا ترضى بما قد ترى * فدونك المحيل به فاختنق

ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر

اذا ضاع شيء بين ام وبنتها * فاحداهما لا شك ذلك آخذه

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

اذا ما اراد الله اهلاك نملة * سمت بجناحيها الى الجو تصعد

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا * اصبت حليما او اصابك جاهل
* اذا لم تستطع امرا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع *
اذا صوت العصفور طار فؤاده * ولكن حديد الناب عند الثرائد
اهن عامرا تكرم عليه فانما * اخو عامر من مسه بهوان
اذا محاسني اللاتي ادل بها * عدت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر
اخوان صدق ما رأوك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى
اذا اعتادت الفتى خوض المنايا * فايسر ما يمر به الوحول
* الم تر ان المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائره *
اذا انت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوؤك ابعدت الدواء عن السقم
اذا انت حملت الخؤون امانة * فانك قد اسندتها شر مسند
اكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل
اذا انت عبت المرء ثم اتيته * فانت ومن تزرى عليه سواء
اسأت اذا احسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات اذا الم خطوبها * فلها اسا ومرة ومحاسن
* الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره *
العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
* الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر ابقى لها *
ايا دارهم ما كنت انت بدارهم * ولا انا مذ سار الركاب بهم انا
اقلب طرفي لا ارى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

* (حرف الباء الموحدة) *

بنا فوق ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا
بالملح نصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير
بني عمنا ان العداوة شانها * ضغائن تبقى في نفوس الاقارب

* (حرف التاء المثناة الفوقية) *

* تحن اليه افئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع *
تلوم على القطيعة من اتاها * وانت سننتها للناس قبلي
تلجى الضرورات في الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب
تفرقت الظباء على خراش * وما يدري خراش ما يصيد
تجتلي الاذن منه احسن مما * تجتلي العين من وجوه البدور

* (حرف الجيم) *

* جن له الدهر فنال الغنى * آه لمن اتعب له الدهر *
جربت اهلي واهليه فاتركت * لي التجارب في ودامرى غرضا

* (حرف الحاء المهملة) *

حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ماحياك انسان

* (حرف الخاء المعجمة) *

خفض الجاش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت
خليلي ان الحب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب
خن من امنت ولا تركن الى احد * فانصحك الابعد تجربتي

* (حرف الدال المهملة) *

داود محمود وانت مذمم * عجبا لذاك وانما من عود
دعيني اضب الاموال حتى * اعف الاكرمين عن اللئام

* (حرف الذال المعجمة) *

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * واخو الجهالة في الشقاء منعم

* (حرف الراء) *

رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب
ردوا علي صحائفا اسودهنا * فيكم بلا حق ولا استحقاق
رضيت ولا ارضى اذا كان سخطي * من الامر ما فيه رضى صاحب الامر
رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

* (حرف الزاي) *

زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم

* (حرف السين المهملة) *

سروري ان تبقى بخير ونعمة * واني من الدنيا بذلك قانع
سوحظي اناني منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب
سبكناه ونحسبه لجينا * فابدي الكير عن خبث الحديد
ستذكرني اذا جربت غيري * وتعلم انني نعم الصديق

* (حرف الشين المعجمة) *

شفيعي اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل
شكرتك قبل الخيران كنت واثقا * باني بعد الخير لاشك شاكر

* (حرف الصاد المهملة) *

* صيح لنا والده اولا * وانت في حل من الوالده *

* (حرف الضاد المعجمة) *

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

* (حرف الطاء المهملة) *

طويل عمر المعالي والندى ابدا * قصير عمر الاعادي والمواعيد
طوبى لاعين قوم انت بينهم * القوم في نزهة من وجهك الحسن

* (حرف الظاء المشالة) *

ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ظلمت امرأ كلفته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

* (حرف العين المهملة) *

علم الله كيف انت فاعطا * ك المحل الجليل من سلطانه
على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر
عسى فرج ياتي به الله انه * له كل يوم في خليقته امر
عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت اقواما بكيت على عمرو

* (حرف الغين المعجمة) *

غنى بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشيء لا به
غلام اتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر ام ولا اب

* (حرف الفاء) *

فلم ار كالايام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك اكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فصبر جميل ان في اليأس راحة * اذا الغيث لم يمطر بلادك فاطره
فما اكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل
فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب
فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد
فان تفق الانام وانت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

* (حرف القاف) *

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط في المجرى وترتفع
قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

* (حرف الكاف) *

كلوا اليوم من رزق الاله وابشروا * فان على الخلاق رزقكم غدا
كفى زاجرا للمرء ايام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدي
كنت من كربتي افر اليهم * فهم كربتي فاين الفرار
كانوا بني ام ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء
كانك من كل النفوس مركب * فانت الى كل الانام حبيب
كالكلب ان جاع لم يمنعك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشر

* (حرف اللام) *

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
لعمري ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن اخلاق الرجال تضيق
للموت فينا سهام وهي صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
لو ان خفة عقله في رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب
لو كان ما بي في صخر لانحله * فكيف يحمله خلق من الطين
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * واعطفهم في النائبات اقاربه

* (حرف الميم) *

من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب
من لم يعدنا اذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع
من الناس من يغشي الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات اقاربه
ما كان في المخادع من امركم * فانه في المسجد الجامع
* ما قام عمرو في الولا * ية قائما حتى قعد *

* (حرف النون) *

نسود اعلاها وتابى اصولها * وليس الى رد الشباب سبيل
* نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف ما لابد من شربه *
* ندمت ندامة الكسعي لما * رات عيناه ما صنعت يداه *

* (حرف الهاء) *

هناكم الله بالدنيا ومتعكم * بما تحب لكم منها وترضاه
هل بالحوادث والايام من عجب * ام هل الى رد ما قد فات من طلب
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * اليس مصير ذاك الى الزوال

هنيأ لمن لا ذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
هم يحسدوني على موتي فوا لحزني * حتى على الموت لا اخلو من الحسد

* (حرف الواو) *

ولم ار كالمعروف اما مذاقه * فحلو واما وجهه فجميل
واذا خشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه
والرزق يخطي باب عاقل قومه * ويبيت بوابا بباب الاحمق
ولا يغررك طول الحلم مني * فما ابدا تصادفني حليما
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
واذا اتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني كامل
* وما للمرء خير في حياة * اذا ما عد من سقط المتاع *
وما المرء الا كالهلال وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب
وقد تسلب الايام حالات اهلها * وتعدو على اسد الرجال الثعالب
ومن يأمن الدهر الخؤون فانني * برأى الذي لا يامن الدهر اقتدي
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال
* ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب *
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه اي مطرح
* ولربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب *
ولا بات يسقينا سوى الماء وحده * وهذا اجزا من بات ضيف الضفادع
ومن عاش في الدنيا فلا بد ان يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر
ولو دامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن ما لهن دوام
واحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزي بما كنت ساعيا
ولا ترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا
وما لامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثناء فيخلد
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
وكان رجائي ان اعود ممتعا * فصار رجائي ان اعود مسلما
وتجلدي للشامتين اريهم * اني لريب الدهر لا اتضعضع
ولا بد من شكوى الى ذي مروة * يواسيك او يسليك او يتوجع
وهون حزني عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه
* ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر *

* (حرف اللام الف) *

لا تنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار

لا تسأل المرء عن خلايقه * في وجهه شاهد من الخبر
* لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار *
* لا تنه عن خلق وتاتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *
* لا يبالي الشتم عرض * كله شتم وذم *
لا تنظرن الى امرئ ما اصله * وانظر الى افعاله ثم احكم
لا يسكن المرء في ارض يهان بها * الا من العجز او من قلة الحيل
لا يقبلون الشكر ما لم ينعموا * نعما يكون لها الثناء شبيها
لا اسأل الناس عما في ضمايرهم * ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

* (حرف الياء المثناة التحية) *

* يفر من المنية كل حي * ولا ينجي من القدر الحذار *
يريك الرضا والغل حشو جفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت
* يهمهم للشعير اذا رآه * ويعبس ان راى وجه اللجام *
يفارقني من لا اطيق فراقه * ويصحبني في الناس من لا اريده
* يزيد تفضلا وازيد شكرا * وذلك دابه ابدا ودابي *
يواسي الغراب الذيب في كل صيده * وما صادت الغربان في سعفة النخل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم اعراض لنا وعقول
* يعز الغني مر الليالي سليمة * وهن به عاقليل غوايل *
* يغيظني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواه حليم *
* يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك في السر بري القلم *

(الفصل الخامس في الامثال السايرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)

* (حرف الالف) *

ان كنت ما تعمل جميل اعمل كما يعمل معك اذا بعضك جارك حول باب دارك اذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله المستعجل والبطي عند المعديه يلتقي الف ذقن ولا اسلام عليكم الف ذقن ولا ذقني اذا غاب عنك اصله كانت دلايل نسبته فعله اذا وصلت فسلم الى الله بما قسم الله اذا كنت اعمى واطروش شم رايحة النقوش اذا كان النبيذ دردي والعشيق كردي والنقل فول حار والعشا بيسار ايش يكون الحال * اذا كان القطن احمر والغزل اعور والدكه مخلعه والنقش مكسر اعلم ان الميت من اهل سقر والوادي الاحمر * ايش ينفع الصراط عند طلوع الروح قال تعريف للحاضرين وتعريق للملايكة * الفشر والنشر ولينا خبيزه * اكل الدقه والنوم في الازقه ولا دجاجه محمره يعقبها مشقه * ايش انت في الحاره يا منخل بلا طاره * الرجم بالطوب ولا الهروب * اذا وقعت بافصيح لا تنصح * اقرع يقول لا قرع امشي بنا نزرع في بركة القرعان ايش ما طلع يطلع النصف لي والربع لي

والثمن لى والثمن الاخر لك ولى * العدو ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب * اقعد يا حمار حتى ينبت لك الشعير * اى موضع راح الحزين يلقى جنازه قال الشاعر

ان دام هذا السير يا مسعود * لا جمل يبقى ولا قعود

غيره

اذا لم تكن لى والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترللى

غيره

اذا اقبلت كادت تقاد بشعرة * وان ادبرت كادت تقد السلاسلا

* (حرف الباء الموحدة) *

بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته * بينما يسعد المعتر فرغ عمره * بينما اصل قبره نبت همه * بينما يعدل المعتر حاله جا الموت شاله * بينما يخلص ربنا حتى انفرقعت جوزة حلقى بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد * بينما يجى الدرياق من العراق يكون الملسوع مات بين حانه وبانه حلقت لحانه * بدوى مفروح لقى التمر مطروح ابن يحلى ويروح * بدال لحمتك وقلقاسك هات لك شد على راسك * بدال اللحمة والباذنجان هات لك قميص يا عريان * بدال محمتك الثلاثه هات لك شد باشمانه * بقى للكلب سرج وغاشيه وغلمان وحاشيه * بقى للخرى مرى ويحلف بالطلاق * بعد الجوع والقله بقى لك حمار وبغله

* (حرف التاء المثناة فوق) *

تموت الحدادى وعينها فى الصيد * تعالوا بنا نفتن ونرجع غدا نصطلح * اتدحرج الخرا لعند البعر قال له ايش انت قال له بزم فرداش * ترك الفضول من حزم العقول * ترك العمل ولا زعفران البطاله * تسكر وتخانق ما هو شى موافق * تجارة الاحمق على اهل بيته تضارب الريح مع الموج جا الهم على النواتيه * تزاوروا ولا تجاوروا * تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

* (حرف الثاء المثلثة) *

ثوب العيره ما يدفى * ثقيل واسمه صخر بن جبل * ثور علقوه اعمى عليه قال حتى يطلع شئ يرشوه عليه * ثور حاجز ما يدور ساقيه * ثقيل من اولاد الزنا مر العنا * ثوب طيه وثوب على الوتد قال انا اليوم احسن من كل من فى البلد

* (حرف الجيم) *

جور القط ولا عدل الفار * جمل موضع جمل يبرك * جهد المقل دموعه * جمل يحبه قال واين المحبه * جبت اصطاد صادونى * جار له حق وجار ما له حق وجار لا صحبته عافيه * جارك مراتك ان لم ينظر وجهك نظر قفاك * جاكتاب من عند خاله قال كل من هو فى حاله جاكتاب من عند عمه قال كل من هو ملهى بهمه * جاؤا ينعلوا خيل الباشا مدت ام قويق رجلها * جوز وحاله ماله الا الاله * جوز وامشكاح لربه ما على الاثنين قيمه

* (حرف الحاء المهملة) *

حاجه لاتهمك رمى عليها زوج امك * حول حبيبي ماعونه وقدرته مع كانونه * حمار حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت * حلينا القلوع وارسينا واصبحنا على ما امسينا * حب وواري واكره وداري * حدثتني ونصحتني عايرتني وفرحتني * حط فليسانك في كمك واشترى ابوك ولك حبة قرمض تخرب ارض

* (حرف الخاء المعجمة) *

خدوني وارعى فيه انا حصاد ملوخيه وعند الخبز اكل ميه وعند الشغل مالي نيه * خبئت لي وصحت لك * خذ ذا الصبي فوق صبيانك تمام لاحزانك * خرزنيه في جره وملحه في صره خبزه بلا ادام ويعزم على الجيران

* (حرف الدال المهملة) *

دار الظالم خراب ولو بعد حين * درهم لك ودرهم عليك لالك ولا عليك * دواء ما لا تشتهي النفوس تعجيل الفراق

* (حرف الذال المعجمة) *

ذا درب ما يسد ريح * ذي ما هي رمانه الا قلوب ملانه * ذا لي وذا ايدي عليه مذ بعيد ما يقعد عليها طفيلي * ذا الخبز ما هو من ذا العجين * ذا الولد خرا من ظرفه كل من شال ربطه حك انفه * ذكروا مصر القاهره قامت باب اللوق بحشايشها ذكروا المدن جاءت القرى تحجل

* (حرف الراء المهملة) *

راح ذاك الزمان بناسه وجاء هذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه * رأوا الجمار راكب حيط قالوا الى اين يا جمار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشرق ولا يغرب * راوا سكران يقراء قالوا غنى تشاكل روحك * راوا شيخا يبجي قالوا ايش تم على الصرا راوا وردانه على سنداس قالوا ما الذي الفقيه الا ذي البلطيه * راوا على قبر مكتوب يا سواد ساكنه قالوا ابصر من يزاحمه * راكب بلاش ويناغش * مراة الرئيس ركبتك وراى حطيت يدك في الخرج * راح الجندي وخلى خلقه عندي * رزاق الكلاب على المجانين * راسين في عمامه ما يكون * راحت على جمل وجاءت على قطه قال ما الذي الشيله الا ذي الحطه كما قال الشاعر

راح الذي كنا نعيش بفضله بين الورى
وبقي الذين حياتهم * ووجودهم مثل الخرا

* (حرف الزاي المعجمة) *

زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه * زاويه بلا عيش بيت ليش * زوج القصيره يحسبها صغيره * زوجت بنتي اقعد في دارها جاتني واربعه وراها * قال الشاعر

زوجت بنتي تنستر * وبمتلى بيتي قماش
جاء غزلها في اكلها * ونيكها طلع بلاش

زنبور زن على جحر مسن قال له ايش تريد قال المحسن قال انا المحس البولاد * زنبور زن على
فلس بحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له فتهدت محدن يا دندن

* (حرف السين المهملة) *

سل المجرب ولا تسل الطبيب سموك مسحر قال فرغ رمضان سموك حبل قال وطولت
سموك راجح قال ان شاء الله بجى الحق سبع وزرو ولا استتر قال الشاعر

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

وقال اخر

سيغنى الله عن زيد وعمرو * ويأتى الله بالفرج القريب

* (حرف الشين المعجمة) *

شره ووضيع ويغضب سريع * شئ ما نابه وتقطعت ثيابه * شعر يحلق وشعر ما يحلق شرب
السموم القاتله ولا الحاجه الى السفل * شمنى ولا تدعكنى * شئ ما يجى على القلب عنايته صعبه
شراء العبد ولا تربيته * شخت بغله عامت زبله * ركبت خنفسه زمر زنبور قال ماذا
المجوق الجليل الا المقطعات النبل

* (حرف الصاد المهملة) *

صام سنه وفطر على بصله * صبرى على الحبيب ولا فقده * صاحب يضرعدو مبين
صباح الفوال ولا صباح العطار * صباحك يا اعور قال ذى خناقة بايته * صباح الخير
يا جارى انت فى دارك وانا فى داري

* (حرف الضاد المعجمة) *

ضرب الحبيب كاكل الزبيب * ضربتين فى الراس تعمى * ضرب وبكى وسبق يشتكى *
ضربة على كيس غيري كأنها فى عدل حنا * ضمنوا حدايه لغراب قال الكل يطيروا ضربوا
بياع الكسبره خرى بياع التوم قال ذى داهيه جات على الخضريه

* (حرف الطاء المهملة) *

طارت الطيور بارزاقها * طفيلى ويجلس فى الصدر * طفيلى ويقترح * طويل الكم خطار
قليل المزح فى الدار * طبق وجاريه على صحن بباريه * طلبوا جاكم عثمان يد من ورا
و يد من قدام * طعامك ماجانى ودخانك اعمانى * طار طيرك واخذ واغيرك طول
ما اعيش يكفينى رعى الحشيش * طول الغيبه وجا بالخيبه

* (حرف الظاء المعجمة) *

ظهرك عندى نصف الليل

* (حرف العين المهمله) *

عنقود مدلى فى الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى * عشق بدا له لا ابا له
عاشق ما يسمع بكا صغير عاشق ما يسمع كلام مفارق عاشق مقل شى ما زرع ايش جا
شغله

عزومه حسبت عليك * كل وبحلق عينيك * عند المخاضه يبان الغليط * عند الطعان
يبان الفارس من الجبان * عريان التينه وفى حزامه سكينه عريان وفى كمه ميزان .

* (حرف الغين المعجمة) *

غابت السباع ولعبت الضباع * غريبه وكربه ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس محسين
فى قدره * غالى السوق ولا رخيص البيت

* (حرف الفاء) *

فرجه بلا كسر تعمى البصر * فقير ونفير وكلامه كثير ويقول ها نوا عشا من يجنى فوق
الشراطه طلع اودانه * فارس خرا ويسوق فى الوحل فارس خرا واسمه عنتر فارس خرا
ويسابق الخيل * فرد ضربه فى الراس تكون فصد وافرد ضرط قالوا به دم زايد *
فرعت المرتانه يا جانم

* (حرف القاف) *

قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هو انا محب فيها * قالوا للحمار انجتر قال مضغ الحال ما ينطى
قالوا للقرد شب قال ايادى ملاح ويمسك المصول قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو انا
عنده بوجه يبسط * قالوا للجمل زمر قال لا اشغف ملومه ولا ايادى مفروده قالوا للدبه طرزى
قالت دى خفة ايادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ما جرت بهذا عاده * قالوا للغراب مالك
تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا للبقر الديوان اذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا الشهيا
تروح بجلودنا * قالوا للغزاله ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا احلوا المناسف

* (حرف الكاف) *

كل من مودته باكلك كالنطر لك جاع * كشكار دايم ولا علامه استطوعه كل كره واشربكره
ولا تعاشركره * كل هم كاوى عندهمى باوى * كل شئ لا يشبه قابيه حرام * كل مايه عصفور و
ما يجوا حدايه * كل الف مصه ما يجوا بعضه * كل الف بوسه ما يجوا بعبوسه * بكت ياتان
بالشعره والصنان * كل جيبى كل المعانى اعرج وفليط ومجانى * كل جيبى وكل اعرج
وقليط واحول وفيه تاده اخرى لمن يواصل بحرا * كانه خان للغجر لا يوحشه من غاب
ولا يؤانسه من حضر * كانه من طواحين الكشكار داير على رجل الفار * كانه عصفور ينيك
بلاش ويأوى فى الاعشاش

* (حرف اللام) *

لولاك يا كمى ما اكلت يا فمى * لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفاى * لولا الغيره والحسد
كانت عجوزه كفت بلد * لولا اختك ما صرت ابن عمك * لو قلبنا ها بليه ما جاءت هكذا
لو كان فيها خير ما رماها طير * لك وعليك ما يصعب عليك لك اسوة بغيرك لقمه بدقه ولا
برقه لقمه تحت حيطه ولا خروف بعيطه لو سلم الكرم من حارسه طابت مغارسه لو تقطع
يده وتدليها من فيه صنعه ما يخليها لو عملى لى من الذهب وليه هو عندى بتلك العين القديمه

لو شال

لوشال راسه الى السما كانه عصيده بما * لو تنظر الجمل لصنمه كان كدمه لولا الكشط
والبرايه ماكانت اولاد الحراكتاب

* (حرف الميم) *

محبه بلاحيه ماتساوى حبه ماسلتك يادمعتي الا لشدتي * من عاشر غير جنسه دق الهم
صدره من قدم النحس تعب فى تاخيره من عاشر الحداد احترق بناره من عاشر الزبدانى
فاحت عليه روايحه من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهره من لا يحطيد
الزنده ما يعرف حره من برده * ما رايتك يا نورحتى ابيضت العيون مالى على فراقكم جلد
الا هجابى من البلد ماكفانا هم ابونا قام ابونا جاب ابوه قال خذ واجدكم ربوه من عدم
نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت اولى به * من يكلم القبح يروح عرضه وينفضح
ماتنقد وهم كلهم زغليه مافيهم من يجب النقاد .

* (حرف النون) *

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير * نفسك التلف اى شئ اخلفت نصف البلا
ولا البلا كله ناقص ونحاس ناموسه بات على شجره اصبحت تقول خاطرك قالت لها
وانت كنت على اي ورقه نيك مطينك نسيت يا فلاح ماكنت فيه كعبك المشقوق
والوحل فيه نيك حتى تبقى ديك

* (حرف الهاء) *

هاتت الزلابيه حتى اكلها بنى وايل هان المسك واتنتر هديه تعرفوها تخليتها ولا لومها
هدية الاحباب على ورق السداب قال هو اعمى عن ورق الموز هو عرس تاكل وتنسل *
اخذ واهذيه واعينهم فيها يقولوا الله يردها هاتوا الغزال الجبل لذا القلب المدبل

* (حرف الواو) *

واحد نتفه وآخر لقفه وقال آخر يا قريب الفرج واحد يخطبوله وهو قايم عليه قال
انا فى حاجتك واحد جاير رأى قرد بجرش ترمس قال ما الذى الفاكهة البدريه الازى
الصورة القمريه واحد سموه عنبر وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره
فى الصنعه وحش وبكش ويقعد فى الوش ويغنى بلينا بكم وقت اكل الدجاج
ما يفتكرونى وفى وقت شيل التراب هات يدك وايش قام على نومه بعضل الحكومه
وقت البشوا والنحنى ما قلت يا اخى الحقنى ووقت ضرب الدره قلت اصفحوا واصفعنى

* (حرف اللام الف) *

لا تعيرنى ولا اعيرك الدهر حيرنى وحيرك * لا اصل شريف ولا وجه ظريف لا اخوك
ولا ابن عمك تشق ثوبك على ايش لا عاش بليق لا جرات ولا دراس لا عاش العار ولا بنى
له دار * لا ربح ثوابه ولا خلاه لاصحابه لا فى الفراق يجد راحه ولا فى الوصل لا تشكرن
فتى حتى تجربه لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى لا يضر السحاب نبح الكلاب *

لا يغرك تصربني الاصل فى بنى

* (حرف الياء) *

يا شب مليح ما احسن وصفك لا فى يدك ولا فى طرفك يا ويل من ذاق الغنى بعد جوعه يموت و فى قلبه من الهم واجس يا طارق الباب بعد العشا لا تطرق الباب ما ثم شئ * يا من ملنا ما كان حلنا السعا ما لنا فى العشره سنه بهنيكم قد ومه قد جاكم بشومه يا ليتنا انكسرنا ولا بلنا انتصرنا يا ويل من كان نخشيه من بيت خبه يا طالب الثريا اصل تعال للصايم بعد العصر

* (امثال الياء حرف الالف) *

احبك يا سوارى مثل معصمي الذى فى قلبى لم حنين مخلم به فى الليل ان كنتي حره لا تنصبي نقابك بره ان لم تملى ونتخترى والا اقعدى وانعفرى ان كانت الدايه احن من الوالده قال ذى دلعيه عياره الكلام لك يا جاره الا انتى جاره ايش تعمل الماسطه فى الوجه المشوم ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه ايش ينفع النفخ فى الوجه الاصم ارمله عدس ومتزوجه عدس اقعدى بعد سكى اسم الزوج ولا طعم المزمل العاقله فينا تربى بيقطينا اذا كان زوجى راضى ايش فضول القاضى استعارت الرعنه شئ حسبته لها اخذت المقص و دارته لها اقعدى فى عشك حتى يجى حديثك

* (حرف الباء الموحدة) *

بعد ان كنت لى وحدى بقيت اسمع اخبارك بعد سنه وشهر من جابت بنت بشفرين بعد ان كان زوجها بقى طباخ فى عرسها بعد مشيك فى المحلقه بقى لك سلالم وغرفه وانك سفينه بعد امى ولحقتى الكل جبرانى * بينما تنقب المحوله انصرف القاضى بنت الخرا زرد لابن الخرا بدف بانت ناموسه على جبينه قالت صبحك الله بالخير قال بين درى بك قبله بدال ما تمشى وتهزى كتفك رفعى فرده خفك بخرا وتزلم بالبوس بقى لام سيسى برقع وللضفدعه زماره بعد مشيك فى الحلا فى لبستى الصافى بعيد على الحزينه تعمل الزينه

* (حرف التاء) *

تابت القحبه يوم وليله قالت ما بقى فى البلد حكام تضاربت المجنونه والحمقه حسبتها التى من حقه تضارب وتعرى وتصيح يا قلة رجالى تاخذ وابونا وتكابرونا ترنا وبيتنا ومفاتيح الخزانه تباهت الرعنه بشعر بنت اختها تحلوقى والا استحلى بجارنا قالت اذا كان ذاتى قلبك خذيه بلا استهلال تتغنى بالمخرج ولا تخلى العيخ تقعد عيوشه فى زيارتها ما لاحد حاجه فى زيارتنا

* (حرف الثاء) *

ثوب سيدى ثوب حبيبى ثوب ستى ثوب قحبه

* (حرف الجيم) *

جاره بجاره والعداوه خساره جانی عذولی و رنالی ما هی محبه الاشمانه لی جاریه
و زبديه على با ذبحانه مهلبه جاتنا العدوه مكحله قطران لاغيره وقليبا فرحان جاب
ثيابه يغسلهم بلاصبونه معهم

* (حرف الحاء المهملة) *

حوله وتنتقب بيخ حزانا ماعندهم دقيق اشترو الهم منخل رقيق حزانا ماعندهم خبز
اشتروالهم بجشره ملوخيه حزينه و واعيه حبله ومرضعه وعلى كتفها اربعه وطلعت
الجبل بجبب والجبل حوله ونصرانيه لاسليمه ولا اصل طيب حزينه مالها ملوك
ست زنبور هاخوشكادم حزينه مالها ملك اكترت لها بواب حزينه مالها كاسليه
طلبت لها خف وشعريه

* (حرف الخاء المعجمة) *

خطبوها تمرزت وكان زمان البوار خلت زوجها مكروب وراحت نشوف المصلوب
خذي قطيفه واكتمي سري قالت ما ابطا وعنى قلبي خلت ما يعينها وابتعت حك رجليها

* (حرف الدال المهملة) *

درى زوجك بكتبتك تم نهارك مع ليلتك دق من اسفل ولا انطلع ما است على الغلب

* (حرف الذال المعجمة) *

ذكرت العجوز اطلالها

* (حرف الراء) *

رقصتي ما احسنتي كان فعادك الجمع رعنا يضحكوا بها وهي تضحك نساعدهم راوا جاموسه
متنبه بجمبر قالوا ما هذا الشكل الوضيع الاذا الفاش الرفيع راحت تبيع ربعه غابت جمعه
راحت رجال الهيبه وبقيت رجال الخيبه راحت رجال الكيم والقلقاس وبقيت رجال
الخيز بالفسفاس راو لخنفسه على مكنسه قالوا ما الذى الصيفه الاذا الحمار الازعر

* (حرف الزای) *

زمر بالزميميره تبان لك العاقله من المجنينه زوجي ماحكم على قام لى عشيق بشمعه
زوجوا بنت نشادرى لسر بالى قالوا قليلات الخرا تندحرج لبعضها

* (حرف السين المهملة) *

سودا ر تنتفش بسباخ سودا منقبة فقل على خزانه سالوها عن ابيها قالت جدي شعيب

* (حرف الشين المعجمة) *

شدى قرطاسك من عند موسه قالت داشي ما فرحتي به وانتي عروسه شامته ومعزيه

* (حرف الصاد المهملة) *

صارت القحبه واعظه صارت الغويه شاعره

* (حرف الضاد المعجمة) *

ميراث ابن سنه غمى على امه قالت ما اخف دمه

* (حرف الطاء المهملة) *

طلعت نرحم نزلت نتوحم

* (حرف الظاء المعجمة) *

ظريفه وعفيفه ولها نفس شريفه

* (حرف العين المهملة) *

عيا مضعف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه عقله وجابت طفله وجاها خطار واشترو الها قلقاس دكر وحطبا اخضر فى نهار مطر وقالوا الها اطبخى على قد لحسه تشع المليه * عجوزه وجابت غلام اذا جنت لا نلام بجوزه وخرقانه دي داهيه كانه

* (حرف الغين المعجمة) *

غيرك يقوم معا ماك عليش قلبى اعذبه

* (حرف الفاء) *

فرحت حزينه خربت مدينه

* (حرف القاف) *

قالوا اللها فى اتزوقوا قلبوا عصابيهم لحبه ماكنت بيتها كنست المسجد قالوا الوادي فيه تعلب الشونى

* (حرف الكاف) *

كل من تبعت هواها صارت سراويلها رداها كبرتى يا برقوقه وبقى لك دبوقه كانوا مخانى صاروا ملاهى لا رلعت ولا بات كا هى كل قلبه وربانى هنيه كانها من الباسطيه قاش على جريده كانها حزمة فجل اصفر وعرقها الخضر * كانها من عمايم اليهود صفرا طويله رقيعه كانها من بيت الوالى ما يتحدث فيها سوى الحاشيه كانها ضبة جعيدي مخلوعه ولا تاخذني

* (حرف اللام) *

لو كان ما ينقش الا السمان بارت المواشط من زمان للساعه ما حبلت جابت المرسين لولا المعاير ما كانت الحراير

* (حرف الميم) *

ماشطه وتمشط بنتها * من افتكرنا بياسمينا ما نسينا

* (حرف النون) *

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير

* (حرف الهاء) *

هش يا ديانه انا حبلى من مولانا

* (حرف الواو) *

وجه لا يرى بالذهب يشترى

* (حرف اللام الف) *

لا انتي مليحه ولاتغني بايش تدلي

* (حرف الياء) *

يعيش المدلل بلا مكلل * يا غزالة الاقمار اين كنتي بالنهار يا ما تحت النقاب والشعريه من كل بليه * يا من ملنا ماكان حلنا للساعه ما لنا في العشره سنه

الباب السابع في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول

* (الفصل الاول في البيان والبلاغة) * اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * واما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * واما البلاغة فانها من حيث اللغة هي ان يقال بلغت المكان اذا اشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة اي وثيقة كانها قد بلغت النهايه وقال اليوناني البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندي البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندي يجب للبليغ ان يكون قليل اللفظ كثير المعاني * وقيل ان معاوية سال عمرو بن العاص من ابلغ الناس فقال اقلهم لفظا واسهلهم معنى واحسنهم بديهة ولو لم يكن في ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة وقيل ثلاثة تدل على عقول اصحابهم الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدي والكتاب على عقل الكاتب * وقال ابو عبد الله وزير المهدي البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة * وقال البحتري خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشات به * وكلنا بقصور عنك نعترف
مهلا لي العذر في نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

* (وروي) * ان ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك امك انما امرك ان تقطع لساني بالصلة فلولا تبصرها بانحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبي البليغ من يحول الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدر المعاني والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا * وقال الامام فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه في حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع

ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى اقوم طريق

* (الفصل الثاني في الفصاحة) * قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى عليه اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد واصلها من قولهم افصح اللبن اذا اخذت عنه الرغوة واكثر البلغاء لايكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم ان البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى ابن خالد ما رايت رجلا قط الاهبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم في صدري وان قصر سقط من عيني * وقد اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعاني ومنهم من قال انها لاتخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بان قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على ان الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعاني وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مالوف في كلام الناس والذي اراه في ذلك ان الفصيح هو اللفظ الحسن المالوف في الاستعمال بشرط ان يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن في الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدوده والمعيب من ذلك كقول القايل

لو كنت كتمت الحب كنت كما * كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم ايضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الاخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

قيل ان هذا البيت لايمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر وملك زمام الامور واطلعه ملكها على الخفي من امره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال بارك الله لك يا عم في جمالك اي فصاحتك * وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال ابو العيناء يستجيزها احمد الله كثيرا فقالت حيث انشاك ضريرا فقال يا امير المؤمنين قد احسنت في اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه وقال المبرد قلت للمجنون اجزني هذا البيت

ارى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وابراقه فاليوم لاشك ماطر

فقال

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا امير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا اقللت من الكلام اكثرت من الصواب قال يا ابت فان انا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رايت موعوظا احق بان يكون واعظا منك * وقال الشعبي كنت احدث عبد الملك بن مروان وهو ياكل فيحبس اللقمة فاقول اجزها اصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك احب الي منها وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بيقظة ولا يقظة الا بنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بابي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له ابو بكر ابتيعه فقال لا رحمك الله فقال ابو بكر لو تستقيمون لقومت السنتكم هلا قلت لا ورحمك الله ومنه ما حكي ان المامون سأل يحيى بن اكثم عن شئ فقال لا وايد الله امير المؤمنين فقال المامون ما اظرف هذه الواو واحسن موقعها وكان الصاحب يقول هذه الواو احسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

شعبان يقصر عن بجور بيانه * عجزا ويغرق منه تحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه * يعيي لديه بحجة وجواب

وقيل انه حج مع ابن المنكدر شاب فكانا اذا رايا امرأة جميلة قالا قد ابرقنا وهما يظنان ان ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة * وكان اصحاب ابي علي الثقفي اذا راوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة * وكتب ابراهيم بن المهدي اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت كلام ابي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رايت فيهم ابلغ من عائشة وقال معاوية رضي الله عنه ما رايت ابلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما اغلقت بابا فارادت فتحه الا فتحته ولا فتحت بابا فارادت اغلاقه الا اغلقته * ومن غريب الحكايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكي ان رجلا كان اسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاؤا بعبد اسود فقال له اتعقل ما اقوله لك قال نعم اني لعاقل فاشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما اراك الا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال

لا ادري وانه لكثير فقال ايما اكثر النجوم ام النيران قال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية
وقل لهم يكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم من بني بكر بن وائل فان قومه لي
مكرمون وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وامرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد
اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بامارة ما اكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري
الحارث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء
ولا جملا اصهب ثم دعوا باخيه الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد انذركم اما قوله
قد دنا العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح واما قوله شكت النساء اي
اتخذت الشكاء للسفر واما قوله اعروا ناقتي الحمراء اي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل
الاصهب اي الجبل واما قوله اكلت معكم حيسا اي ان اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم
لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا امره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا *
واسرت طي غلاما من العرب فقدم ابوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال ابوه والذي جعل
الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طي ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد
اعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكانه قال له الزم الفرقدين يعني في هروبك على
جبل طي ففهم الابن ما اراده ابوه وفعل ذلك فنجا * وكانت علية بنت المهدي تهوى غلاما
خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي
تقرأ في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه امير المؤمنين ومن ذلك قوم
تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت اي يأمر بالوصية وينهى عن النوح ويقال
ما رأيت فلانا اي ما ضربته في رئته ولا كلمته اي ما جرحته فالكلوم الجراح وما رأيت
ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر
السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصليا
فالراكع العاثر الذي كبا لوجهه والساجد المدمن النظر والمصلي الذي يجئ بعد السابق وما
اخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل والفروجة الدراعة وما لفلان
بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره اي عياله والثور
القطعة الكبيرة من الاقط (وحكي) ان معاوية رضي الله عنه بينما هو جالس في بعض مجالسه
وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من اهل الشام فقام خطيبا وكان آخر
كلامه ان لعن عليا رضي الله عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا امير المؤمنين ان هذا القائل
لو يعلم ان رضاك في لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا امير المؤمنين ودع عنك عليا رضي الله عنه
فلقد لقي ربه وافرد في قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته
فقال معاوية يا احنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فلتلعنه طوعا او كرها
فقال له الاحنف يا امير المؤمنين ان تعفني فهو خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لا تجري
شفتاي به ابدا فقال قم واصعد قال اما والله لانصفنك في القول والفعل قال وما انت قائل

ان انصفتني قال اصعد المنبر فاحمد الله واثني عليه واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم
اقول ايها الناس ان امير المؤمنين معاوية امرني ان العن عليا الا وان معاوية وعليا اقتتلا
فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغي عليه وعلى فئته فاذا دعوت فامنوا رحمكم الله ثم
اقول اللهم العن انت وملائكتك وانبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن
الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا امنوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على هذا ولا انقص
حرفا ولو كان فيه ذهاب روحي فقال معاوية اذا نعفيك يا ابا بحره وقال معاوية لعقيل
ابن ابي طالب ان عليا قد قطعك وانا وصلتك ولا يرضيني منك الا ان تلعنه على المنبر قال افعل
فصعد المنبر ثم قال بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ايها الناس
ان معاوية بن ابي سفيان قد امرني ان العن علي بن ابي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل
فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا
والكلام الى نية المتكلم * ودخلت امراة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه اصحابه
فقالت يا امير المؤمنين اقر الله عينك وفرحك بما آتاك واتم سعدك لقد حكمت فقسطت
فقال لها من تكونين ايتها المراة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم واخذت اموالهم
وسلبت نوالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم امر الله ونفذ فيهم قدره واما المال
فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من اصحابه فقال اتدرون ما قالت هذه المراة
فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما اظنكم فهمتم ذلك اما قولها اقر الله عينك اي اسكنها
عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت واما قولها وفرحك بما آتاك فاخذته من قوله
تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واما قولها واتم الله سعدك فاخذته من قول الشاعر

اذا تم امر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

واما قولها لقد حكمت فقسطت فاخذته من قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
فتعجبوا من ذلك (وحكى) ان بعضهم دخل على عدو من النصارى فقال له اطال الله بقاءك
واقر عينك وجعل يومي قبل يومك والله انه ليسرني ما يسرك فاحسن اليه واجازه على
دعائه وامر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله اطال الله بقاءك حصول منفعة
المسلمين به في اداء الجزية واما قوله واقر عينك فمعناه سكن الله حركتها اي اعماها واما قوله
وجعل يومي قبل يومك اي جعل الله يومي الذي ادخل فيه الجنة قبل يومك الذي تدخل فيه
النار واما قوله انه ليسرني ما يسرك فان العافية تسره كما تسر الآخر فانظر الى الاشتراك
وفائدته ولولا الاشتراك ما خفيا للمستر مراد ولا سلم له في التخلص قياد وكان حماد الراوية
لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة في المصحف فصحف في نيف وعشرين موضعا
من جملتها قوله تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه بالباء الموحدة لتكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجحد باياتنا

الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة ثم احسن انا اذا ورثيا بالزاى وترك الهمزة عذابى
اصيب به من اشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن احسن من الله صبغة بالنون والعين
المهملة سلام عليكم لا نبتغى باسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالعين المعجمة
والراء المهملة قرن الشقاق بالعزة وهذا الابدع الامن الاذكياء (وحكى) ان المأمون ولى
عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من ارباب دولته ليمتحنه
فلما قدم عليه اظهر له انه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه ان امير المؤمنين عنده علم منه فأكرم
نزله واحسن اليه وسأله ان يكتب كتابا الى امير المؤمنين المأمون بشكر سيرته عنده ليزداد
فيه امير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على امير المؤمنين اما بعد فقد قدمنا على فلان
فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى اقضيته اغنى القاصد
وارضى الوارد وانزلهم منه منازل الاولاد واذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم
المساجد الداثرة وافرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير
المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم اى ذا عزم على
ظلم او جور يفعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى فى اقضيته اى اخذ كل
ما معهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الداثرة وافرغهم من عمل الدنيا
وشغلهم بعمل الآخرة يعنى ان الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا ومعنى قوله يريدون
النظر الى وجه امير المؤمنين اى ليشكوا احوالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله
عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) ان القاضى الفاضل كان له صديق خصيص
وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه
وبين الملك امر فغضب عليه وهم بقتله فتسحب الى بلاد التتر وتوصل الى ان صار وزيرا عندهم
وصار يعرف التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل
اكتب اليه كتابا عرفه فيه انى ارضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى ان يحضر فان حضر
قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته
فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب
ختمه بالحمدلة والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به
العادة فى الكتب فشدد ان ثم اوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فتراه فى غاية الكمال وختمه
ان وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه
وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما اراد ان ينهى الكتاب وكتب ان شاء الله تعالى مد النون
وجعل فى آخرها الفا واراد بذلك انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل
فهم الاشارة ثم اوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) ان بعض الملوك طلع
يوما الى اعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير
الراؤن احسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يا مولاى هذه زوجة غلامك

فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يا فيروز
قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتني بالجواب فاخذ
فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت راسه وجهز امره وبات ليلته فلما اصبح
ودع اهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك واما الملك فانه لما توجه فيروز
قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من
بالباب قال انا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له ارى مولانا اليوم
عندنا فقال زائرا فقالت اعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها خيرا فقال لها ويحك
انني انا الملك سيد زوجك وما اظنك عرفتيني فقالت بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت
انك الملك ولكن سبقتك الاوائل في قولهم شعر

ساترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما احسن يا مولاي قول الشاعر

قل للذي شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل ابدا * قد اكل الليث فضلة الديب

ثم قالت ايها الملك تاتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيى الملك من كلامها
وخرج وتركها فنسي نعله في الدار هذا ما كان من الملك واما ما كان من فيروز فانه لما خرج
وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق
وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم ان
الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر يفعله فسكت ولم يبد كلاما واخذ الكتاب وسار الى
حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى
ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة واتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة
بيت ابيك قالت وما ذاك قال ان الملك انعم علينا واريد ان تظهري لاهلك ذلك قالت
حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت ابيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها
فاقامت عند اهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا الم بها فاتى اليه اخوها وقال له يا فيروز
اما ان تخبرنا بسبب غضبك واما ان تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما
تركت لها علي حقا فطلبوه الى الحكم فاتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا
الى جانبه فقال اخو الصبية ايد الله مولانا قاضي القضاة اني آجرت هذا الغلام بستانا
سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة واشجار مثمرة فاكل ثمره وهدم حيطانه واخرب بئره
اثا لنفت القاضي الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز ايها القاضي قد تسلمت هذا

البستان وسلمه اليه لحسن ما كان فقال القاضي هل سلم الليث البستان كما كان قال لم وكن
اريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاي ما رددت البستان كراهية
فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه اثر الاسد فخفت ان يغتالني فحرمت دخول
البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكيا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع الى
بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه اثرا ولا التمس منه ورقا
ولا ثمرا ولا شيا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير باس ووالله ما رايت مثل
بستانك ولا اشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته
ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله اعلم * وهذا كله مما ياتي به الانسان من
غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ومنه ما يجده المستتر لامره من الراحة
في كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضى الخصم بما وافق مراده لان في المعاريض مندوحة
عن الكذب كما روى في غزوة بدر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا باصحابه يقصد
بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء
فاخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يرددها لينظر اي العرب يقال لهم ماء
فسار النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه لوجهته وكان قصده ان يكتم امره وقد صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق وكما روى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال للكافر الذي
ساله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهديني السبيل
وقد صدق فيما قال رضي الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل اوضح ولا اقوم
من الاسلام وكما حكى عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه لما ساله بعض المعتزلة بحضرة
الرشيد ما تقول في القرآن فقال الشافعي اياي تعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه
منه بذلك ولم يرد الشافعي الا نفسه وكما حكى عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى انه سئل
وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم
شيعة فقيل له من افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ام علي رضي الله
عنهما فقال افضلهما بعده من كانت ابنته تحته فارضى الفريقين ولم يرد الا ابا بكر رضي الله
عنه لان الضمير في ابنته يعود الى ابي بكر رضي الله عنه وهي عائشة رضي الله عنها وكانت
تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا ان الضمير في ابنته يعود الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي فاطمة رضي الله عنها وكانت تحت علي رضي الله عنه فهذه منه جيدة
حسنة وكلمة باتت جفون الفريقين منها وسنة والله اعلم
(الفصل الثالث) في ذكر الفصحاء من الرجال دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء
وعنده كثير من اهل العلم فاحب الحسن ان يتكلم فزجره وقال يا صبي تتكلم في هذا المقام
فقال يا امير المؤمنين ان كنت صبيا فلست باصغر من هدهد سليمان ولا انت باكبر

من

بن سليمان عليه السلام حين قال احطت بما لم تحط به ثم قال الم تران الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود اولى ولما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز اتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد اراد ان يتكلم فقال ليتكلم من هو اسن منك فانه احق بالكلام منك فقال الصبى يا امير المومنين لو كان القول كما تقول لكان فى مجلسك هذا من هو احق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا امير المومنين انا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذى من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك اما عدم الرغبة فقد امنا بك فى منازلنا واما عدم الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضى الله عنه عظنى يا غلام فقال يا امير المومنين ان اناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر فى سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فانشدهم عمر رضى الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

(وحكى) ان البادية قحطت فى ايام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا ان يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء احد ان يدخل على الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا امير المومنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما فى طيه الا بنشره فان اذن لى امير المومنين ان انشره نشرته فاعجبه كلامه وقال انشره لله درك فقال يا امير المومنين انه اصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم وسنة دقت العظم وفى ايديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا فى واحدة من الثلاث عذرا فامر للبوادى بمائة الف دينار وله بمائة الف درهم ثم قال له الك حاجة قال ما لى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من اجل القوم وقيل ان سعد بن ضمرة الاسدى لم يزل يغير على النعمان بن المنذر ويستلب امواله حتى عيل صبره فبعث اليه يقول ان لك عندى الف ناقة على انك تدخل فى طاعتى فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا ايها الملك ان الرجال ليسوا بعظم اجسامهم وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم انشأ يقول

يا ايها الملك المرجو نائله * انى لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الاجسام ان لنا * احلام عاد وان كنا الى قصر
فكم طويل اذا ابصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر

فان الم به امر فاقطعه * رأيته خاذلا للاهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لانقض منها المفتول وابرم منها المحلول واحيلها حتى يحول ثم انظر فيها الى ما تؤول وليس للدهر بصاحب من لا ينظر فى العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم امر له بالف ناقة وقال له يا سعد ان اقمت واسيناك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك احب الى من الدنيا وما فيها فانعم عليه وادناه وجعله من اخص ندمائه (ويحكى) ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولا شئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى اصلاب الرجال وارحام النساء وعن رجل لا اب له وعن رجل لا ام له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وامس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى اخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فاجابه اما الشئ فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى واما لا شئ فانها الدنيا تبيد وتفنى واما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله واما مفتاح الصلاة فالله اكبر واما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واما صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده واما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى اصلاب الرجال وارحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسماعيل واما الرجل الذى لا اب له فالمسيح واما الرجل الذى لا ام له فآدم عليه السلام واما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر واما قوس قزح فامان من الله لعباده من الغرق واما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل واما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سينا كان بينه وبين الارض المقدسة اربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل اطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد ان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا القيته عليكم فاخذوا التوراة معتذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الاية واما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام واما الشئ الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس واما اليوم فعمل وامس فمثل وغد فاجل وبعد غد فامل واما البرق فمخاريق بايدى الملائكة تضرب بها السحاب واما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره واما المحو الذى فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ودعا بس الملك

لعبدين

لصديق له فقال تمم الله عليك ما انت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم
تحتسبه (وحكى) ان الحجاج سال يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها
من جملتها ان قال له من اكرم الناس قال افقههم فى الدين واصدقهم لليمين وابذلهم
للمسلمين واكرمهم للمهانين واطعمهم للمساكين قال فمن الأم الناس قال المعطى على الهوان
المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال اطولهم جفوة وادومهم صبوة
واكثرهم خلوة واشدهم قسوة قال فمن اشجع الناس قال اضربهم بالسيف واقراهم للضيف
واتركهم للحيف قال فمن اجبن الناس قال المتاخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش
عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن اثقل الناس قال
المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس
قال اكثرهم احسانا واقومهم ميزانا وادومهم غفرانا واوسعهم ميدانا قال لله ابوك
فكيف يعرف الرجل الغريب احسيب هو ام غير حسيب قال اصلح الله الامير ان الرجل
الحسيب يدلك ادبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن
مداراته على اصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله
فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها
واكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله ابوك فما العاقل والجاهل
قال اصلح الله الامير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا
والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على من هو فوقه المتعاظم
على غلامه قال لله ابوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شانه التارك لما لا يعنيه قال
فما العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال اصلح الله
الامير انى بشانهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من امهات الاولاد بمنزلة الاضلاع
ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه
ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن اعفهن واخرهن
احسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن انتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان انى موجهك
الى ابن الاشعث وافدا فما ذا انت قائل له قال اصلح الله الامير اقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه
فقال انى اظنك لا تقول له ما قلت وكانى بصوت جلاجلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا
اصلح الله الامير ساحد له لسانى واجريه فى ميدانى قال فعند ذلك امره بالمسير الى كرمان
فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه اى جاسوسا وكان يفعل ذلك
مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ
حذرك وتغد به قبل ان يتعشى بك فاخذ حذره عند ذلك ثم امر للغضبان بجائزة سنية
وخلع فاخرة فاخذها وانصرف راجعا فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة
شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن

واذا هو قد اقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابي قال اصابتني الرمضاء وشدة الحر والظماء فتيممت قبتك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة اكبر من هذه واعظم قال ايتهن تعني قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه امنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال اكره ان يكون لي اسمان قال بالله من اين انت قال من الارض قال فاين تريد قال امشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر اتقرض الشعر قال انما يقرض الفار فقال افتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي ان ادخل قبتك قال خلفك اوسع لك فقال قد احرقني حر الشمس قال ما لي عليها من سلطان فقال الرمضاء احرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا اريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل ان تطلع اضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلى هراوة اضرب بها راسك فاستغاث الاعرابي يا جار بني كعب قال الغضبان بئس الشيخ انت فوالله ما ظلمك احد فتستغيث فقال الاعرابي ما رايت رجلا اقسى منك اتيتك مستغيثا فحجبتني وطردتني هلا ادخلتني قبتك وطارحتني القريض قال ما لي بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن انت فقال انا الغضبان بن القبعثري فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب بيتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة فقال الاعرابي اني لاظنك حروريا قال اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده فقال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما اقدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله في قوم تسودهم • اني اظنك والرحمن شيطانا
اتيت قبته ارجو ضيافته • فاظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت ارض كرمان قال اصلح الله الامير ارض يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج الست صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له الم اقل لك كاني بصوت جلاجلك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فاعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا ايها

الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبرونى بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان نبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتى هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها فى غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن له فى الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد فى عمرك من أعمارنا وأن يقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق لا تعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول ما دمت بين الله وبين عباده والأمين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفى نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر أمير المؤمنين فى الضياع التى أفادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل أسلافه الطاهرين الراشدين وقد قمت مقامى هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين وبالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدى ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المهديين بعد خاتم النبيين عن نفسها اليك بالطاعة التى أفرع عليها غصنى واحتنكت بها سنى وريش بها جناحى متعوذا من شماتة الأعداء وحلول البلاء ومفارقة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن على جدى وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق فى نصابه وأقره فى داره وأربابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتى غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا فى الاصلاب ونطفا فى الأرحام وقدمنا فى القرابة حيث قدمنا الله منك فى الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع

مسئول عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا امير المؤمنين انه لا عفو اعظم من عفو امام قادر عن مذنب تائب وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله امير المؤمنين بستره الواقي ومنعه الكافي ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب • لهم قربى وليس لهم تلاد
هم الصدر المقدم من قريش • وأنت الرأس تتبعك العباد
لقد طابت بك الدنيا ولذت • وأرجو أن يطيب بك المعاد
فكيف تنالكم نفحات عتبى • وكيف يقل سودد البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه • ومن حكايات الفصحاء ونوادر الظرفاء ما حكى أن عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامه وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول أنف أسنان أذن بطن بنصر بزة ترقوة تمرة تينة ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دردير ذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سره سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طره طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تريد ما عليها شيأ اعطوه ما يتمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في الاحسان اليه وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك أتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامي فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي اليهم كل يوم الشمس اذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكي) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين

عبد الملك بن مروان اضطراب اهل العراق جمع اهل بيته واولى النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها واملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكى وأنف حمى يخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويداوى الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم احد فقام الحجاج وقال يا امير المؤمنين أنا للعراق قال ومن أنت لله أبوك قال أنا الليث الضمضام والهزبر الهشام أنا الحجاج بن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعمل السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هناك ثم قال ما لي أرى الرؤس مطرقة والألسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا مجندل الفساق ومطفئ نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عنى وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلنى قطعته ومن نازعنى قصمته ومن خالفنى نزعته ومن دنا منى اكرمته ومن طلب الأمان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته فهذه آيتى وعلامتى وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلونى فان كنت للاعناق قطاعا وللأموال جماعا وللأرواح نزاعا ولك فى الأشياء نفاعا والا فليستبدل بى أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذى تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هيئ له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة اذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قدم اميرا على العراق فتطاولت الأعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشى وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من اهل بيته ومواليه وأتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان فى المسجد يومئذ عمير بن ضابئ التميمى فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له أسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن ضابئ وقال لعن الله بنى أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا اميرا كما هو ما كان بشئ والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيئا فقال انى لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الأمير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان

أو لشئ ينطق به ان قال وانى لأرى رؤسا أينعت وقد حان قطافها وانى لصاحبها
وانى لأرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانته بين
يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة
واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأنكلن بكم فى البلاد ولأجعلنكم مثلا فى كل واد ولأضربنكم
ضرب غرائب الابل وانى يا أهل العراق لا أعد الا وفيت ولا أعزم الا أمضيت فاياى
وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية
كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى
من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا
فليس منى الاهذار والاكثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله
لأمير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم انى وجدت الصدق مع البر ووجدت البر فى الجنة
ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور فى النار وقد وجهنى أمير المؤمنين اليكم
وأمرنى أن أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله
لا أجد أحدا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير
المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من
المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال
أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيأ هذا أدبكم الذى تأدبتم به أما والله لأؤدبنكم
أدبا غير هذا الأدب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى
أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا
يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الأمير انى على الضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى
منى على الأسفار أفتقبله بديلا منى فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى
من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ الذى يقول

همت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ فى بطنه فكسر ضلعين من
أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت
يوم قتل الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا سياف اضرب عنقه فضرب عنقه
وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر ومن حكايات الحجاج ما حكى أنه لما أسرف فى قتل
أسرى دير الجماجم وأعطى الأموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه
وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف فى الدماء وتبذير فى العطاء وقد حكمت عليك
فى الدماء فى الخطأ بالدية وفى العمد بالقود وفى الأموال أن تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برأيى
فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لى فما أغناك عنهم وان كنت أردتهم لنفسك
فما أغناك عنهم وسيأتيك عنى أمران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية

وإذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا أكرهها ○ وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه
فان ترمني غفلة قرشية * فيارب ما قد غص بالماء شاربه
وان ترمني وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادث جمة * فانك مجزي بالذي أنت كاسبه
فلا تعد ما يأتيك مني وان تعد * يقمن به يوما عليك نوادبه
فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطي الحقوق فانما النـ ـنوافل شئ لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر اسرافي في الدماء وتبذيري في الاموال ولعمري ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلي العصاة اسرافا واعطائي المطيعين تبذيرا فليمض لي أمير المؤمنين ما سلف ووالله ما أصبت القوم خطاء فأوديهم ولا ظلمتهم عمدا فأفديهم ولا قتلت الا لك ولا أعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنا لا أبغي رضاك وأتقي * أذاك فليلي لا توارى كواكبه
وما لامرئ بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذي هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * وأقصي الذي تسري الى عقاربه
وأعطي المواسي في البلاء عطية * لرد الذي ضاقت علي مذاهبه
فمن يتق بؤسي ويرجو مودتي * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمري اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم مني أردته * وما لم ترده اليوم اني مجانبه
وقف بي على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والأمور فانني * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتي ولم يعاود لأمر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومني على محبته يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هناك * وفي مروج الذهب للمسعودي أن أم الحجاج وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب له دبر وأبى أن يقبل الثدي وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا والعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدي فلأجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة غير أبيه الحارث بن كلدة فدخل

عليها يوما في السحر فوجدها تخلل أسنانها فطلقها فسألته لم فعل فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفيك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضي الأمر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفي فأولدها الحجاج (وقيل) ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف في القتل على ما لا يستطاع وصف * أحصي من قتله الحجاج بأمره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لمحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد (وقيل) للشعبي أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقد مضى القول في ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

* (ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن) *

(حكي) عن أبي عبد الله النميري انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أوعندك علم بالأنساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال من أجملها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها

منه

منه فزوجه بها واخذها وعاد مسرورا وهي والدة ولده العباس والله أعلم (وحكى
أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ اليها يخطبها
وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم
ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام
بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ما شاء الله
ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل
فان ولدت مهرا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها
عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر
طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد
الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر
انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي
من كلب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف
له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير
المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب
اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلي الاناء
يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد
الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود
الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها
أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك
فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الأمر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها
بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند في محمل
الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها
فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء يا داية اكشفي
لي سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشأ يقول

فان تضحكي مني فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

وما نبالي اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الأرض

وزادت بأجمالها انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا
فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا
الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج
بها وكان من أمرها ما كان * وقد وجدت في بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرت
على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها
وقال لمولاها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية
مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول فقال قولي فأنشدت تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها * وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة في الجمال
فائقة في الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذ بيدها وارجع فلولا عرج
بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه
فأعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها * ومن ذلك ما حكي أن كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب
فعبر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد
وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز
كانت تخدمه وكانت الجارية عزبا وكتب اليها رقعة يعرض لها بالزيارة في جوسقها فلما
قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبرا وجعلت فيه زر ذهب وربطت
ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه
وتحير في أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا في ذلك قالت له يا أبت أنا
علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر خفي الختام
فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا في الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها (وحكي) أن طائفة من بني تميم
كانوا يكرهون أكل البصل فمرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فنادى أحد منهم
وأراد أن يوقعها فيما ينسب اليهم من أكل البصل فقال لأي شيء يا بني تميم ما تكثرون فقالت
ولم لا نكثر وكثرت البصل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها
وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيئا من العروض قال نعم قالت فقطع لي

حولوا عنا كنيستكم * يا بني حمالة الحطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والألف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت
أصحابه فقال ويحك لم تبرحي حتى أخذت بثاري (وحكي) أن شاعرا كان له عدو فبينما
هو سائر ذات يوم في بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له

يا هذا انا اعلم ان المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا انت قتلتني امض الى داري وقف بالباب وقل الا ايها البنتان ان اباكما فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله اتى الى داره ووقف بالباب وقال الا ايها البنتان ان اباكما وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل الا ايها البنتان ان اباكما اجابتاه بفم واحد قتيل خذا بالثار ممن اتاكما ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فاقر بقتله فقتله والله اعلم * وقيل بينا كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال انا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندا جثجاثها وعرارها

باطيب من اردان عزة موهنا * اذا اوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل امك لطاب ريحهما لا قلت مثل سيد الشعراء امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل اتى الحجاج بامراة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون فيها قالوا عاجلها بالقتل ايها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا ارجه واخاه واتى باخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وانت لا تنظرين اليه فقالت اني لاستحيي ان انظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى) ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه ان أصدقة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم وان فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اربعمائة درهم فادى اجتهاد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه ان لا يزيد احد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها فصعد المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه وقال ايها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على اربعمائة درهم فمن زاد القيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس ان يكلموه فقامت امراة في يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال عمر رضي الله عنه امراة اصابت ورجل اخطأ * وقيل جاءت امراة الى امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقالت يا امير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا فقال يا امير المؤمنين ان هذه المراة تشكو زوجها في امر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها فاحكم بينهما فقال كعب علي بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المراة تشكوك قال أفي امر طعام ام شراب قال بل في امر مباعدتك اياها عن فراشك فانشأت المراة تقول

يا ايها القاضي الحكيم أنشده * الهى خليلي عن فراشي مسجده

نهاره وليله لا يرقده * فلست في امر النساء احمده

قالث الزوج يقول

زهدني في فرشها وفي الحجل * اني امرؤ اذهلني ما قد نزل

في سورة النمل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقا يا رجل * في اربع نصيبها لمن عقل

فاعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله تعالى احل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا ادري من ايكم اعجب أمن كلامك ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة (حكاية المتكلمة بالقران) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما انا في بعض الطريق اذا انا بسواد على الطريق فتميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت انها ضالة عن الطريق فقلت لها اين تريدين قالت سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها انت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما ارى معك طعاما تاكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت بأي شئ تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم اتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم فقلت قد ابيح لنا الافطار في السفر قالت وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما اكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن اي الناس انت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فقلت قد اخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك ان احملك على ناقتي حتى تدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فانخت ناقتي قالت قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما ارادت ان تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فقلت لها اصبري حتى اعقلها قالت ففهمناها سليمان فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فاخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت امشي رويدا رويدا واترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد اوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا اولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت الك زوج قالت يا ايها الذين امنوا

لانسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم اكلمها حتى ادركت بها القافلة فقلت لها
هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت انها اولاد ا
فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت انهم ادلاء الركب
فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم
خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى
فاذا انا بشبان كانهم الاقمار قد اقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى احدهم فاشترى طعاما
فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم
على حرام حتى تخبروني بامرها فقالوا هذه امنا لها منذ اربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة
ان تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن في الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك) *

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي
حفصة مائة الف على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا امير المؤمنين انما اعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال احسنت والله يا معن وامر له بالجوائز والخلع * ووفد ابن ابي محجن على معاوية
فقام خطيبا فاحسن فحسده معاوية واراد ان يرقعه فقال له انت الذي وصاك ابوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * اخاف اذا مامت ان لا اذوقها

قال بل انا الذي يقول ابي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته * وسائل الناس ما جودي وما خلقي
اعطي الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح ارويه من العلق
واطعن الطعنة النجلاء عن عرض * واكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية احسنت والله يا ابن ابي محجن وامر له بصلة وجائزة (وقيل) اخذ
عبد الملك بن مروان بعض اصحاب شبيب الخارجي فقال له الست القائل

ومنا سويد والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فقال يا امير المؤمنين انما قلت ومنا امير المؤمنين شبيب واردت بذلك مناداة لك فكان

ذلك سببا لنجاته * ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله من شريك وان اباك لاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن امية وما امية الا امة صغرت فكيف صرت امير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

ايشتمني معاوية بن حرب * وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث * ضراغمة تهش الى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه * وربات الحجال من الغواني

ودخل يزيد بن ابي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا اجرك رسنه وولاك امانته فقال يا امير المؤمنين رأيتني والامر لك وهو عني مدبر فلو رأيتني وهو علي مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت * واستعظمت مني ما استحقرت فقال سليمان اترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا امير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر واذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين ابيك وشمال اخيك فحيث ما كانا كان * وقال يهودي لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم انتم لم تجف اقدامكم من البلل حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة * ووجد الحجاج على منبره مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فاجلسه معه على سريره ثم قال له انتم معشر بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال له عقيل وانتم معشر بني امية تصابون في بصائركم وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فاقبل عليهم وقال يا بني هاشم ان خيري لكم لممنوح وان بابي لكم لمفتوح فلا ينقطع خيري عنكم ولا يرد بابي دونكم ولما نظرت في امري وامركم رأيت امرا مختلفا انكم ترون انكم احق بما في يدي مني واذا اعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله اوسع منك ولئن اغلقت دوننا بابا لنكفن انفسنا عنك واما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر اكفاك ام ازيدك قال كفاني يا ابن عباس * وقال معاوية يوما ايها الناس ان الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين ونحن عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فاجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول

وكذب

وكذب به قومك وهو الحق وانتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك
منه يصدون وانتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن
مهجورا وانتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا زدناك * وقال معاوية ايضا لرجل من اليمن
ماكان اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال اجهل من قومي قومك الذين قالوا
حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية بن قدامة ماكان اهونك على قومك اذ سموك جارية فقال
ماكان اهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب قال اسكت لا ام لك
قال ام لي ولدتني اما والله ان القلوب التي ابغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي
قاتلناك بها لفي ايدينا وانك لم تملكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك اعطيتنا عهدا وميثاقا
واعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا
رجالا اشدادا واسنة حدادا فقال معاوية لا اكثر الله في الناس مثلك يا جارية فقال له قل
معروفا فان شر الدعاء محيط باهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان
من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونني اذا قصرت في عطاياكم
فقال له الاحنف وانا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما انزله الله لنا من خزائنه
فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان
بغير مئزر فرآه ابو حنيفة رضي الله عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى
اعماك الله قال حين هتك سترك * ومن ذلك ما حكي ان الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ
من نزهته صرف عنه اصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من اين ايها
الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون
اموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ما ولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من
استعمله قال اتعرف من انا قال لا قال انا الحجاج قال جعلت فداك او تعرف من انا قال لا
قال انا فلان بن فلان مجنون بني عجل اصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وامر له
بصلة * وقال رجل لصاحب منزل اصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه
يسبح قال اني اخاف ان تدركه رقة فيسجد * وقالت عجوز لزوجها اما تستحيي ان تزني ولك
حلال طيب قال اما حلال فنعم واما طيب فلا * وقال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد
قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال ادب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان
عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد * وتنبأ رجل في زمن المنصور فقال له
المنصور انت نبي سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يبعث الى شكله * ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة
ما ذكر ان ابراهيم مغني الرشيد غنى يوما بين يديه فقال له احسنت احسن الله اليك فقال له
يا امير المؤمنين انما يحسن الله اليك بك فامر له بمائة الف درهم * وقال رجل لبعض العلوية

ان بستان فقال العلوى وان النهر الذى يسقى منه البستان • وذبحت عائشة رضى الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وفضلت منها كتفها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ما عندك منها فقالت ما بقى منها الا الكتف فقال كلها بقى الا الكتف • وقال عبد الله بن يحيى لابى العيناء كيف الحال قال انت الحال فانظر كيف انت لنا فامر له بمال جزيل واحسن صلته • وكان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المامون ليلة فخرج المامون يتفقد الحرس فقال للعمرو من انت قال عمرو عمرك الله ابن سعد اسعدك الله ابن سالم سلمك الله قال انت تكلونا الليلة قال الله يكلؤك يا امير المؤمنين وهو خير حفظا وهو ارحم الراحمين فقال المامون

ان اخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه اربعة آلاف دينار قال عمرو ووددت لو ان الابيات طالت • وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى صغير ارايت يا فتح احسن من هذا الفص لفص كان فى يده فقال نعم يا امير المؤمنين اليد التى هو فيها احسن منه فاعجبه جوابه وامر له بصلة وكسوة • وقيل ان رجلا سال العباس رضى الله عنه انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر وانا ولدت قبله • وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندى انت سعيد قال امير المؤمنين السعيد وانا ابن مرة • وقال المامون للسيد بن انس انت السيد قال امير المؤمنين السيد وانا ابن انس • وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه انا اطول ام انت قال الامير اطول وانا ابسط قامة اراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكنى اقتصرت على هذا واوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية وبالله تعالى العون والعناية

* (الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد) * * (وهفوات الاجواد) *

قيل خطب المامون فقال اتقوا الله عباد الله وانتم فى مهل وبادروا الاجل ولا يغرنكم الامل فكانى بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواصله وحثيت اكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالى بجسده البالى فهو فى التراب عفير والى ما قدم فقير • وقال الشعبى ما سمعت احدا يخطب الا تمنيت ان يسكت مخافة ان يخطئ ما خلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا • وخطب على رضى الله عنه فقال فى خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان اقمتم اخذكم وان فررتم منه ادرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر الا وان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار الا وانه يتكلم فى كل يوم ثلاث كلمات فيقول انا بيت الظلمة انا بيت الوحشة انا بيت الديدان الا وان وراء ذلك اليوم يوما اشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع

كل ذات

كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الا وان ورا ذلك اليوم يوما اشد منه فيه نار تستعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال الا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ادخلنا الله واياكم دار النعيم واجارنا واياكم من العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال في بعض خطبه ان ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن رضي الله عنه خطب بالبصرة فقال ايها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو وكل صمت في غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والاخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في اضغاث احلام * قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد واظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال امير المومنين هذا واشار الى معاوية ثم قال فان هلك فهذا واشار الى يزيد ثم قال فمن ابى فهذا واشار الى سيفه فقال له معاوية انت سيد الخطباء

(فصــل) في ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي وقيل امسك على النابغة الجعدي اربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بني جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا اسر منا بالظفر بعدونا وقال ابو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امراة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له اقرأت القرآن قال نعم قال افرضت الفرائض قال نعم قال ارويت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله بن زياد بارك الله لك في ابنك فاروه الشعر فقد وجدته كاملا واني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اروو الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق وينهى عن مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتني الا قول القائل

اقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدي او تستريحي

وقيل لم ير قط اعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحمر كان يعمل الشعر على السنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على ان يتكلم في بيت من الشعر شكوا فيه فابى وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يعطي الشعراء فقيل له في ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك وقال ابو الزناد ما رايت اروى للشعر من عروة قلت له ما ارواك يا ابا عبد الله فقال وما روايتي مع رواية عائشة رضي الله عنها ما كان ينزل بها شيء الا انشدت فيه شعرا وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا ولا يتعلق به وزن
فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه اشهد انك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم فمن ذلك قول قيس
ابن الحطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ما اخذه من ابيات قصيدة طرفة بن العبد وهي معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

ومن ذلك قول عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

اخذه من قول امرئ القيس

فلو انها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط انفسا

ويقال من سرق شيأ واستره فقد استحقه وهو ان يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ
فمن السرقة الفاحشة قول كثير في عبد الملك بن مروان

اذا ما اراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

اخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروي

اذا ما اراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة بحره وقدرته على غزر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

وقد قال الشماخ

وامر ترجي النفس ليس بنافع * وآخر يخشى ضيره لا يضيرها

وهو ماخوذ من قول الآخر

ترجي النفوس الشيء لا تستطيعه * وتخشى من الاشياء ما لا يضيرها

وابو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

واحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا في سواد المطالب

اخذه من قول الاخطل

رايت بياضا في سواد كانه * بياض العطايا في سواد المطالب

(ومن سقطات الشعرا) ما قيل ان ابا العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثير السقطات
انه لقي محمد بن مناذر بمكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا امير المؤمنين
شاعر البصرة يقول قصيدة في كل سنة وانا اقول في كل سنة مائتي قصيدة فادخله الرشيد

اليه

اليه وقال ماهذا الذي يقول ابو العتاهية فقال يا امير المؤمنين لو كنت اقول كما يقول

الا يا عتبة الساعه * اموت الساعة الساعه

لقلت كثيرا ولكني اقول

ان عبد الحميد يوم توفى * هدّ ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

فاعجب الرشيد قوله وامر له بعشرة الاف درهم فكاد ابو العتاهية يموت غما واسفاه وكان بشار بن برد يسمونه ابا المحدثين ويسلمون اليه في الفضيلة والسبق وبعض اهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سليمى حبتي * قصب السكر لا عظم الجمل

واذا ادنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله في الفخر

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله ايضا

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

وابو الطيب المتنبي في فضله المشهور واخذه بزمام الكلام وقوته على دقائق المعاني وعلى ما في شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

وغير شئ معناه المعدوم والمعدوم لا يرى فهذا سقط فاحش

ومما يستهجن من قوله ويكاد ان تمجه الاسماع قوله

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان او هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس اهل النهب اولى * باهل المجد من نهب القماش

اخذه من قول ابي تمام

ان الاسود اسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال ابو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي اشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين بينهم لعقلها وبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها امرهم فقالت لراوية جرير اليس صاحبك الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

فاي ساعة احلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلي بسلام ثم قال لراوية كثير اليس صاحبك الذي يقول

يقر بعيني ما يقر بعينها * واحسن شئ ما به العين قرت

وليس شئ اقر بعينها من النكاح ايحب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قال لراوية جميل اليس صاحبك الذي يقول

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما اراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قال لراوية نصيب اليس صاحبك الذي يقول

اهيم بدعد ما حييت فان امت * فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

فما له همة الا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

اهيم بدعد ما حييت فان امت * فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قال لراوية الاحوص اليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بانعم ليلة والذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم يثن على واحد منهم واحجم رواتهم عن جوابها رضي الله عنها (وروى) عن الكلبي قال لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فاقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

يا ايها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك اني قد خلا زمني

ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * اني لدى الباب كالمشدود في قرن

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

فقال نعم يا ابا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك والسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضي الله عنه مالي وللشعراء فقال يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن ربيعة القرشي قال لا قرب الله قرابته ولا حيى وجهه اليس هو القائل

الا ليتني في يوم تدنو منيتي * شممت الذي ما بين عينيك والفم

وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم

ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي * هنالك او في جنة او جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذري قال اليس هو القائل

الا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها

فما انا في طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها

اظل نهاري لا اراها وتلتقي * مع الليل روحي في المنام وروحها

والله لا يدخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال اليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

ابعده الله فوالله لا يدخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصاري قال ابعده الله
والله لا دخل علي ابدا اليس هو القايل وقد افسد على رجل من اهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بيني وبين سيدها * يفر مني بها واتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال اليس هو القايل يفتخر بالزنا في قوله

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * احي فيرجى ام قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الاجراس لا يفطنوا بنا * ووليت في اعقاب ليل اباذره

والله لا دخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبي قال اليس هو القايل

ولست بصايم رمضان عمري * ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقايم كالعبد يدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا * واسجد عند منبلج الصباح

ابعده الله عني فوالله لا دخل علي ابدا ولا وطئ لي بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال اليس هو القايل

طرقتك صايدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهذا فايذن له قال عدي بن ارطاة فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول

ان الذي بعث النبي محمدا * جعل الخلافة في الامام العادل
وسع الخلايق عدله ووقاره * حتى ارعووا واقام ميل المايل
اني لارجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل
والله انزل في الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العايل

فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فانشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء ارملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفي فقد والده * كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
اأذكر الجهد والبلوى التي نزلت * ام قد كفاني ما بلغت من خبري
انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
ان الخلافة جاءته على قدر * كما اتى ربه موسى على قدر
هذي الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا * بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال والله يا جرير لقد وليت الامر وما املك الا ثلاثمائة دينار فمائة اخذها عبد الله
ابني ومائة اخذتها ام عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه المائة الثالثة فقال والله يا امير

المؤمنين انها لاحب مالي اكتسبه ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ورائي ما يسوءكم خرجت من عند امير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض ثم انشأ يقول

رأيت رقى الجن لا يستفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

* (وما جاء في كبوات الجياد وهفوات الامجاد) *

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقلت عثراته وقالوا لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا ابا بحر ما كان ابوك في قومه قال كان اوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان ابوك قال كانت له فتوة ومروءة ومكارم اخلاق ولم يكن اهتم سلاحا * وقال سعيد بن المسيب ما فاتني الاذان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد (وقال) قتادة ما نسيت شيئا قط ثم قال يا غلام ناولني نعلي قال النعل في رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بني امية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادي حدا به يوما فقال

ان عليك ايها البختي * اكرم من تمشي به المطي

فقال هشام صدقت وذكر عنده سليمان اخوه فقال والله لاشكونه يوم القيامة الى امير المؤمنين عبد الملك ولما ولي الخلافة قال الحمد لله الذي انقذني من النار بهذا المقام قال النابغة اى الرجال المهذب * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب العاشر في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما اشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة اقوام افئدتهم مثل افئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة * وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعاني اجبته ومن استغاثني اغثته ومن استنصرني نصرته ومن توكل علي كفيته فانا كافي المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين حكي انه كان في زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فأمر الخليفة هارون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وامر بكسر آلات الطرب ففي بعض الايام رؤي عبد يصفق ويرقص ويغني فحمل الى الخليفة هارون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بر وانا متوكل عليه ان يطعمني منها فلهذا

الا اذا الا بالى فانا ارقص وافرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على
مخلوق مثله فالتوكل على الله اولى فسلم للناس احوالهم وامرهم بالتوكل على الله تعالى وحكى ان
حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له اولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة
وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع اصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج فدخل
الشوق قلبه ثم دخل على اولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو اذنتم لابيكم ان يذهب
الى بيت ربه فى هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته واولاده
انت على هذه الحالة لا تملك شيئا ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن
بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو اذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه
يذهب حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله
هذه الصغيرة يا ابانا انطلق حيث احببت فقام من وقته وساعته واحرم بالحج وخرج
مسافرا واصبح اهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف اذنوا له بالحج وتأسف على فراقه
اصحابه وجيرانه فجعل اولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ما تكلمنا فرفعت
الصغيرة طرفها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وانك
لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلنى معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج امير البلدة متصيدا
فانقطع عن عسكره واصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الاصم
فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من انت قال الامير بابكم يستسقيكم فرفعت
زوجة حاتم رأسها الى السماء وقالت الهى وسيدى سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف
الامير على بابنا يستسقينا ثم انها اخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها
اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه
الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير
لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدى لقد سمعت انه البارحة احرم بالحج وسافر ولم يخلف
لعياله شيئا واخبرت انهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن ايضا قد ثقلنا عليهم اليوم
وليس من المروءة ان يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار
ثم قال لاصحابه من احبنى فليلق منطقته فحل جميع اصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم
انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم اهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل
الامير رجع اليهم الوزير ودفع لهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية
الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يجب ان تفرحى فان الله قد
وسع علينا فقالت يا ام والله انما بكائى كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة
فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى احد طرفة عين اللهم انظر الى ابينا
ودبره باحسن التدبير هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر حاتم ابيهم فانه لما خرج محرما
ولحق بالقوم توجع امير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل

عليه وكله وعياله فعوفي الامير من وقته فامر له بما يركب وما ياكل وما يشرب فنام تلك الليلة
مفكرا في امر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من اصلح معاملته معنا اصلحنا معاملتنا معه
ثم اخبر بما كان من امر عياله فاكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته اولاده
فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى اكبركم
ولكن ينظر الى اعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه
* ومن كلام الحكماء من ايقن ان الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم ان الذي قضي
عليه لم يكن ليخطيه فقد استراح من الجزع ومن علم ان مولاه خير له من العباد فقصده
كفاه همه وجمع شمله * وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله
عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك
بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء
قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام * ورفع الى الرشيد ان بدمشق رجلا
من بني امية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد
يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى
دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله
اليه الا اذا امتنع عليك فاذا اجاب فقيده وعادله بعد ان تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي
حاله وماله وقد اجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما افهمت قلت نعم
قال فسر على بركة الله فخرجت اطوي المنازل ليلا ونهارا لا انزل الا للصلاة او لقضاء
حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي
فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب
متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم هذا
رسول امير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت اقواما محتشمين فظننت ان المطلوب
فيهم فسألت عنه فقيل لي هو في الحمام فاكرموني واجلسوني وامروا بمن معي ومن صحبني الى
مكان آخر وانا اتفقد الدار واتأمل الاحوال حتى اقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من
كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن امير المؤمنين فاخبرته انه بعافية فحمد الله
تعالى ثم احضرت له اطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة كل معنا فتأملت فاذا اكثر ما لم
يكنني فقلت ما آكل فلم يعاودني ورأيت ما لم اره الا في دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله
ما رأيت احسن ترتيبا ولا اعطر رائحة ولا اكثر آنية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت
ليست لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت الى اصحابي فلم اجد احدا منهم عندي فحرت لكثرة حشمه
وعدم من عندي فلما غسل يديه احضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فاتم الركوع والسجود
واكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما اقدمك يا منارة فناولته كتاب امير المؤمنين

فقبله ووضعه على راسه ثم فضه وقراه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص اصحابه وغلمانه وساير عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلى وما شككت انه يريد القبض علىّ فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وساير ايمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف امره ثم اوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات يا مسارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر دمشق ابتداء يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرايب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا الست تعلم ان امير المؤمنين اهمه امرك حتى انفذ في خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وانت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد اخرجتك من منزلك ومن بين اهلك ونعمتك وحيدا فريدا وانت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سالتك عنه وكان شغلك بنفسك اولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد اخطات فراستي فيك يا مسارة ما ظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك فاذا انت جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء اما خروجي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية امير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشية الله تعالى فان كان قد قضى علىّ بامره فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر الله علىّ بشيء فلو اجتمع امير المؤمنين وساير من على وجه الارض على ان يضروني لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى وما لي ذنب فاخاف وانما هذا واش وشي عند امير المؤمنين ببهتان وامير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتي فهو لا يستحل مضرتي وعلىّ عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا ثم اعرض عني واقبل على التلاوة وما زال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند امير المؤمنين تكشف من اخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال هات يا مسارة اخبرني من يوم خروجك عني الى يوم قدومك علىّ فابتدات احدثه باموري كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدي لاصحابي فلم اجد منهم احدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه اسفر وجهه واستبشر فلما اخبرته بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد ازعجناه وارعبناه وشوشنا عليه وعلى اولاده واهله اخرج اليه وانزع قيوده وفكه وادخله علىّ مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به امير المؤمنين واجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له امير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع شملي باهلي وولدي قال هذا كاين فسل غيره قال عدل امير المؤمنين في عماله ما احوجني الى سؤال قال فخلع عليه امير المؤمنين ثم قال يا مسارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذي اخذته منه

ثم فى حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تنقطع اخبارك عنا وحوائجك فانظر الى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله اعطاه ما تمناه • وروى ان هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة فى التوراة فكتبها وهى يا ابن آدم لا تخافن من ذى سلطان ما دام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينفد ابدا يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائنى ملآنة وخزائنى لا تنفد ابدا يا ابن آدم لا تأنس بغيرى وانا لك فان طلبتنى وجدتنى وان أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفى اكثر منه فلا تطمع ومن اقله فلا تجزع فاذا أنت رضيت بما قسمته لك ارحت قلبك وبدنك وكنت عندى محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البر ولا ينالك منها الا ما قد قسمته لك وكنت عندى مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم اعى بخلقهن ايعيينى رغيف اسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم انا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا يا ابن آدم لا تطالبنى برزق غد كما لا اطالبك بعمل غد فانى لم انس من عصانى فكيف من أطاعنى وأنا على كل شئ قدير وبكل شئ محيط قال الشاعر

وما ثم الا الله فى كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتى ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم انفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن فى الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذى ترجوه منه تفضلا

(الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله) جاء فى تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ان المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يا رسول الله ما القناعة قال الاياس مما فى ايدى الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من القناعة بالمحل الاوفر وانه كان يشتهى الشئ فيدافعه سنة • قال الكندى العبد حر ما قنع • والحر عبد ما طمع وقال بشر بن الحارث خرج فتى فى طلب الرزق فبينما هو يمشى فاعيا فأوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على اسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هى

انى رأيتك قاعدا مستقبلى * فعلمت انك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقا * فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الاذى عن نفسه فى رزقه * لما تيقن انه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته ولزم التوكل وقال اللهم ادينا انت قال الجاحظ انما خالف الله بين طبايع الناس ليوفق بينهم فى مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفى ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه

فانما بك اذا راى من صاحبه تقصيرا او خلفا قال ويلك يا جمام والجمام اذا راى مثل ذلك
من صاحبه قال ويلك يا حايك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر
حكيم الا ترى الى البدوي في بيت من قطعة خيش معمد بعظام الجيف كلبه معه في بيته لباسه
شملة من وبر او شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلى زوجته الودع
وثماره المقل وصيده اليربوع وهو في مفازة لا يسمع فيها الا صوت بومة وعواء ذئب وهو
قانع بذلك مفتخر به * وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه يا بني اذا طلبت الغنى
فاطلبه في القناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم
تيأس من شيء الا اغناك الله عنه * واصاب داود الطائي فاقة كبيرة فجاءه حماد بن ابي حنيفة
رضي الله عنه باربعمائة درهم من تركة ابيه وقال هي من مال رجل ما اقدم عليه احدا في زهده
وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت اقبل من احد شيأ لقبلتها تعظيما للميت واكراما للحي
ولكني احب ان اعيش في عز القناعة * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت
منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وانشد

ان صنت زيدا بما في بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط
ان الذي قدر الاشيا بحكمته * لم ينسني قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما احسب ان شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضى ولا اعلم
درجة ارفع من الرضى وهو راس المحبة * قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته
المصيبة كما تسره النعمة * وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدي فسكر يوما ففاتته الصلاة
فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا
فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل
فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت راسه لبنة وما تحت جنبه شيء فقالا له انه لم يدع
احد شيأ لله الا عوضه الله منه بدلا فما عوضك عما تركت له قال الرضا بما انا فيه * وقال
الثوري ما وضع احد يده في قصعة غيره الا ذل له * وقال الفضيل من رضي بما قسم الله له
بارك الله له فيه * وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس في الشتاء جلالي
ونور القمر سراجي وبقل البرية فاكهتي وشعر الغنم لباسي ابيت حيث يدركني الليل ليس
لي ولد يموت ولا بيت يخرب انا الذي كببت الدنيا على وجهها بيت مفرد

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يؤرقه

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شيء من
ارزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم انكم اكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش
والبقر والحمر لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها * وقيل وفد عروة بن اذينة على هشام بن
عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له الست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي * ان الذي هو رزقي سوف يأتيني

اسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولوقعدت اتانى ليس يعييني

وقد جئت من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال يا امير المؤمنين لقد وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال فى نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد علىّ فجبهته ورددته خائبا فلما اصبح وجه اليه بالفى دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة واعطاه المال فقال ابلغ امير المؤمنين منى السلام وقل له كيف رايت قولى سعيت فاكديت فرجعت فاتانى رزقى فى منزلى * ولما وفى عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له انصارى وثقفى فلما سار تخلف الانصارى وقال الذى اعطى ابن عامر العراق قادر على ان يعطينى فوفد الثقفى وقال احوز المحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصارى قال رجع الى اهله فامر للثقفى باربعة الاف دينار وبعث الى الانصارى بثمانية الاف دينار فخرج الثقفى وهو يقول

فوالله ماحرص الحريص بنافع *	فيغنى ولا زهد القنوع بضائر
خرجنا جميعا من مساقط روسنا *	على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما انخنا الناجعات ببابه *	تخلف عنى اليثربى ابن جابر
وقال ستكفينى عطية قادر *	على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
وان الذى اعطى العراق ابن عامر *	لربى الذى ارجو لسد مفاقرى
فقلت خلالى وجهه ولعله *	سيجعل لى حظ الفتى المتزاور
فلما اتى اعطى سال تسنه صبابة *	اليه كما حنت ظؤار الاباعر
فابت وقد ايقنت ان ليس نافعا *	ولا ضائرا شئ خلاف المقادر

قيل اوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه اتدرى لم رزقت الاحمق قال لا قال ليعلم العاقل ان طلب الرزق ليس بالاحتيال * ولبعض العرب شعر

ولا تجزع اذا اعسرت يوما *	فقد ايسرت فى الزمن الطويل
* ولا تظنن بربك ظن سوء *	فان الله اولى بالجميل *
* وان العسر يتبعه يسار *	وقول الله اصدق كل قيل *
فلو ان العقول تسوق رزقا *	لكان المال عند ذوى العقول

واوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له انى لم اغفل عنها واغفل عنك وانت نبى وابن نبى * ودخل على بن ابى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد امسك على بغلتى فاخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج على وفى يده درهما ليكافى بها الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال على رضى الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على

ما ندر له • وقيل لراهب من اين تاكل فاشار الى فيه وقال الذى خلق هذه الرحى يا تيها بالطحين • وقال سليم بن المهاجر البجلى

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه • به الله عن غشيان كل بخيل
فما شئت لم آت البخيل ولم اقم • على بابه يوما مقام ذليل
وان قليلا يستر الوجه ان يرى • الى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من اين تاكل قال اصبر حتى اعيد صلاتى التى صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك فى رزقه شك فى خالقه وقال ابو حازم مالم يكتب لى لو ركبت الريح ما ادركته • وقال عمر بن ابى عمر اليونانى

غلا السعر فى بغداد من بعد رخصه • وانى فى الحالين بالله واثق
فلست اخاف الضيق والله واسع • غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستانى

غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم • وان الغنى الاعلى عن الشئ لا به

وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندى • بين القنا والاسنه
والخيل تجرى سراعا • مقطعات الاعنه
من ان يكون لنذل • على فضل ومنه

وانشد اعرابى

يا مالك لا تسال الناس والتمس • بكفيك فضل الله فالله اوسع
ولو تسال الناس التراب لاوشكوا • اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنى قال عليك باليأس مما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشئ فى السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من اين معاشكم قالت لو لم نعش الا من حيث نعلم لم نعش وقال اعرابى احسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك وقال المعرى

اذا كنت تبغى العيش فابغ توسطا • فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى اهلة • ويدركها النقصان وهى كوامل

وقال آخر

اقنع بايسر رزق انت نائله • واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص • ولا تعكر الا فى الزيادات

وقال اعرابى استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصرى

وكم ملك جانبته عن كراهة • لاغلاق باب او لتشديد حاجب
ولى فى غنى نفسى مراد ومذهب • اذا انصرفت عنى وجوه المذاهب

وقيل ينبغي ان يكون المرء في دنياه كالمدعو الى الوليمة ان اتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخي قال لي ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى اخبرني عما انت عليه قلت ان رزقت اكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل انت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

هي القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا باجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال آخر

وان القناعة كنز الغنى * فصرت باذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني له منهمك
فصرت غنيا بلا درهم * امر على الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلي الى اهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيأ للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكي من الفرح ويقول باي يد كانت مني تركت مثلي على هذه الحالة والله تعالى اعلم

(الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فابليت وتصدقت فامضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان اردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلاح اول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه وقيل لحكيم ما بال الشيخ احرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما احسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنية تدعى اليها

وقال آخر واجاد

قد شاب راسي وراس الحرص لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفي تعب

وقيل للاسكندر ما سرور الدنيا قال الرضاء بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رايت الاجل ومروره لنسيت الامل وغروره وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى اسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فاقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي ما ابلغه وعن ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه لا يزال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال

قصير الاجل طويل الامل سيئ العمل وقيل من جرى في عنان امله كان عاثرا باجله لو ظهرت الاجال لافتضحت الآمال ولقد احسن ابو العباس احمد بن مروان في قوله

وذي حرص تراه يلم وفرا • لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو • فريسته ليأكلها سواه

ولقد احسن من قال في الجناس الحقيقي

اذا ما نازعتك النفس حرصا • فامسكها عن الشهوات امسك
ولا تحرص ليوم انت فيه • وعد فرزق يومك رزق امسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من الهاه امله اخزاه عمله قال عبد الصمد بن المعذل

ولي امل قطعت به الليالي • اراني قد فنيت به وداما

وقال الحسن اياكم وهذه الاماني فانه لم يعط احد بالامنية خيرا قط في الدنيا ولا في الآخرة قال الشاعر

وما قد نولي فهو لاشك فائت • فهل ينفعني ليتني ولعلي

وقال آخر

ولا تشتغل بالاماني فانها • عطايا احاديث النفوس الكواذب

وقال اخر ولجاد

الله اصدق والآمال كاذبة • وجل هذى المنى في الصدر وسواس

وقال آخر

شط المزار بسعدى وانتهى الامل • فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاء فما ندري اندركه • ام يستمر فيأتي دونه الاجل

وقال ابو العتاهيه

لقد لعبت وجد الموت في طلبي • وان في الموت لي شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتي فيما خلقت له • ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي

وله ايضا

تعالى الله يا سلم بن عمرو • اذل الحرص اعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا • اليس مصير ذلك للزوال

وقد ضمنت البيت الاخير فقلت

ايا من عاش في الدنيا طويلا • وافنى العمر في قيل وقال
واتعب نفسه فيما سيفنى • وجمع من حرام او حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا • اليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء في الطمع وذمه) قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضي الله عنه ما الخمر صرفا باذهب بعقول الرجال من الطمع وفي الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبد رق وعبد

شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من اراد ان يعيش حرا ايام حياته فلا يسكن قلبه الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من ارباب العلم قال الذين يعملون به قال فما اذهب العلم عن قلوب العلماء بعد ان علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس واجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواضعوا ثم افترقوا وهم مجمعون على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة اشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في اولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه ان الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسماعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلمي ان نفع * ما الذل الا في الطمع
من راقب الله نزع * عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع

وقال سابق البربري

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها * وكم من حريص اهلكته مطامعه

وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال ارى دخان جاري فأفت خبزي وقال ايضا ما رأيت رجلين يتساران في جنازة الا قدرت ان الميت اوصى لي بشئ من ماله وما زفت عروس الا كنت ابتني رجاء ان يغلطوا فيدخلوا بها الي قال بعضهم

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يده
واغضب على الطمع الذي * استدعاك تطلب ما لديه

والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب) *

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واختلف اهل التأويل في امره بالمشاورة مع ما امده الله تعالى به من التوفيق على ثلاثة اوجه احدها انه امره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها انه امره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها انه امره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان في غنية عن مشورتهم وهو قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد امرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق لحدبرامره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من اعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل

ورجل

ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الراي والمشورة واما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له راي ولا يشاور واما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له راي ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة واني لاستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال اعرابي لا مال اوفر من العقل ولا فقر اعظم من الجهل ولا ظهير اقوى من المشورة وقيل من بدا بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق ان لا يخيب رايه وقيل الراي السديد احمى من البطل الشديد قال ابو القاسم النهروندي

وما ألف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال علي رضي الله عنه خاطر من استغنى برايه وسمع محمد بن داود وزير المامون قول القايل

اذا كنت ذا راي فكن ذا عزيمة * فان فساد الراي ان يترددا

فاضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فانفذه عاجلا * فان فساد العزم ان يتقيدا

ولمحمد بن ادريس الطائي

ذهب الصواب برايه فكانما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

ولمحمد الوراق

ان اللبيب اذا تفرق امره * فتق الامور مناظرا ومشاورا

واخو الجهالة يستبد برايه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المامون في العهد

لقد بان وجه الراي لي غير انني * عدلت عن الامر الذي كان احزما

فكيف يرد الدر في الضرع بعدما * توزع حتى صار نهبا مقسما

اخاف التواء الامر بعد استوائه * وان ينقض الحبل الذي كان ابرما

وقال آخر

خليلي ليس الراي في جنب واحد * اشيرا علي اليوم ما تريان

ووصف رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه الف عين وفم فيه الف لسان وصدر فيه الف قلب وقال ازدشير بن تابك اربعة تحتاج الى اربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الراي الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن اول مشير واياك والراي الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لجوج وقيل ينبغي ان يكون المستشار صحيح العلم مهذب الراي فليس كل عالم يعرف الراي الصايب وكم ناقد في شيء ضعيف في غيره قال ابو الاسود الدؤلي

وماكل ذي نصح بمؤتيك نصحه * وماكل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على امر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير ان يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المتشاورين منافسة فتذهب اصابة الرأي لان من طباع المشتركين في الامر التنافس والطعن من بعضهم في بعض وربما سبق احدهم بالرأي الصواب فحسدوه وعارضوه وفي اجتماعهم ايضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك واذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من اذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم الحق الجاني بمن لا ذنب له وقيل اذا اشار عليك صاحبك برأي ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بان تقول انت فعلت وانت امرتني ولولا انت فهذا كله ضجر ولوم وخفة وقال افلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر في السباخ قال الشاعر يمدح من له رأي وبصيرة

بصير باعقاب الامور كانما * يخاطبه من كل امر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المضل حتى يجد ولما اراد نوح ابن مريم قاضي مرو ان يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وانت تستفتيني قال لا بد ان تشير علي قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي وكان يقال من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله في امره ما يحب وقال بعضهم خمير الرأي خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف مع رضى الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره وذو الهوى اسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكي) ان رجلا من اهل يثرب يعرف بالاسلمي قال ركبني دين اثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه وضاقت علي الارض ولم اهتد الى ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوي المودة والرأي فاشاروا علي بقصد المهلب بن ابي صفرة بالعراق فقلت له تمنعني المشقة وبعد الشقة

المهلب

المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادنى على ما ذكره الصديق الاول
فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق
فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له اصلح الله الامير انى قطعت اليك الدهناء
وضربت اكباد الابل من يثرب فانه اشار على بعض ذوى الحجى والرأى بقصدك لقضاء
حاجتى فقال هل اتيتنا بوسيلة او بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك اهلا لقضاء
حاجتى فان قمت بها فاهل لذلك انت وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم ايأس من غدك
فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما فى خزانة مالنا الساعة فاخذنى معه فوجدت
فى خزانته ثمانين الف درهم فدفعها الىّ فلما رأيت ذلك لم املك نفسى فرحا وسرورا ثم عاد
الحاجب بى اليه مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم ايها الامير وزياده
فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من اشار عليك بقصدنا
قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد احرزت صلته انشدته وانا واقف بين يديه

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك اهل الارض قاطبة * فانت والجود منحوتان من عود
من استشار رباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت دينى ووسعت على اهلى وجازيت المشير علىّ وعاهدت الله تعالى
ان لا اترك الاستشارة فى جميع امورى ما عشت (وحكى) عن الخليفة المنصور انه كان
صدر من عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس امور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة
ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن على وكان
واليا على الكوفة ما افسد عقيدته فيه واوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم
المنصور من ذلك وساء ظنه وتأرق جفنه وقل امنه وتزايد خوفه وحزنه فادته فكرته
الى امر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى واجراه على
عادة اكرامه ثم اخرج من كان بحضرته واقبل على عيسى وقال له يا ابن العم انى مطلعك على
امر لا اجد غيرك من اهله ولا ارى سواك مساعدا لى على حمل ثقله فهل انت فى موضع ظنى
بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال له عيسى بن موسى انا عبد امير
المؤمنين ونفسى طوع امره ونهيه فقال ان عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد
على ما بعضه يبيح دمه وفى قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم
المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله الزمه القصاص وسلمه الى
اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى
قال عيسى فلما اخذت عمى وافكرت فى قتله رأيت من الرأى ان اشاور فى قضيته من له
رأى عسى ان اصيب الصواب فى ذلك فاحضرت يونس بن قرة الكاتب وكان لى حسن
ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان امير المؤمنين دفع الىّ عمه عبد الله

وامرني بقتله واخفاء امره فما رايك في ذلك وما تشير به فقال لي يونس ايها الامير
احفظ نفسك بحفظ عمك وعم امير المومنين فاني ارى لك ان تدخله في مكان داخل دارك
وتكتم امره عن كل احد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه
مغالق وابوابا واظهر لامير المومنين انك قتلته وانفذت امره فيه وانتهيت الى العمل
بطاعته فكاني به اذا تحقق منك انك فعلت ما امرك به وقتلت عمه امرك باحضاره على
رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره انكر امره لك واخذك بقتله وقتلك به
قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها واظهرت لامير المومنين اني انفذت
امره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه اني قد قتلت عمه عبد الله دس
الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على ان يسالوه في اخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد
جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسالوه في عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضي
اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في مقام الوالد ثم امر باحضار
عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عمي
عبد الله ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت يا امير المؤمنين
فقال المنصور قد سالني فيه عمومتك وقد رايت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم
باجابة سؤالهم فيه فأتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا امير المومنين الم تامرني بقتله
والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو اردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد
ذلك ثم اظهر الغيظ وقال لعمومته قد اقر بقتل اخيكم مدعيا اني امرته بقتله وقد كذب علي
قالوا يا امير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شانكم به قال عيسى فاخذوني
الى الرحبة واجتمع الناس علي فقام واحد من عمومتي الي وسل سيفه ليضربني به فقلت له
يا عم افاعل انت قال اي والله كيف لا اقتلك وقد قتلت اخي فقال لهم لا تعجلوا وردوني الى
امير المؤمنين فردوني اليه فقلت يا امير المومنين انما اردت قتلي بقتله والذي برّ بي
سلمني الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حي سوي فان امرتني بدفعه اليهم دفعته اليهم فلما
ما طرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا
رفع راسه وقال ائتنا به فمضى عيسى واحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه
عندي وانصرفوا حتى ارى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت
روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان
المنصور اسكن عبد الله في بيت اساسه قد بني على الملح ثم ارسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط
البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها
البعيدة (ومما جاء في النصيحة) اعلموا ان النصيحة للمسلمين وللخلائق اجمعين من سنن المرسلين
قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى

على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو اهله وتنزيهه عما ليس له باهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق اجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها والحث على طريقته في بث الدعوة وتاليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم والنوى فيما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وفي منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ان شئتم لانصحن لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون في الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انى النذير فلا يغرركم احد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويردي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد انى قد اعددتك لأمر فقال يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وانشد الاصمعي

النصح ارخص ما باع الرجال فلا * ترد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها * على الرجال ذوي الالباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عز لها القبول
فخالفت الذي لك فيه حظ * فنالك دون ما املت غول

وقيل اشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب ان لا يضع يده في يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس معه فقال فيروز

امرتك امرا حازما فعصيتني * فاصبحت مسلوبا الامارة نادما

أمرتك بالحجاج إذ أنت قادر * فنفسك أول اللوم إن كنت لائما
فما أنا بالباكي عليك صبابة * وما أنا بالداعي لترجع سالما

ويقال من أسمعك النصيحة أسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولا ترفدن النصح من ليس أهله * ولكن حين تستغني برأيك غانيا
وإن امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا

وفي مثله قال بعضهم

من الناس من إن يستشرك فتجتهد * له الرأي يستغشك ما لم تتابعه
فلا تمنحن الرأي من ليس أهله * فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثاني عشر في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك) *

قال الله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات والآيات في ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منثورة * وروينا في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان * وقال شيخنا محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عليه في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إن هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب في معناها أنكم إذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمروا به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآية مرتبة في المعنى على قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط إن استمسك نفع وإن وقع أثر * ومن كلام علي رضي الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة إلا إذا بالغت في إيلامه فإن العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب وأنشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

وكتب رجل إلى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام * وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ * وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إنك إن أتيتني بعبد آبق كتبتك عندي حميدا ومن

كتبته عندي حميدا لم اعتذ به بعدها ابدا * وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظني واوجز فقال
يا امير المؤمنين هل احد احب اليك من نفسك قال لا قال ان اردت ان لا تسئ الى من تحب
فافعل وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ايها الناس الايام تطوي والاعمار تفنى
والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد
ويبليان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات
ولما التقى ميمون بن مهران الحسن البصري قال له لقد كنت احب ان القاك فعظني فقرأ الحسن
البصري افرايت من اتخذ الهه هواه افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام ابا سعيد لقد وعظتني احسن موعظة *
ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضي الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم افاق فدعا
الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وقال اوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة
والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شئ فاتكما منها فانكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم
خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له اما سمعت ما اوصيت به اخويك قال بلى
قال فاني اوصيك به وعليك ببر اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا
دونهما ثم اقبل عليهما وقال اوصيكما به خيرا فانه اخوكما وابن ابيكما وانتما تعلمان ان اباه كان
يحبه فاحباه ثم قال يا بني اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى
والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل
والرضى عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل
نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من ابصر عيب نفسه اشتغل عن عيب
غيره ومن رضي بما قسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا
وقع فيها ومن هتك حجاب اخيه هتكت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره
ومن اعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال
احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن
اكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه
قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب ميزان الرجل
وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله
تعالى وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر
يا بني لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا شفيع انجح من التوبة ولا
لباس اجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب * ولما حضرت هشام
ابن عبد الملك الوفاة نظر الى اهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له
بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له
وقال الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا امير المؤمنين اما علمت انه كان في يد رسول الله

صلى الله عليه وسلم بجريدة يابسة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه
السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف
بمن سفك دماء المسلمين وانتهب اموالهم يا امير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا من غير تعمد يا امير المؤمنين لو ان
ذنوبا من النار صب ووضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو ان ثوبا من النار
وضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل
لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه * وروى زيد بن اسلم عن ابيه قال
قلت لجعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة احذر ان يأتي رجل غدا
ليس له في الاسلام نسب ولا اب ولا جد فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك
كما كانت امرأة فرعون اولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط اولى بهم منهن
ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه * وروى زياد
عن مالك بن انس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث ابو جعفر الى مالك بن انس وابن طاوس
قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه انطاع قد بسطت وجلادون بايديهم
السيوف يضربون الاعناق فأومأ الينا ان اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع
راسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن ابيك قال سمعت ابي يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله تعالى في ملكه
فادخل عليه الجور في حكمه فأمسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك
فضممت ثيابي مخافة ان يصيبني من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه
الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخاف ان تكتب بها معصية فأكون
شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك
فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم * وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال اوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا امير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة
بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه راسه واطرق
مليا ثم رفع راسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور
بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب
زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب
ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يا رب لا اسألك اليوم الا نفسي * وقال سيدي
الشيخ ابو بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن امير الجيوش وهو
امير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا
واكرمني اكراما جزيلا وامرني بدخول مجلسه وامرني بالجلوس فيه فقلت ايها الملك ان الله

تعالى قد احلك محلا عليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امرك دون امر احد فوق امرك فلا ترض ان يكون احد اولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وامانا للخائف ثم اتممت المجلس بان قلت قد جبت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي الاقامة بها غير هذه المملكة ثم انشدته

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

وقال الفضل بن الربيع حج هارون الرشيد سنة من السنين فبينما انا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرجه الا عالم فانظر لي رجلا اسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك فقال جد لما جئناه له فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا ابا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيأ فانظر لي رجلا اسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك فقال جد لما جئناه له فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم فقال يا ابا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيأ فانظر لي رجلا اسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فقال ما لي ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى اعلى الغرفة فاطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفي اليه فقال أوّا

من كنت مآليها ان ينجو غدا من عذاب الله تعالى فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي
من قلب تقي فقال له خذ لما جئنا له رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من
معك حملوا عليك حتى لو سألتهم ان يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان اشدهم حبا
لك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا سالم بن
عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا
علي فعد الخلافة بلاء وعددتها انت واصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان اردت النجاة
غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان اردت
النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك ابا واوسطهم عندك اخا واصغرهم
عندك ولدا فبر اباك وارحم اخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان اردت النجاة
غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى
شئت مت واني لاقول هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله
مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له ارفق
بامير المؤمنين فقال يا ابن الربيع تقتله انت واصحابك وارفق به انا ثم افاق هارون الرشيد
فقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شكا اليه
سهرا فكتب له عمر يقول يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد بك
الى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع
الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك فقال له لقد
خلعت قلبي بكتابك لا وليت ولاية ابدا حتى القى الله عز وجل فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال
زدني قال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله
امرني امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها
ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكى هارون
الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا حسن الوجه انت الذي يسألك الله عن
هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي
وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رائحة
الجنة فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له اعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه
فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان سألني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال هارون انما اعني
دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما امرني ان اصدق وعده واطيع امره قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله
هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هارون هذه الف دينار فخذها وانفقها على عيالك
وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادللك على سبيل الرشاد تكافئني انت بمثل هذا
سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هارون اذا دللتني على رجل

قد لقي على مثل حجنا فانا بن هذا سيدا لمسلكين اليوم واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ اخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته وقالت ام الدرداء رضي الله تعالى عنها من وعظ اخاه سرا فقد ستره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه وقال من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وستره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره وعن عبد العزيز بن ابي دواد قال كان الرجل اذا راى من اخيه شيئا امره في ستر ونهاه في ستر فيوجر في ستره ويوجر في امره ويوجر في نهيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رايتم اخاكم زل زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله ان يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم وبالله التوفيق الى اقوم طريق * وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول

(الفصل الاول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد واعلم انه ينبغي للعاقل المكلف ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام او مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شئ ورويناه في صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت قال الشافعي والامام اذا اراد احدكم الكلام فعليه ان يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر ورويناه في صحيحيهما عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي المسلمين افضل قال من سلم الناس من لسانه ويده ورويناه في كتاب الترمذي عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن ورويناه في كتاب الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما اشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى واما الآثار عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شئ منها فما جاء من ذلك ما بلغنا ان قس بن ساعدة واكثم بن صيفي اجتمعا فقال احدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي اكثر من ان تحصى وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وحمل شره ومما انشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني اميه
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال اعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمه الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعي فان الصمت اولى واسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمها فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على امر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له الا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو ابلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان في اغتمام وقيل لرجل بم ساد كم الاحنف فوالله ما كان باكبركم سنا ولا باكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة اسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع اربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما لم اقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم اتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع * وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فاصابه فقال ما احسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر انت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

(الفصل الثاني في تحريم الغيبة) اعلم ان الغيبة من اقبح القبائح واكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما فيه ويما يكره سواء كان في دينه او بدنه او نفسه او خلقه او خلقه او ماله او ولده او والده او زوجته او خادمه

وتهامته او ثوبه او مشيته او حركته او بشاشته او خلاعته او غيرذلك مما يتعلق به سواء
ذكرته بلفظك او بكتابك او رمزت اليه بعينك او بيدك او رأسك او نحوذلك واما الدين
فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات ليس بارا بوالديه قليل
الادب لا يضع الزكاة مواضعها لا يجتنب الغيبة واما البدن فكقولك اعمى واعرج او
اعمش او قصير او طويل او اسود او اصفر واما غيرهما فكقولك فلان قليل الادب متهاون
بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الاكل وما اشبه ذلك او كقولك فلان ابوه نجار
او اسكاف او حداد او حائك تريد تنقيصه بذلك او فلان سيئ الخلق متكبر مراء معجب
عجول جبار ونحو ذلك او فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد روينا
في صحيح مسلم وسنن ابي داود والترمذي والنسائي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره
قيل وان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في سنن ابي داود والترمذي عن عائشة رضي الله
عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني
قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه
وريحه لكثرة نتنها وروينا في سنن ابي داود عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم
وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في
اعراضهم وروى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والغيبة
فان الغيبة اشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليزني فيتوب
فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفرله صاحبها وعن انس رضي الله تعالى
عنه قال من اغتاب المسلمين واكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جيء به يوم القيامة
مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرف اهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة افضل
الناس عند الله اسلمهم صدرا واقلهم غيبة وقال الاحنف في خصلتان لا اغتاب جليسي
اذا غاب عني ولا ادخل في امر قوم لا يدخلوني فيه وقيل للربيع بن خثيم ما نراك تعيب احدا
فقال لست عن نفسي راضيا فاتفرغ لذم الناس وانشد

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها * لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى الي بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم اول من عمل الصابون سليمان واول من عمل السويق ذو القرنين
واول من عمل الخبيص يوسف واول من عمل خبز الجرادق نمرود واول من كتب في القراطيس
الحجاج واول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام واوحى الله تعالى

الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان اصر فهو اول
من يدخل النار ويقال لا تأمن من كذب لك ان يكذب عليك ومن اغتاب عندك
غيرك ان يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك
فاهدى اليه طبقا من رطب فاتاه الرجل وقال له اغتبتك فاهديت الي فقال الحسن
اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت
مغتابا احدا لاغتبت والدي لانهما احق بحسناتي واذا حاكى انسان انسانا بان يمشي
متعارجا او متطاطيا او غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين
والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما تفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف
حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسال الله تعالى العافية نحمد الله
الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب
علينا وما اشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة واعلم انه كما يحرم على المغتاب
ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يسمع انسانا يبتدئ بغيبة ان
ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن
من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك
نفاق قال الله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره ومما انشدوه في هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه
وكم ازعج الحرص من طالب * فوافى المنية في مطلب

(الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة) قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين
هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته وآخره المغتاب الذي
يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز باخيه في المجلس وهو
الهمزة اللمزة وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما العتل الفاحش السيء الخلق
وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل
الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبي هو الشديد
في كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذي لا يعرف من ابوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغي الام ذو حسب لئيم

ورويناه في صحيحي البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنة نمام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان
وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستنزه من بوله
قال الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى النميمة انما تطلق في الغالب على من ينم

قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغي للانسان ان يسكت عن كل ما رآه من احوال الناس الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع معصية وينبغي لمن حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا ان لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض في الله واجب وان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن ابي بردة برجل وكان امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغي يعني ولد زنا قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه لا ينم على الناس الا ولد بغي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به واما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال في النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم اراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار ان يصغي لساع او يستمع لنمام ووجد في حكم القدماء ابغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعى باخيه الى الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا اعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على اخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا في كتاب ابي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغني احد من اصحابي عن احد شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن الناس من يتلون الوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذي لست ادري من تلونه * اناصح ام على غش يناجيني

اني لاكثر مما سمتني عجبا * يد تشج واخرى منك تأسوني

تعتابني عند أقوام وتمدحني * في آخرين وكل عنك يأتيني
هذان شيئان قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمي وتزييني

وقيل لألف لجوج جموح خير من واحد ملون وكان يشبه المتلون بأبي براقش وأبي قلمون فأبو براقش طائر منطق بألوان الموشى يتلون في اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحمر وينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذي لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بتمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوقه بباب الجامع يدور مع الريح ويمناه ممدودة وإنما يدها مضمومة إلا السبابة فإذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه والذي يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضا ويقال أخلاق الملوك مثل في المتلون وقال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه إياك يا من صفاته * دنو وإعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال له الأحنف إن الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية وإذا أتاه ساع يقول له إن صدقتنا أبغضناك وإن كذبتنا عاقبناك وإن استقلتنا أقلناك وكتب في جواب كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعايته صادقا لكان في صدقه لئيما إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا جماعة إلا بددتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من نم في الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

وقال آخر

يسعى عليك كما يسعى إليك فلا * تأمن غوائل ذي وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شيء لم يواجهك به * إنما اللوم على من أعلمك

وقال آخر

إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا * شرا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وقال آخر

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * مني وما سمعوا من صالح دفنوا

صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت احسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذي اتاها

(وما جاء في النهي عن اللعن)

روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا في صحيح مسلم ايضا عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وروينا في سنن ابي داود عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان اهلا لذلك والا رجعت الى قائلها ويجوز لعن اصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقولك لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك وثبت في الاحاديث الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وانه قال لعن الله المصورين وانه قال لعن الله من لعن والديه وانه قال لعن الله من ذبح لغير الله وانه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وانه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ في البخاري ومسلم بعضها فيهما وبعضها في احدهما والله اعلم

(وما جاء في العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأه والظهور نقمة وكل يتمناه وقال العتبي

تلحف بالخمول تعش سليما • وجالس كل ذي ادب كريم

وقال جعفر بن الفراء

من اخمل النفس احياها وروحها • ولم يبت طاويا منها على ضجر

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها • فليس ترمي سوى العالي من الشجر

وقال اعرابي رب وحدة انفع من جليس ووحشة انفع من انيس وكان ابو معاوية الضرير يقول في خصلتان ما يسرني بهما رد بصري قلة الاعجاب بنفسي وخلو قلبي من اجتماع الناس الي وقال عمر رضي الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على اطم من آطام المدينة ونادى باعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فاحببت ان تسمعوه قالوا هات يا حسان فقال

وان امرأ امسى واصبح سالما • من الناس الا ما جنى لسعيد

ولما بنى سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك واسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت اسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت

الاعتزال فيما هنالك عافية وقيل لعروة لمَ لزمت البيت فقال وجدتُ الصمت بين الناس غاية ..... بعض ما عندي من العلم ... انا اكره ان يميل قلبي باجتماعكم الى حب الرياسة فاخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضيل في مرضه نعوده فقال ما جاء بكم والله لو لم تجيئوا لكان احب الي ثم قال نعم الشيء المرض لولا العيادة وقيل للفضيل ان ابنك يقول وددت لو اني بالمكان الذي ارى الناس فيه ولا يروني فقال ويح ابني لم لا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال علي رضي الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفيان الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وقيل لراهب في صومعته الا تنزل فقال من مشى على وجه الارض عثر والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاة امور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه

روى عن الحسن انه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله في الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج الم يكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ما هو قال ظل الله في الارض فاذا احسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا اساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام ايما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الا ضاقت عليه رحمة الله تعالى التي وسعت كل شئ وقال مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى انا ملك الملوك رقاب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا السنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمه الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما احسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لاحد ما انتقل الينا ومر طارق الشرطي بابن شبرمة في موكبه فقال .

اراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فما رفع اليه حاجة فقال لا اعد هذا اليوم من ايام ملكي وقال جعفر ليس شيء الذ ولا اسر من عز الامر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن اعناق الرجال لان هذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك خليفة الله في عباده ولن يستقيم امر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال ازدشير لابنه يا بني الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له اس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع وقيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل فعقدوا التاج على بطنها وامر الوزراء بتدبير المملكة حتى

ولد له ولد فملك واغار العرب على نواحي فارس في صباه فلما ادرك ركب وانتخب من اهل البلد فرسانا واغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع اكتاف سبعين الفا فقيل له ذو الاكتاف وامر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يكونوا بيوت الشعر وان لا يركبوا الخيل الا اعراء * وقيل من اخلاق الملوك حب التفرد وكان ازدشير اذا وضع التاج على راسه لم يضع احد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على احد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على اهل المملكة ان يختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم احد بمثل عمامته ما دامت على راسه وكان الحجاج اذا وضع على راسه عمامة لم يجترئ احد من خلق الله ان يدخل عليه بمثلها * وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس احد مثله حتى ينزعه واخبرني من سافر الى اليمن انه لا ياكل الاوز بها احد غير الملك وقيل من حق الملك ان يفحص عن اسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان ازدشير متى شاء قال لارفع اهل مملكته واوضعهم كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وما ذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضي الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية اثره وتعرف الى زياد رجل فقال اتتعرف الي وانا اعرف بك من ابيك وامك واعرف هذا البرد الذي عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المامون رحمه الله تعالى في امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا ابا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشانها كيت وكيت فوالله ما زال يصفها ويصف امرها حتى ابهتني

* (وما جاء في طاعة ولاة امور الاسلام) *

امر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في ارضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل ومن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال احسن طاعة قال فاطعني كما كنت اطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك * وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالسمع والطاعة لولي الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم ارشدني الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة

المطهرة والملة الحنيفية المحررة ان طاعة الائمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم امور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم اركان الملة وان ارفع منازل السعادة طاعة السلطان وان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتومن السبل وما احسن ما قالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة بريء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وان الخروج منها خروج من انس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن اخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا فى ارفع محل وان طاعة السلطان واجبة امر الله تعالى بها فى كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما اوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور انفسنا وسيات اعمالنا وان يصلح شاننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

* (الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته) *

* (اما صحبة السلطان) * فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لى ابى يا بنى انى ارى امير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وانى اوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجرين عليه كذبا ولا تغتابن عنده احدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من الف فقال اى والله ومن عشرة الاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك اخا فاجعله ابا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فاخذوا فى الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر فى الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا ادناك ولا تتغير منه اذا اقصاك * وروى ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له اصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لى سترا ولا تشتم لى عرضا ولا تقبل فى قول قائل حتى تستشيرنى قال هذا لك فما لى عليك قال لا افشى لك سرا ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب للمستصحبات * وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه فى معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اغلظ من ايقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انسك بهم تزدد غنما * وقالوا اعلم السلطان وكانك تتعلم منه واشر عليه وكانك تستشيره واذا اطلعك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدرى متى يتغير منك فيكونون عونا عليك واياك ان تعادى من اذا شاء ان يطرح ثيابه ويدخل مع الملك فى ثيابه فعل وفى الامثال القديمة احذر وازمارة المحدة وفيه قيل بيت مفرد

ليس

ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق

* (واما ما جاء في التحذير من صحبة السلطان) * فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهي من صحبة السلطان قال في كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول احق الامور بالتثبت فيها امور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفي حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابي لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رأيته يعطي عشرة الاف في غير شيء ويرمي من السور في غير شيء ولا ادري اي الرجلين اكون * وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني اربعا لا تصحبن السلطان وان امرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان اقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك اقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا من صحب السلطان من اهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه فافسدوه فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فاهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * في البحر ترجف دائما من خوفه

ان ادخلت من مائه في جوفها * يغتالها مما بها في جوفه

وفي كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلي بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا ان يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركوبه اخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب وقضم الحصى خير من الدنو من ابواب السلاطين * وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من القارئ على ابواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل ان يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الاخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيسا واكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال ابو علي الصغاني اياك والملوك فان من والاهم اخذوا ماله ومن عاداهم اخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها ابواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان * وقال حسان بن بريح الحميري لا تثقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤون ولا بالدابة فانها شرود وقال

عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

اری الملوك بادنى الدين قد قنعوا * ولا اراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم فى ولاة بنى مروان

اذا ما قطعتم ليلكم بمدامكم * وافنيتموا ايامكم بمنام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يغشاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بايسر بلغة * بلثم غلام او بشرب مدام
ولم تعلموا ان اللسان موكل * بمدح كرام او بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون فى الثواب رد الجواب ويستقلون فى العقاب ضرب الرقاب * وقيل شر الملوك من امنه البرئ وخافه البرئ والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السادس عشر فى ذكر الوزراء وصفاتهم واحوالهم وما اشبه ذلك) *

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من اهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال اشدد به ازرى واشركه فى امرى دلت هذه الآية على ان الوزارة تشد قواعد المملكة وان يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على ان بصحبة العلماء والصالحين واهل الخبرة والمعرفة تنتظم امور الدنيا والآخرة وكما يحتاج اشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط واحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج اجل الملوك واعظمهم واعلمهم الى الوزير * وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله * وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاوره فى ذلك فقال له هامان بينما انت اله تعبد اذ صرت تعبد فانف واستكبر وكان من امره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين واشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة * وفى الامثال نعم الظهير الوزير واول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله فى انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل فى الخلق ذكره وترسخ فى النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه * وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفى كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان

كتب اليه صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا • ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط في الوزير ان يكون صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في اخلاقه بصيرا بامور الرعية وتكون بطانة الوزير ايضا من اهل الامانة والبصيرة • وليحذر الملك ان يولي الوزارة لئيما فان اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من اهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه • وحبه مفترض واجب

ان الذي شرفت من اجله • يزعم هذا انه كاذب

واشار الى الذمي فسأله يا امير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من ان يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتني غضبان فادفع الي رقعة بعد رقعة وكان في الاولى انك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت امور المملكة عائدة الى الوزراء وازمة الملوك في اكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا الا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا احبك الوزير فلا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن اتى الدار من بابها ولج ومن اتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما ان من لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير ان يكون كثير الرحمة للخلق رؤوفا بهم واعلم انه ليس للوزير ان يكتم عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الراس وكما ان المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدأ كذلك السلطان لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

• (الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرور والخطر) •

(اما الحجاب) فقد قيل لا شيء اضيع للمملكة واهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل اذا سهل الحجاب احجمت الرعية عن الظلم واذا اعظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل اناخ ناقته الآن يزعم انه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن له ان يدخل فلما دخل قال حدثني ابي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيأ من امور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيمة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القسري يقول لحاجبه اذا اخذت مجلسي فلا تحجبن عني احدا فان الوالي لا يحتجب الا لثلاث عيب يكره ان يطلع عليه احد او ريبة يخاف منها ان تظهر او بخل يكره معه ان يسأل شيأ وكانت العجم تقول ما شيء اضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولا شيء اهيب للرعية واكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذي هو اشد منه قال وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي على باب المامون يوما فنظر اليه الحاجب ثم اطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو اذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا واما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا افهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضى كان الحمار مطيتي * ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المامون فضرب الحاجب ضربا شديدا وامر لعبد الله بصلة جزيلة وعشرة [آلاف] درهم وقال

رايت اناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن جلوس ساكنون رزانة * وحلما الى ان يفتح الباب اجمعا

ووقف رجل خراساني بباب ابي دلف العجلي حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها اليه وفيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فاجابه ابو دلف بقوله

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وابواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابي

ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم

ساهجركم حتى يلين حجابكم * على انه لا بد سوف يلين
خذوا لحذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر

ماذا على بواب داركم الذي * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو ردنا ردا جميلا عنكم * او كان يدفع بالتي هي احسن

وقال آخر

امرت

امرت بالتسهيل في الاذن لي • وشر الحاجب ان ياذنا
فلن تراني بعدها قاصدا • ولن تراه بعد مستاذنا

وقال اخر

ولقد رايت بباب دارك جفوة • فيها لحسن صنيعك التكدير
ما بال دارك حين تدخل جنة • وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر

اذا جئت الفتى عند بابك حاجبا • يحياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد • وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر

سأترك بابا انت تملك اذنه • ولو كنت اعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها • وحولت رجلي مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك ان تكون محجبا • والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما انت الا في الحمار مرمى فلا • تتعب فكل مما صرماخوذ

وقال ابو تمام

ساترك هذا الباب ما دام اذنه • على ما ارى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم ياته متعمدا • ولا فاز من قد نال منه وصولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا • وجدنا الى ترك المجيء سبيلا

واستاذن رجل على امير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد تخطى الى نفسي واغنامي مجمعة واحب لخروج الحاجب فقال له الرجل ما الذي قال لك قال كلاما الا افهمه وهو يريد ان لا ياذن لك وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انما امهل فرعون مع دعواه الالوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهني لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امير يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة الا اغلق الله ابواب السموات دون حاجته وخلته ومسكنته وجاء النابي الشاعر لبعض الامراء فحجبه فقال

سامهران جفوت فكم صبرنا • لمثلك من اميرا ووزير
رجوناهم فلما اخلفونا • تمادت فيهم غير الدهور
فبتنا بالسلامة وهي غنم • وباتوا في المحابس والقبور
ولما لم ننل منهم سرورا • رأينا فيهم كل السرور

وانشدوا في ذلك ايضا

قل للذين تحجبوا عن راغب • بمنازل من دونها الحجاب
ان خاب من لقياكم بوابكم • فالله ليس لبابه بواب

واستاذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فاتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك يا سعد فقال ومالي لا ابكي وقد ذهب الاعلام من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبك فان في الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن اهله الصديقون والشهداء وانا ارجو ان تكون من اهله واستاذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

في كل يوم لي ببابك وقفة * اطوي اليه سائر الابواب
واذا حضرت وغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

(واما ذكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء في التفسير ان من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود ان يكون الحق للذي في قلبك حبه خاصة وبهذا اسلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي اصاب سليمان بن داود عليهما السلام ان ناسا من اهل جرادة امراته وكانت من اكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب ان يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا وروي عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة وفي الحديث من ولي من امور المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط اهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يامر الله تعالى بالعظام فترجع الى اماكنها فان كان لله مطيعا اخذ بيده واعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به في نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله عنه سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم اسمع قال نعم وكان سلمان وابو ذر حاضرين فقال سلمان اي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضي الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من ياخذها بما فيها فقال سلمان من ارغم الله انفه والصق خده بالارض * وروى ابو داود في السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي عريف على الماء واني اسألك ان تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي عليه الصلاة والسلام العرفاء في النار وروي ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس

 عذابا

عذابا يوم القيامة الامام الجائر * وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود انه لم يقض
بين اثنين في تمرة * وقال الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة
يستعمله فقال يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك * وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما من
امير يؤمر على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا لا ينجيه الا عمله او يهلكه * وقال طاوس لسليمان
ابن عبد الملك هل تدري يا امير المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان
قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله في ملكه فجار في حكمه
فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه * وقال ابن سيرين
جاء صبيان الى ابي عبيدة السلماني يتخيرون اليه في الواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا
حكم لا اتولى حكما ابدا * وقال ابو بكر بن ابي مريم حج قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة
فلم يجدوا ماء فاتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم
يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا وبريدا ولا عشارا ولا بريدا وانا ادلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا
وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له اعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لي ثلاثا
وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا
حتى تحلفوا لي اربعا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا احدا
فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام * وقال ابو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابا ذر اني احب لك ما احب لنفسي واني اراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا
تلين مال يتيم * ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق ما حكي ان ملكا من ملوك الفرس يقال له
اردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا باس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الاردن
بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير اردشير يخطبها من ابيها فامتنع من اجابته
ولم يرض بذلك فعظم ذلك على اردشير واقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك ابا البنت
وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما اخبث مثلة فسار اليه اردشير في جيوشه فقاتله
فقتله اردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من
اجمل النساء واكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت اردشير من رؤيته اياها فقالت
له ايها الملك انني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته انت قد
غزا بلدنا وقتل ابي وقتل سائر اصحابه قبل ان تقتله انت وانه اسرني في جملة الاسارى
وانى بي في هذا القصر فلما رأتني ابنته التي ارسلت تخطبها احبتني وسألت اباها ان يتركني
عندها لتأنس بي فتركني لها فكنت انا وهي كاننا روحان في جسد واحد فلما ارسلت تخطبها
خاف ابوها عليها منك فارسلها الى بعض الجزائر في البحر الملح عند بعض اقاربه من الملوك
فقال اردشير وددت لو اني ظفرت بها فكنت اقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها
تامة في الجمال فتاقت نفسه اليها فاخذها للتسري وقال هذه لجنية من الملك ولا احنث

لي يميني باخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت
معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غلبتني وانا غلبتك فقال لها ومن ابوك
فقالت له هو ملك بحر الاردن وانا ابنته التي خطبتها منه وانني سمعت انك اقسمت لتقتلني
فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك على
ازدشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فاستهرها وخرج من عندها
مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على
قتلها خشي ان تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال ايها
الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها انت وقتل هذه الجارية في
هذا الوقت اولى وهو عين الصواب لانه احق من ان يقال ان امرأة قهرت رأي الملك
وحنثته في يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال ايها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك
معها وهي اولى بالستر ولا ارى في قتلها استر ولا اهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم
ما رأيت خذها غرقها فاخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال
واعوان فتحيل الى ان طرح شيأ في البحر اوهم من كان معه انها الجارية ثم انزلها واخفاها عنده
فلما اصبح جاء الى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير تأول الملك حقا
عتوما وقال ايها الملك اني نظرت مولدي فرأيت اجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء
الفرس في النجوم وان لي اولادا وعندي مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا انا مت ان
رأيت وهذا الحق فيه جوهر اسأل الملك ان يقسمه بين اولادي بالسوية فانه ارثي الذي
قد ورثته من ابي وليس عندي شيء اكسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول
الرب في عمرك ومالك لك ولا ولادك سواء كنت حيا او ميتا فالح عليه الوزير ان يجعل
الحق عنده وديعة فاخذه الملك واودعه عنده في صندوق ثم تمت اشهر الجارية فوضعت
ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب في تسميته
فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد اساء الادب وان
هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك
فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تاخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس
فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى ان بلغ الولد حد التعليم فعلمه
كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك له اسمه
شاه بور الى ان راهق البلوغ هذا كله وازدشير ليس له ولد وقد طعن في السن واقعده الهرم
فمرض واشرف على الموت فقال للوزير ايها الوزير قد هرم جسمي وضعفت قوتي واني ارى اني
ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدي من تقضي له به فقال الوزير لو شاء الله ان يكون للملك
ولد كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بامر بنت ملك بحر الاردن وحملها فقال الملك لقد ندمت
على تغريقها ولو كنت ابقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضى

قال ايها الملك انها عندي حبة ولقد وضعت ولدا ذكرا من احسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك احق ما تقول فاقسم الوزير ان نعم ثم قال ايها الملك ان في الولد روحانية تشهد بابوة الاب وفي الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك يخرم ابدا واني آتي بهذا الغلام بين عشرين غلاما في سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين غلاهو واني اعطي كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم ان يلعبوا بين يديك في مجلسك هذا وتامل صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذي قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة ان يتقدم لياخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة ابيه تقدم فاخذها ولا تاخذه الهيبة منه فلاحظ ازدشير ذلك منه مرارا فقال له ايها الغلام ما اسمك قال له شاه بور فقال له صدقت انت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك ايها الملك ثم احضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير ايها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم اخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وانثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل ان يتسلم الجارية من الملك واحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل ان يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك ازدشير وبهت لما ابداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه الى ان حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت ابيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك ازدشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

الباب الثامن عشر فيما جاء في القضا وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمديونين وفيه فصول

(الفصل الاول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة واحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما

بالحق فعليه لعنة الله وعن ابي حازم قال دخل عمر على ابي بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه
فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف اخاف ان يكون وجد علي خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكلم عبد الرحمن ابا بكر فقال اتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما
قلبي وسمعي وبصري وعلمت ان الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت وادعى رجل على علي عند عمر
رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر اليه وقال يا ابا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس
مع خصمه فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال
يا ابا الحسن مالي اراك متغيرا اكرهت ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنيتني بحضرة
خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع خصمك فاخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين
عينيه ثم قال بأبي انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور وعن ابي حنيفة
رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا واراد عمرو بن
هبيرة ان يولي ابا حنيفة القضاء فابى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ
وجه ابي حنيفة وراسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا اهون علي من الضرب
بمقامع الحديد في الاخرة وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من اهل اليمن قال اقبل سيل
باليمن في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا
الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب الينا لا تحركوه حتى يقدم اليكم كتابي ثم فتح فاذا برجل
على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضي الارض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضي الارض من قاضي السماء

واذا عند راسه سيف اشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن
ابن ابي اوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مع القاضي ما لم يجر فاذا جار برئ
الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني ان نصر بن علي راودوه على القضا
بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما الحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره والقى
ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم اني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض وعن
انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم
يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد ان
تكون قاضيا لان يدخل الرجل اصبعه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خير له من ان يكون قاضيا
وقيل اول من اظهر الجور من القضاة بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري كان امير
البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الي فاجد احدهما اخف على قلبي
من الاخر فاقضي له وتقدم المامون بين يدي القاضي يحيى بن اكثم مع رجل ادعى عليه
بثلاثين الف دينار فطرح للمامون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى لا تاخذ على خصمك شرف
المجلس ولم يكن للرجل بينة فاراد ان يحلف المامون فدفع اليه المامون ثلاثين الف دينار

وقال

وقال والله ما دفعت لك هذا المال الا خشية ان تقول العامة اني تاركتك من جهة المنكر
ثم امر ليحيى بمال واجزل عطاءه وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى ابي يوسف
ابن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل
فقال ابو يوسف قم اتؤمر ان تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع يا غلام ائتني بعمرو بن
ابي عمرو النخاس فانه ان قدم على الساعة امرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى امير المؤمنين
ثم ان الحاجب اخذ بيده حتى اوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد
وبكى بين يديه واخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم اردك الى ملكي فليست
منزلتك عندي تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام
الاديان والله تعالى اعلم وقال الابرش الكلبي يمدح بعض القضاة

رفعت وعطلت الحكومة قبله • في آخرين وملها رواضها
حتى اذا ما قام الف بينها • بالحق حتى جمعت اوفاضها

وفي ضد ذلك قال بعضهم

ابكي واندب ملة الاسلام • اذ صرت تقعد مقعد الحكام
ان الحوادث ما علمت كثيرة • وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضي يقول
لك جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ما قال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت
لحيتك حتى غطت على لبك ما رايت ميتا يقضي بين الاحياء غيرك وقيل المضروب بهم المثل
في الجهل وتحريف الاحكام قاضي منى وقاضي كسكر وقاضي ايدج وهو الذي قال فيه ابو اسحاق الصابي

يا رب علج اعلجي • مثل البعير الاهوج
رايته مطلعا • من خلف باب مرتج
وخلفه عذيبة • تذهب طورا وتجي
فقلت من هذا ترى • فقيل قاضي ايدج

وقاضي شلبة وهو الذي قال فيه ابو الحسن الجوهري

رايت راسا كدبه • ولحية كالمذبة
فقلت من انت قل لي • فقال قاضي شلبه

وتقدمت امرأة جميلة الى الشعبي فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعي

فتن الشعبي لما • رفع الطرف اليها
فتنته ببنان • كيف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا • ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

فانشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الاشجعي ثلاثين سوطا وحكى ابن

ابن ليلى قال انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهي تقول فتى الشعبي لما فتى الشعبي لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبي وقال رفع الطرف الهاشم قال ابعده الله اما انا ما قضيت الا بالحق وانشد بعضهم في ابن الحكم

تنما وتن اذا امسيت تخنقا * حتى تصيب وديعة ليتيم

(الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جاء في الديون) اما الرشوة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل في دين الله الرشا قال الشهيد واصحابنا اليوم اقبل للرشا منهم وفي نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر وانشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الحكومة غلبت * علي وقالت قم فانك ظالم

(واما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روي عن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تداين بدين في نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وارضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي له بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فاتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين فقالوا ديناران يا رسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال علي كرم الله وجهه هما علي يا رسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضي الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان اخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله في ارضه فاذا اراد الله ان يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا اخرج الى الغزو فقال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على احد عليه دين ثم قال بعد انا اولى بالمومنين من انفسهم فمن مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع

تميز وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصداق ينوي ان لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوي ان لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شيء استقرضته الا استقرضته من نفسي اراد انه يصبر الى ان تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شيء علي تركته ۞ فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم ايضا

لقد كان القريض سمير قلبي ۞ فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي

واني لاقضي الدين بالدين بعدما ۞ يرى طالبي بالدين ان لست قاضيا

فاجابه ثعلبة بن عمير

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن ۞ قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض الاصمعي من خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعف ما تطلبه فقال يا ابا سعيد اما تثق بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال بلى ولكن ليطمئن قلبي المعروف عند ابن الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا ارحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك)

(اما ما جاء في ذكر القصاص والمتصوفة)

فقد روي عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروي ان كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص احد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري من الناس قال العلماء قلت فمن الاشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأكلون اموال الناس بالكلام قلت فمن السفلة قال الظلمة قيل ووهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان اقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن اكرم واعظم من ان تذهب منه عقول الرجال وسئل ابن سيرين عن اقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم ان يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من اوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا وكان بمرو قاص يبكي بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكا اخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة وقال بعضهم قلت لصوفي بع جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصيد وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال اكلة رقصة وعظ عيسى عليه السلام بني اسرائيل فاقبلوا

يمزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب اقبلوا على القلوب فخاطبوها

(واما ما جاء في الرياء)

فقد قال الله تعالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر ان يرى عليك آثار المحسنين وانت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو ان رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم احب ان يعلم الناس انه كتمه فهو من اقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه ان يعلمه غير الله فليس من الله في شيء وعن شداد بن اوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على راسه تظله فجاء رجل يريد ان يستظل معه فمنعه وقال ان افت معي لم يعلم الناس ان الغمامة تظلني فقال له الرجل قد علم الناس انني لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما الناس يزعمون اني مراء وكنت امس والله صائما ولا اخبرت بذلك احدا اللهم اصلح فساد قلوبنا واسترفضا ئحنا برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

* (الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك) *

اعلم ارشدك الله ان الله تعالى امر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل واعلم ان عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وافضل الازمنة ايام العدل ورويناه من طريق ابي نعيم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا افضل من عمل العابد في اهله مائة عام او خمسين عاما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ورويناه في سنن ابي داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها ابواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار اخبرني عن جنة عدن قال يا امير المؤمنين لا يسكنها الا نبي او صديق او شهيد او امام عادل فقال عمر والله ما انا بنبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الامام العادل فاني ارجو ان لا اجور واما الشهادة فاني لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسال الاسكندر حكماء اهل بابل ايما ابلغ عندكم الشجاعة او العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان انفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته

وبناله

وبالله ما لا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك
بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام وقيل ان ما جبي من خراج سواد العراق
في زمن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة الف الف وسبعة وثلاثين
الف الف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر الف الف فلما ولي عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين الف الف وفي الثانية الى ستين
الف الف وقيل اكثر وقال ان عشت لابلغنه الى ما كان في ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لا ملك الا بجند ولا جند الا بالمال
ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل ولما مات سلمة بن سعيد
كان عليه ديون للناس ولامير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لامير
المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال
كما ضرب لاحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت امير المؤمنين كاحد الغرماء فكتب اليه
المنصور ملئت الارض بك عدلا وكان احمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبره
وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم (حكي) ان ولده العباس
استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي مصر ومعها غلام يحمل عودها
فكسره فدخل العباس اليه واخبره بذلك فامر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما احضر
اليه قال انت الذي كسرت العود قال نعم قال افعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس
قال افما اكرمته لي فقال اكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاطرق احمد بن طولون عند ذلك ثم
قال كل منكر رايته فغيره وانا من ورائك ووقف يهودي لعبد الملك بن مروان فقال
يا امير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمني فانصفني منه واذقني حلاوة العدل فاعرض
عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا امير المؤمنين انا نجد
في التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا
في ظلم احد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه في الظلم والجور فلما
سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث في الحال الى من ظلمه فعزله واخذ لليهودي حقه منه *
وروي ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فاتى الى المنصور فقال له
اصلحك الله يا امير المؤمنين ااذكر لك حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل
فقال ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه
ان لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى ابيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث
به امر شكاه الى الوالي لعلمه انه اقوى من ابيه فاذا ازداد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه اقوى
ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكا الى الله تعالى لعلمه انه اقوى من السلطان وقد نزلت

ب نازلة وليس احد فوقك اقوى منك الا الله تعالى فان انصفتني والا رفعت امري الى الله تعالى في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل تنصفك وامران يكتب الى واليه برد ضيعته اليه وكان الاسكندر يقول يا عباد الله انما الهكم الله الذي في السماء الذي نصر نوحا بعد حين الذي يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغني ان الله تعالى لعيب شيا الا احببته واستعملته الى يوم اجلي ولا ابغض شيا الا ابغضته وهجرته الى يوم اجلي وقد انبئت ان الله تعالى يحب العدل في عباده ويبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفي وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليتكئ في مجلسي كيف شاء وليتمن على ما شاء فلن تخطئه امنيته والله تعالى المجازي كلا بعمله ويقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان وقيل مات بعض الاكاسرة فوجد واله سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كاكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل في خراجه بالعدل وقيل تظلم اهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت في عمالي اعدل ولا اقوم بامر الرعية واعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا امير المؤمنين ما احد اولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى امير المؤمنين ان يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا وياخذ بقسطه منه كما اخذنا واذا فعل ذلك لم يصبنا منه اكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغني ابيات عن سليم ابن يزيد العدوي في العدل فقم بنا اليه فاشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذي معك قال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب ان يسمع ابياتك في العدل فقال سمعا وطاعة وانشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسر به * ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلون اهل الجور الوانا
يا للرجال لداء لا دواء له * وقائد ذي عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو اني رايت يوم عدل ثم مت وقيل لما ولي عمر بن عبد العزيز اخذ في رد المظالم فابتدا باهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسالوها ان تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك اصحابه ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما افضى الامر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد في عمري لارد نه الى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقالت له يا ابن اخي اني اخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم اخافه دون يوم القيامة فلا امننيه الله وقال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزروع والضروع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح

بصلاح

بصلاح الوالي وتفسد بفساده وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه باخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها نقص ارعت في غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن اظن ان ملكنا رآها او وصله خبرها فهم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه ان لا ياخذها ولا يحسد احدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها ومن المشهور بارض المغرب ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على اخذها منها ثم اتاها وسالها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها اين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد عزم على اخذها مني فارتفعت البركة منها فتاب الملك واخلص لله النية وعاهد الله ان لا ياخذها منها ابدا ثم امرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح (وحكى) سيدي ابو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال حدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيأ في ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لي شيخ من اشياخ الصعيد اعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهي تحمل عشرة ارادب سنين ويبة وكان صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل ويبة بدينار (وحكى) ايضا رحمه الله تعالى قال شهدت في الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجره الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم وما يكنون منها يرجع الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر وروى اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا اصبحوا في زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما اشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون في الاطعمة الرفيعة ويتغالون في المناكح والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما اشبه ذلك فينبغي للامام ان يكون على طريقة الصحابة والسلف رضي الله عنهم ويقتدي بهم في الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبعت ما جاء في العدل والانصاف وتمثل

الامام العادل لالفت فى ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكني اقتصرت على ماذكرته مخافة ان يمله الناظر ويسأمه السامع وبالله التوفيق الى اقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة واحوالهم وغير ذلك) *

قال الله تعالى الا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون فى هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم خرج من الاسلام وقال ايضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لاخيه قبله مظلمة فى عرض او مال فأتاه فتحلله منها قبل ان يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيأ يسيرا قال ولو كان قضيبا من اراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى يا اخا المرسلين يا اخا المنذرين انذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولاحد من عبادى عند احدهم مظلمة فانى العنه ما دام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فاكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من اوليائى واصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد ظلم فشخص ببصره الى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لانصرنك ولو بعد حين وعنه ايضا انه قال الا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم المغفور الذى لا يطلب فظلم العبد نفسه ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يا رب ان حلمك على الظالمين قد اضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى اعلى عليين واذا مناد ينادى حلمى على الظالمين احل المظلومين فى اعلى عليين وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو اسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم وروى لوح فى افق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم ار مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا

ردت عليك بما قدمت • ولن تزيد مظلومة ابدا

وكان معاوية يقول انى لاستحيي ان اظلم من لا يجد على ناصرا الا الله وقال ابو العيناء كان
لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى احمد بن ابى داود وقلت قد تضافروا على وصاروا يدا واحدة فقال
يد الله فوق ايديهم فقلت له ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السيء الا باهله فقلت هم فئة كثيرة
فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال يوسف بن اسباط من دعا لظالم بالبقاء
فقد احب ان يعصى الله فى ارضه وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال ابو القاسم صلى الله عليه
وسلم من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان اخاه لابيه وامه وقال مجاهد
يسلط الله على اهل النار الجرب فيحكون اجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم
هذا فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين وقال ابن مسعود
رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان
الرجل ليقلع الحجر من اساسه فيرده الى صاحبه وقال ابو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من
غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو ان الجنة وهى دار البقاء اسست على حجر من الظلم
لاوشك ان تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله
عليك لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال ميمون بن سميط
كان يزيد بن حاتم يقول ما هبت شيئا قط هيبتى من رجل ظلمته وانا اعلم ان لا ناصر له الا الله
فيقول حسبك الله الله بينى وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له الا الله
وبكى على بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك قال ابكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله
تعالى ولم تكن له حجة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبى
على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان
اذكر يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال
قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال ارض
لى بمكان كذا وكذا اخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه ارضه وارضا مع ارضه
وروى ان كسرى انوشروان كان له معلم حسن التاديب يعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه
المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على
ضربى يوم كذا وكذا ظلما فقال له لما رايتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد ابيك فا
ن اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال انوشروان زه زه وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمن الدهر حرا ظلمته • فما ليل حر ان ظلمت بنائم

وروى ان بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا • فالظلم مصدره يفضى الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه • يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما احسن ما قال الاخر

اتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن * لها امد وللامد انقضاء
فيمسكها اذا ما شاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال ابو الدرداء اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام
وقال الهيثم بن فراس السامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة املاك مضوا لسبيلهم * ابادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل ووجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بغى وللبغي سهام تنتظر * انفذ في الاحشاء من وخز الابر
سهام ايدي القانتين في السحر

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين اراد ان يوليه القضاء ما كنت لالي هذا بعد ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الظلمة واعوان الظلمة واشياع الظلمة حتى من بري لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في نار جهنم وروى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس ابي للمظالم يوما فلما انقضى المجلس راى رجلا جالسا فقال له الك حاجة قال نعم ادنني اليك فاني مظلوم وقد اعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال انت ولست اصل اليك فاذكر حاجتي قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي هذا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية اخذها وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج اديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وانا اؤدي خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود واشياء فقال له الرجل ايؤمنني الوزير من غضبه حتى اجيب قال نعم قد امنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فما معنى قولك بينة وشهود واشيا واي شيء هذه الاشيا انما هي الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق واني لاري فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وان يطلق له مائتا دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من اصحابه فكان قبل ان يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من اصحاب محمد بن عبد الملك

وردت عليه صحته وانشمه قال له ليلة كيف الناس الآن قال تحير قد اعتدت معهم الانصاف
ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم المغصوب وكشفت عنهم الكروب وانا ارجو لهم نجاة
نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب وما نقل في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله
وسلامه عليه ان رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك
ويقوت منه اطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم
اخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى
السمكة معه فاراد اخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس
الصياد ضربة موجعة واخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني
ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك
الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها
قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها فنقفت السمكة فاها ونكزته في اصبع
يده نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب الم يده وما حل به
فلما رآها قال له دواؤها ان تقطع الاصبع لئلا يسري الالم الى بقية الكف فقطع اصبعه
فانتقل الالم والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له
الطبيب ينبغي ان تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الالم الى الساعد فقطعها فانتقل الالم
الى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الالم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما
على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فاخذه النوم عندها
فنام فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع اعضاءك امض الى خصمك الذي
ظلمته فارضه فانتبه من النوم وفكر في امره فعلم ان الذي اصابه من جهة الصياد فدخل المدينة
وسأل عن الصياد واتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه
ودفع اليه شيئا من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه الصياد فسكن في الحال المه
وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام
يا موسى وعزتي وجلالي لولا ان ذلك الرجل ارضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (ومما
نقلته لغبار الاخبار) ما رواه انس رضي الله عنه قال بينما امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من اهل مصر فقال يا امير المؤمنين هذا مقام العائذ بك
فقال عمر رضي الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسي ابنا لعمرو بن العاص
وهو يومئذ امير على مصر فجعل يقمعني بسوطه ويقول انا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا اباه
فخشي ان آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه فهذا الحين اتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى
عمرو بن العاص اذا اتاك كتابي هذا فاشهد الموسم انت وولدك فلان وقال للمصري اقم
حتى يأتيك فاقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو
ابن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال انس رضي الله

عنه فلقد ضربه ونحن نشتهي ان يضربه فلم ينزع حتى لجبينا ان ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا امير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمر فقال يا امير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال اما والله لو فعلت ما منعك احد حتى تكون انت الذي تنزع ثم اقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول اني لم اشعر بهذا وقيل لما ظلم احمد بن طولون قبل ان يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب فقالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه واخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها واكباد جوعتموها واجساد عريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته (وحكى) ان الحجاج حبس رجلا في حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا ايام ومن نعيمك ايام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة وكتب في آخرها

سنعلم يا نؤوم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
اما والله ان الظلم لؤم * وما زال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن اناس * اداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

(وحكى) ابو محمد الحسين بن محمد الصالحي قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد ان اكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فاسرعنا الجواب فقال ويلكم اعينوني والحقوا بالشط فاول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وأتوني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة منحدرة وهي فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال اصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم ار مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها واخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم اجسر على حمل سلبها الى داري لئلا يفشو الخبر علي فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى ان خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين واخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال واين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد علي به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم امر ان ينادي ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلا

ثم امر ان يلبسوا ثياب فاخرة وحلى فليحضروا في اليوم الثاني لحلها واعطوا منهما رحمة
ماكان عليها فلما ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من اطلعك او اوحى اليك بهذه الحالة وانى
هذه السبية فقال بل رايت في منامي رجلا شيخا ابيض الراس واللحية والثياب وهو بازّ
بالجدار ولا ملاح يجهد والساعة فانبعث عليه وقرره على المراة التي فتلها اليوم فلما رحلها
ثيابها والتم عليه المحدر ولا يتملك فكان ما شاهدتم فيتعين على كل ولى امر ان يعدل في الاحكام
وان ينتصف في رعيته وعلى كل عاقل ان يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل الخليقة
ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم انه يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه
وينتصر للمظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا اخذ الظالم بظلمه والله تعالى اعلم بالصواب
واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب الحادي والعشرون في بيان الشروط التي توخذ على العمال وسيرة السلطان في استجباء الخراج واحكام اهل الذمة وفيه فصلان

(الفصل الاول في سيرة السلطان في استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال)

قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملك وما استغزر بمثل العدل وما استنزر بمثل الظلم
واسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور
ومثل السلطان اذا اجحف باهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه
ويأكله من الجوع فهو وان قوي من ناحية فقد ضعف من ناحية اخرى وما ادخل على
نفسه من الضعف والوجع اعظم مما دفع عن نفسه من الم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق
طاقتهم كالذي يطين سطحه بتراب اساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة
الارضين فيتركوها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج
وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء في السلطان وروى ان المأمون
ارق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا امير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة
بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا اجيب خطبة
ابنك حتى تجعلي لي في صداق ابنتي مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا اقدر عليها
ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك فاستيقظ لها المأمون وجلس
للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد امور الولاة والعمال والرعية وقال
ابو الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية
مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون في زمن يوسف الصديق صلوات الله
وسلامه عليه من اموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين اربعة وعشرون الف
الف واربعمائة الف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق
على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة عواملهم

والتوسعة في البلدان وغير ذلك من الالات واجرة من يستعان به يحمل الهدية وما ير
نفقات تعليق الارض ثمانماية الف دينار ولما ينصرف للارامل والايتام وان كانوا
غير محتاجين حتى لا يخلوا امثالهم من بر فرعون اربعماية الف دينار ولما ينصرف لكهنتهم
وبيوت صلاتهم مايتا الف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا وينادي عليه
بريت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مايتا الف دينار
فاذا فرقت الاموال على اربابها دخل امناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة الاموال ودعوا له
بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وانهوا اليه حال الفقراء فيامر باحضارهم وتغيير
شعثهم ويمد لهم السماط فياكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب
فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذي كان له ولما ينصرف في نفقات عرو
الراتبة في كل سنة مايتا الف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام
للملك ويجعله في بيت المال لنوائب الزمان اربعة عشر الف الف وستماية الف دينار وقال
ابو رهم كانت ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه
حيث شاؤا ويرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي الاية وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض اعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتي
النيل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض
مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين
الجبلين من اولها الى اخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ
في حفره وتدبيره فجعل اهل القرى يسالونه ان يجري لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه
مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه
كيف ارادوا الى حيث قصد فليس خليج بمصر اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك اموال عظيمة
جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف على
عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم رد على اهل القرى
اموالهم فرد عليهم ما اخذه منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه
ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد
رسول الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
تعالى اجعلني على خزائن الارض قال هي خزائن مصر ولما استوثق الامر ليوسف عليه السلام
وكمل وصارت الاشياء اليه واراد الله تعالى ان يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وكانت
مصر اربعين فرسخا في مثلها وما اطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وتابعه
الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم وكانت السنون التي حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز
وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك

اصلحه برحمتك وبحبتك فما كانت تحتقنه وتكرمه ثم قيل لها لاتفعلي لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسىء اليك ويكافئك بما سبق منك اليه فقالت انا اعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زهاء مائة الف من عظماء قومه واهل مملكته فلما احست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من انت فقالت انا التي كنت اخدمك بنفسي وارجل شعرك بيدي واكرم مثواك بجهدي وكان مني ما كان وقد ذقت وبال امري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت اسأل الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وبعد ما كنت مغبوطة اهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال هل بقي في قلبك من حبك اياي شيء قالت نعم والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك احب الي من ملء الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف وارسل اليها يقول ان كنت ايما تزوجناك وان كنت ذات بعل اغنيناك فقالت لرسول الملك انا اعرف انه يستهزئ بي حيث لم يردني في ايام شبابي وجمالي فكيف يقبلني وانا عجوز عمياء فقيرة فامر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وادخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلي ودعا الله تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغي للقوي ان لا ينسى الضعيف والغني ان لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا ورب راحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى ان يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الارض كان يجوع ويأكل من خبز الشعير فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع ومن حسن سيرة العمال ما روي ان عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضي الله عنه ان اقدم علينا فلم يشعر عمر الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له يا عمير اجبتنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين اما نهاك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا اجرها بقرابها فقال له وما معك من الدنيا قال عكازة اتوكأ عليها وادفع بها عدوا ان لقيته ومزود احمل فيه طعامي واداوة احمل فيها ماء لشربي ولطهوري وقصعة اتوضأ فيها واغسل فيها راسي وآكل فيها طعامي فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبع لما معي قال فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم الحقني بصاحبي غير مفتتن ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير فقال اخذت الابل من اهل الابل والجزية من اهل الذمة

حتى يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل فوالله يا امير المؤمنين
لو بقي عندي منها شيء لاتيتك به فقال عمر عد الى عملك يا عمير قال انشدك الله يا امير المؤمنين
ان تردني الى اهلي فاذن له فاتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له
خبّر لي عميرا وانزل عليه ثلاثة ايام حتى ترى حاله هل هو في سعة ام ضيق فان كان في
ضيق فادفع اليه المائة دينار فاتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت
فلما مضت ثلاثة ايام قال يا حبيب ان رايت ان تتحول الى جيراننا فلعلهم ان يكونوا اوسع
عيشا منا فانا والله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال
قد بعث بها امير المؤمنين اليك فدعا بفرو وخلق لامرأته فجعل يصر فيها الخمسة دنانير والستة
والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى ان انفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك
يا امير المؤمنين من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فامر له عمر بوسقين
من طعام وثوبين فقال يا امير المؤمنين اما الثوبان فاقبلهما واما الوسقان فلا حاجة لي
بهما عند اهلي صاع من بر هو كافيهم حتى ارجع اليهم وروي ان عمر رضي الله عنه صر اربعمائة
دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى
تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك امير المؤمنين عمر بن الخطاب
اجعل هذه في بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبي بهذه
السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفدها فرجع الغلام الى عمر واخبره فوجده
قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر ما يكون من امره فمضى
اليه وقال له كما قال لابي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل ابو عبيدة فرجع الغلام فاخبر
عمر فقال انهم لاخوة بعضهم من بعض رضي الله تعالى عنهم اجمعين

(الفصل الثاني في احكام اهل الذمة) روي عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن
الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله
عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا
سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث
في مدائننا ولا فيما حواليها كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب
منها ولا ما كان مختطا منها في خطط المسلمين في ليل ولا في نهار وان نوسع ابوابها للمار وابن السبيل
وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نأوي في كنائسنا ولا في منازلنا
جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا
ولا نمنع احدا من ذوي قراباتنا الدخول في دين الاسلام ان اراده وان نوقر المسلمين ونقوم
لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس وان لا نتشبه بالمسلمين في شيء من ملابسهم من قلنسوة
ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب في السروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع

الجمر وان نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شئ من اسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس في كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران في شئ من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم وقد شرطنا ذلك على انفسنا وعلى اهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شئ مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل باهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان امض ما سألوه والحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ما شرطوا على انفسهم ان لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وروي ان بني تغلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقالوا يا امير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من ارديتهم حزما يحتزمون بها وامرهم ان لا يركبوا بالسروج وان يركبوا على الاكف من شق واحد وروى ان امير المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم واذلهم وابعدهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وقرب منه اهل الحق وابعد عنه اهل الباطل فاحيى الله به الحق وامات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشا في دينهم ولا يحل في دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري رضي الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفا فقال يا امير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر رضي الله عنه ان العدو قد كثر وان الجزية قد كثرت افنستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك واصيب معك قال اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فاجابه بمثل الاول فقال نعم فخرج به وفرح به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم

ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم قال اصحاب الشافعي ويلزمهم
ان يتميزوا في اللباس عن المسلمين وان يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة
ويشدوا الزنانير على اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من نحاس او رصاص او جرس
يدخلون به الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمايم ولا الطيلسانات واما المرأة فانها تشد
الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم تدخل به الحمام
ويكون احد خفيها اسود والآخر ابيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالاكف
عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤون بالسلام ويلجأون
الى اضيق الطريق ويمنعون ان يتطاولوا على المسلمين في البناء ويجوز المساواة وقيل
لا يجوز وان تملكوا دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير
والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في ارض الحجاز وهي مكة
والمدينة واليمامة وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام اهل الملة انتقض عهدهم
وان زنى احد منهم بمسلمة او اصابها بنكاح او آوى عينا للكفار او دل على عورة المسلمين
او فتن مسلما عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفي تقدير الجزية
اختلاف بين العلماء فمنهم من قال انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر رضي الله عنه
الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية واربعين درهما وعلى من دونه اربعة
وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم
اجمعين ولم يخالفه احد وكان الصرف اثني عشر بدينار وهذا مذهب ابي حنيفة واحد
ابن حنبل واحد قولي الشافعي ويجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص
عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين واما الكنايس فامر عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع ان يجدد كنيسة وامر
ان لا تظهر علية خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على راس
صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين اجمعين وشدد
في ذلك عمر بن عبد العزيز وامر ان لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة
ولا حديثة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوايج المسلمين وادخال السرور عليهم

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مشى في عون اخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله
وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فاحب خلقه
اليه انفعهم لعياله رواه البزار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى
والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس

رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس انفعهم للناس وعن كثير
ابن عبيد بن عمرو بن عوف المزني عن ابيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه ان لا يعذبهم بالنار فاذا
كان يوم القيمة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في
حاجة فقضيت له او لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكتب له براءتان براءة
من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له
رواه ابو نعيم في الحلية ورويناه في مكارم الاخلاق لابي بكر الخرائطي عن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة اخيه المسلم كتب الله له بكل
خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع اخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله
بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه ابو نعيم
وابن ابي الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله عند اقوام نعما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الله
الى غيرهم رواه الطبراني ورويناه من طريق الطبراني باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد انعم الله عليه نعمة فاسبغها
عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا
وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما يقول الاسد في زئيره
قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على احد من اهل المعروف رواه ابو
منصور الديلمي في مسند الفردوس وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله اي
الناس احب اليك قال انفع الناس للناس قيل يا رسول الله فاي الاعمال افضل قال ادخال
السرور على المومن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه
ومن مشى مع اخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت
الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السيء يفسد العمل
كما يفسد الخل العسل وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لقي اخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد
حسن وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادخل

على اهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة رواه الطبراني وعن جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادخل رجل على مؤمن
سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد في قبره
اتاه ذلك السرور فيقول له اما تعرفني فيقول له من انت فيقول انا السرور الذي ادخلتني
على فلان انا اليوم أونس وحشتك والقنك حجتك واثبتك بالقول الثابت واشهد مشاهدك
يوم القيامة واشفع لك الى ربك واريك منزلك في الجنة رواه ابن ابي الدنيا وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه يرفعه اذا اراد احدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج
من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وانا انزلناه في ليلة القدر وام الكتاب فان فيها
حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع * ومن كلام الحكماء اذا سألت كريما حاجة فدعه
يفكر فانه لا يفكر الا في خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه ان لا يفعل
وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسئول انمت عن حاجتك فقال ما نام
عن حاجته من اسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فعجب من فصاحته وقضى
حاجته ولم يعطه بالجزيل وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية ابسط من لساني
بالمسئلة فامر له بالف دينار وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة اهون
من طلبها الى غير اهلها وعنه ايضا قال لا تكثر على اخيك الحوائج فان العجل اذا افرط في
مص ثدي امه نطحته وقال ذو الرياستين لثمامة بن اشرس ما ادري ما اصنع بكثرة
الطلاب فقال زل عن موضعك وعلي ان لا يلقاك منهم احد فقال له صدقت وجلس
لهم في قضاء حوائجهم وحدث ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخي قال عرضت على ابي
الحسن علي بن محمد بن الفرات رقعة في حاجة لي فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها
بشئ فاخذتها وقمت وانا اقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

واذا خطبت الى كريم حاجة * وابى فلا تقعد عليه بحاجب
فلربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا ابا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة
فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فاخذ الرقعة ووقع فيها بما اردت وسأل اسحاق بن يحيى
اسحاق بن ابراهيم المصعبي ان يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتي واشد عراها * فقد اضحت بمنزلة الضياع
اذا شاركتها بلبان اخرى * اضر بها مشاركة الرضاع

وقال ابو دقاقة البصري

اضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحالك الوصال
اطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال

وقال مسلم الحاسر

اذا اذن الله فى حاجة * اتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ولله در القائل حيث قال

ايا المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فضل المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال اتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل الى رسولا او اكتب لى كتابا فانى لاستحيى من الله ان يراك ببابى وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال والذى وسع سمعه الاصوات ما من احد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

* (الباب الثالث والعشرون فى محاسن الاخلاق ومساويها) *

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما اثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضى الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرم ولد آدم على الله عز وجل اعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب ويقول برد هذا يطفئ حر هذا وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد فى السمع ولو سألت ربى ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فاكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارق فى سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق اهله قالت عائشة رضى الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وكان له عبيد واماء لا يرتفع على احد منهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو امى لا يقرأ ولا يكتب نشأ

فى بلاد الجهل والصحارى يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما وكان يقول انا افصح العرب وقال انس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا فى شئ لم افعله لم لا فعلته ولا لامنى احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من ان النبى صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التى هى اعلى مرتبة من العبودية فالنبى صلى الله عليه وسلم اعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا فحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويركب الحمار بلا اكاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى من دعاه لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذى يرفعها يعود المريض ويتبع الجنايز ويجالس الفقراء اعظم الناس من الله مخافة واتعبهم لله عز وجل بدنا واجدهم فى امر الله لا تأخذه فى الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيئا الا ان يجاهد فى سبيل الله ولا خير بين امرين الا اختار ايسرهما الا ان يكون اثما او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهى قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وفى رواية اخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى فى انف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى فى انف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيئ الخلق اجنبى عند اهله وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق احب الى من ان يصحبنى عابد سيئ الخلق لان الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس واحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه بيت مفرد

اذا رام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل ابى الله لسيئ الخلق التوبة لانه لا يخرج من ذنب الا دخل فى ذنب اخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شئ لم يقل ما بال فلان ولكن يقول ما بال اقوام يقولون حتى لا يفضح احدا وعنه صلى الله عليه وسلم ما شئ فى الميزان اثقل من حسن الخلق وعنه ايضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد فى رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد له فى عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان فى الرزق وقيل سوء الخلق يعدى لانه

يدعو

يدعوا الى ان يقابل بمثله وكتب الحسن بن على الى اخيه الحسين رضى الله عنهم فى اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين انت اعلم منى بأن خير المال ما وقى به العرض فانظر الى شرف ادبه وحسن خلقه كيف ابتداء كتابه بأنت اعلم منى وكان بينه وبين اخيه كلام فقيل له ادخل على اخيك فهو اكبر منك فقال انى سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما اثنين جرى بينهما كلام فطلب احدهما رضى الآخر كان سابقه الى الجنة وأنا اكره ان اسبق اخى الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنهما وانشد فى المعنى

وانى لالقى المرء اعلم انه * عدو وفى احشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرا فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذى سرقها قبض عليه واحضر بين يدى جعفر فلما راى ما ظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك الست يوم كذا طلبت منى هذه الجوهرة فوهبتها لك واقسم بالله لقد نسيت هذا ثم امر للجوهرى بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذى يطيب خاطرك به لا بثمن بيع خائف ودخل محمد ابن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجارية على رأسه تبتسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد انا اخبرك يا امير المؤمنين تتعجب من قبحى واكرامك اياى فقال لا تعجبى فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمانى

(وحكى) ان بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن اصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى ابول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام واخرج سكينا فقطع اطراف اللجام واخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره واطرق برأسه الى الارض واطال الجلوس حتى اخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الىّ فرسى فانه قد دخل فى عينىّ من سافى الريح فلا اقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان اطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها احدا (وذكر) ان انوشروان وضع الموائد للناس فى يوم نوروز وجلس ودخل وجوه اهل مملكته فى الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب واحضرت الفواكه والمشموم فى آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس اخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه الف مثقال وخبأه تحت ثيابه وانوشروان يراه فلما فقده الشرابى صاح بصوت عال لا يخرجن احد حتى يفتش فقال كسرى ولم فاخبره بالقضية فقال قد اخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش احدا فأخذ الرجل الجام ومضى

فكسره وصاح منه مسطعة وحلية لسيفه وجد دله كسوة جميلة فلما كان في مثل ذلك اليوم جلس
الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الارض وقال
نعم اصلحك الله وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فلم
يجبه احد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول ما ينبغي للغلام ان يأكل
ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم يا غلام فنكس المأمون راسه طويلا
فما شككت انه يأمرني بضرب عنقه ثم نظر الي فقال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت اخلاقه
ساءت اخلاق خدمه واذا ساءت اخلاقه حسنت اخلاق خدمه وانا لا نستطيع ان نسيء
اخلاقنا لنحسن اخلاق خدمنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما وردت علينا الوليد بن عتبة
ابن ابي سفيان المدينة واليا وكان وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا
الا اغناه ولا مدينا الا ادى عنه دينه وكان ينظر الينا بعين ارق من الماء ويكلمنا بكلام
احلى من الجنا ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغديا يوما عنده فاقبل
الفراش بصحفة فعثر في وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها الا ذقن الوليد
وانكب جميع ما فيها في حجره وبقي الغلام متمثلا واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم رجليه
فقام الوليد فدخل فغير ثيابه واقبل علينا تبرق اسارير جبهته فاقبل على الفراش وقال
يا بائس ما اراك الا روعناك اذهب فانت واولادك احرار لوجه الله تعالى ومرض احمد
ابن ابي داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان اتصدق بعشرة آلاف
دينار فقال له احمد يا امير المؤمنين فاجعلها في اهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال
نويت ان اتصدق بها على من هاهنا واطلق لاهل الحرمين مثلها فقال احمد متع الله الاسلام
واهله بك يا امير المؤمنين فانك كما قال النميري لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف اودية * احلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بامين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم
جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم والقته
خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة
لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا رأى احدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه
ففهموا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراآة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال
من خدعنا في الله انخدعنا له وروي ان ابا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع في وقت الظهر
فالقي عليه من فوق سطح طست رماد فتغير اصحابه وبسطوا السنتهم في الملقي للرماد فقال ابو
عثمان لا تقولوا شيأ فان من استحق ان يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز له ان يغضب
وقيل لابراهيم بن ادهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احدهما
اني كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال علي والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعني

وروي ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى (وحكي) ان ابا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يا استاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف ابو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا استاذ ندمت واخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال في الاولى ثم فعل به ذلك اربع مرات وابو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاذ انما اردت بذلك اختبارك والوقوف على اخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال ابو عثمان لا تمدحني على خلق تجده في الكلاب فان الكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر وقال الحارث بن قصي يعجبني من القراء كل فصيح مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله في المسلمين مثله ومن محاسن الاخلاق ما حكي من القاضي يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح بغلام يسقيه وانا نائم فينغص علي نومي فرأيته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه حتى اتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه حتى قرب من الفراش الذي انا عليه فخطى خطوات خائف لئلا ينبهني حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم في اول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان اتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا امير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت ان اصيح بالغلام فان عجلت فقلت يا امير المؤمنين قد خصك الله تعالى باخلاق الانبياء واحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة واتمها عليك فامر لي بالف دينار فاخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت ارمقه وهو يحشو فمه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل واكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما في بستان نتدور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان اصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا في البستان من اوله الى آخره وكنت انا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان اتحول انا في الظل ويكون هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن في مكاني ولاكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما اخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما اخذت نصيبي فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت انا فانه لا خير في صحبة

امن لا ينصف فانظر الى اخلاقهم رضى الله تعالى عنهم ما احسنها والى افعالهم ما ازينها نسأل الله تعالى ان يحسن اخلاقنا وان يبارك لنا فى ارزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والعشرون فى حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما اشبه ذلك)

اعلم ان المودة والاخوة والزيارة سبب التآلف والتآلف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما اعد فيها لاوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين وقد ذكر الله تعالى اهل جهنم وما يلقون فيها من الالم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه الرجل بلا اخ كشمال بلا يمين وانشد وافى ذلك

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى الكف مقطوعة * ولا خير فى الساعد الاجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون فى السراء والضراء ومن كلام على رضى الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا الف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعى الصاحب للصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا امير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطئ والنظر الى الحسن من كل شئ قال فأين انت يا امير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهى اولاهن وقال سليمان بن عبد الملك اكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتى الا صديق اطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضى الله عنه نكحت النساء حتى ما افرق بين امرأة وحائط واكلت الطعام حتى لا اجد ما أستمريه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلى ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقى من اللذات ما تتوق اليه نفسى الا محادثة اخ كريم وانشدوا فى معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا * فقد صاروا اقل من القليل

وقال لبيد

ماعاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال آخر

اذا ما انت من صاحب الدولة * فكن انت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك اي الاخوان احق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله اكثر من مودة قوله وانشد وافى المعنى

ان اخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وقال غيره

وليس اخي من ودني بلسانه * ولكن اخي من ودني وهو غائب

ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته النوائب

وقال ابو تمام

من لي بانسان اذا اغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه

واذا صبوت الى المدام شربت من * اخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله ادرى به

وقيل لخالد بن صفوان اي اخوانك احب اليك قال الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقيل عثرتي وقيل من لا يواخي الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

وقال آخر

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وان انت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من اخيك امرا تكرهه او خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمته واستر عورته وابقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما امره بالبراءة من عملهم السيئ وقال صلى الله عليه وسلم الارواح اجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال عليه السلام ان روحي المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه وفي ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوي لعمري كطرفه

وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال آخر

نسيم الشرق اوما فكم فغدا * من طيب ذكركم نشرا فاحيانا
من هناك عشقناكم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين احيانا

ما تحاب اثنان فى الله الا كان افضلهما عند الله اشدهما حبا لصاحبه ما زار اخ اخا فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل فى الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء ان تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا اعجب الاشياء ود من يهودي وحفظ من نصراني وديانة من دهري وكرم من اعجمي واحذر من الكريم اذا اهنته واللئيم اذا اكرمته والعاقل اذا احرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اصعب من الاخوان من اولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسي جمائله وبقي شاكرا ناشرا ذاكرا لجميلتك يوليك عليها الاحسان الكثير الجزيل ويجعل انه ما بلغ من مكافأة تلك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن ...

خليلي للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وما تعرف العينان فالقلب عارف

وقال آخر

وكنت اذا الصديق اراد غيظي * وشرقني على ظمأ بريقي
غفرت ذنوبه وكظمت غيظي * مخافة ان اعيش بلا صديق

وقال آخر

وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان امسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح او غدا * لضر عدو او لنفع صديق

(واما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الهذلي اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فامر له بالف دينار وكان هناك رجل قد فسح له فى مجلس فدفعها للذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لجليسي علي ثلاث ان ارميه بطرفي اذا اقبل واوسع له فى المجلس واصغي له اذا حدث ويقال لكل شئ محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الصالح كالعطار ان لم يصبك من عطره اصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكير ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحك الله بالانعم وطيب الاطعمة

ونقول ايضا صبحك الافاح وكل طير صالح ووصف المأمون تمامة بحسن المعاشرة فقال
انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل اول ما يتعين على الجليس الانصاف
في المجالسة بان يلحظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما في محله وقال صلى الله
عليه وسلم ذو العلم والسلطان احق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله عنه اذا دخلت
منزل اخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس في الصدر وينبغي للانسان ان لا يقبل بحديثه
على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه ان يحدث المستمع
على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق
الحال واوجبوا على المستمع انه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان قد سمعه اولا ان لا يقطع عليه
ما يقوله بل يسكت الى ان يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الادب ولعله اذا اصبر
وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل ثمانية ان اهينوا فلا يلوموا
الا انفسهم الجالس في مجلس ليس له باهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين
في حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتامر على رب البيت في بيته والآتي
الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من اعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس
ان يراعي الفاظه ويكون على حذر ان يعثر لسانه خصوصا اذا كان جليسه ذا هيبة فقد قيل
رُب كلمة سلبت نعمة وقال ابو العباس السفاح ما رأيت اغزر من فكر ابي بكر الهذلي لم يعد على
حديثا قط وقيل ان ابا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فأرمت طستا من سطح الى
المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مُطابقة لعين السفاح فقال ما اعجب
شانك يا هذلي فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما
غمره السرور بمحادثة امير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما
أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لارفعن مكانك ثم امر له بمال جزيل
وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبني احد قط غلبة رجل يصغي الى حديثي
وفي نوابغ الحكم اكرم حديث اخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق
الملك اذا تثاءب او القى المروحة من يده او مد رجليه او تمطى او اتكأ او فعل ما يدل على
كسله ان يقوم من بحضرته وكان ازدشير اذا تمطى قام سماره ومن حق الملك ان لا يعاد
عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع اقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة
فما أعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لي قد سمعته منك وعن الشعبي قال ما حدثت
بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن ابي رباح ان الرجل ليحدثني بالحديث فانصت
له كاني لم اسمعه قط وقد سمعت به من قبل ان يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد
الى الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما
في وجه صاحبه ثم اخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء
كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدث القوم ان لا تقبل على واحد منهم ولكن

اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا اردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك
بالطلاقة ووجه الرضاء والبشاشة ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف
على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على احد وتحفظ من تشبيك اصابعك ومن العبث
بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك
وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك
منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة في
التزين ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك
عندهم واذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر
الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك واهدأ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان
فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك لطفه بك على ان تدخل
بينه وبين اهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده وإياك وصديق العافية فانه اعدى
الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتزم ترك الغيبة
ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة باخلاق الملوك
والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرتهم ولا تخلل اسنانك بعد الاكل عندهم
ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى
اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم واياك ان تمازح لبيبا او سفيها فان
اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه
ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلي في مجلس بمزاح او
لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جلس في مجلس
فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله
الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك (واما آداب المسايرة)
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته
في المشي مشى فيعزمان عليه ان لا يمشي فيأبى ويقول ما انتم باقدر مني على مشي وما انا
باغنى منكم عن اجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي وقيل
لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا في ثلاث اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا او واجهوا خيلا
وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلاث
في نكبته وغيبته ووفاته (واما ما جاء في الاخوان القليلي الموافاة العديمي المكافاة الذين
ليس عندهم لصديق مصافاة * فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت
رجلا غفر لي زلة ولا اقالني عثرة ولا ستر لي عورة وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه

اذا كان

اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل احد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع
على غير مسمى وحيوان غير موجود قال الشاعر

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
واحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر
الصادق لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وانكر من عرفت منهم وان كان لك مائة
صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق
فقال اما فى حال الولاية فكثير وانشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

ولما نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه احدا من اصحابه الذين كانوا يألفونه فى ولايته
فلما ردت اليه الوزارة وقف اصحابه ببابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون اخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

وقال اخر

فما اكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل

وقال البحترى

اياك تغتر او تخدعك بارقة * من ذى خداع يرى بشرا والطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة * وسرت فى الارض اوساطا واطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا ابدا * ولا اخا يبذل الانصاف ان صافى

وقال بعضهم فى المعنى ايضا

خليلى جربت الزمان واهله * فما نالنى منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت ابناء الزمان فلم اجد * خليلا يوفى بالعهود ولا انا

وقال اخر

لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد اصطفى
فعلمت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

بيت مفرد

وكل خليل ليس فى الله وده * فانى به فى وده غير واثق

وقال اخر

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك ان يخونا
فانك لم يخنك اخ امين * ولكن قل ما تلقى امينا

وقال آخر

تحب تدوي ثم تزعم انني * اودك ان الرأي منك لعازب
وليس اخي من ودني بلسانه * ولكن اخي من ودني وهو غايب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير بن مقلة ولم يقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا الى اعدائه وعزله لم يات اليه احد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له في بقية يومه انه برئ مما نسب اليه فخلع عليه ورد اليه وظايفه فانشد يقول هذه الابيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا ايها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لي الزمان

ومثله في المعنى

اخوك اخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعي استجابا
اذا حاربت حارب من تعادى * وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدي

ولخ رخصت عليه حتى ملني * والشيء مملول اذا ما يرخص
ما في زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان ان لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا والاخرة وما احسن ما قال بعضهم

وكل محبة في الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء في لهب الحريق

فينبغي للانسان ان يجتنب معاشرة الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فاثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو في الاخلاق خاصة فليس احد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا في خلائقه غليظا في طبائعه قويا في بدنه لا تؤمن ضغائنه فالحقه بعالم الثورة والعرب تقول لجهل من ثور واذا رأيت الرجل هجاما على اعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب ان يجفو من لا يجفوه ويؤذي من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح الست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فالحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان ادنيته بعد وان ابعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فالحقه بعالم الثعالب

واذا رأيت من يمشي بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان وهي دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة مشى بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لايسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف اخبار اهل الدنيا فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها اكل العذرات وملابسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت الرايحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة ليعلها ببيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر في عطفيه فالحقه بعالم الطواويس واذا ابليت بانسان حقود لاينسي الهفوات ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول احقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الاشرار واهل الغدر ومن لاوفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايد الخلق وارا ح قلبه وبدنه والله اعلم * واما الزيارة والاستدعاء اليها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في اليوم اظلهم في ظلي يوم لاظل الاظلي وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا اوزار اخا نادى مناد ان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة اصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب واستار

لايمنعنك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

ولتكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زرغبا تزدد حبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا

الم تر ان الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدي اذا هو امسكا

ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعد

وقال اخر

وان مروري بالديار التي بها * سليمى ولم المم بها لجفاء

وقال اخر

قد اتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لي واقول

وقال اخر

ازور بيوتا لاصقات بيتها * وقلبي في البيت الذي لاازوره

وزار محمد بن يزيد المهلبي المستعين ووهب له مائتي الف درهم واقطعه ارضا فقال

وخصصتني بزيارة اضحى لنا * مجد بها طول الزمان مؤثل

وقضيت ديني وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المامون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن في افضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودي * انكم غبتم ونحن حضور
فاجدوا المسير بل ان قدرتم * ان تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف اى الرسل انجح قال الذى له جمال وعقل وقيل اذا ارسلتم رسولا في حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يا بنى لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا ابطا الرسول فقل بنجاح * ولا تفرح اذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان

(الفصل الاول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله سبحانه وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذى يرحم نفسه واهله خاصة ولكن الرحيم الذى يرحم المسلمين رواه ابو يعلى والطبرانى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى رواه ابو محمد بن عدى في كتاب الكامل وروينا من طريق الطبرانى عن الشعبى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبرانى انى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبى صلى الله عليه وسلم واشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مسح على راس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف انت مع اهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابدال امتى لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن

يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

(الفصل الثاني في الشفاعة واصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما او قمعت به ظالما او اغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة ان تعين بجاهك من لا جاه له وعن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضي الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى اخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبراني في المكارم وقال على رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وانا اتوسل اليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع ان يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف امير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فابوا الا ان ياخذها فقال اقذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له اما ترى الى حسنها يا ابا عبد الله فقال له يا امير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما اعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام احصن ولا احسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد اقطعتكها فقال انت والله يا امير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمرك اكثر من ماضيه ثم اقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحقي عليك الا اخبرتني واعلمتني بخبر هذه الرقاع فاعلمه وقال ما اتيت يا ابن معلم الخير الا كريما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل

نبني كما كانت اوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت واربحت وقال المبرد اتاني رجل لاسعى له في حاجة فانشدني لنفسه

انى قصدتك لا ادلى بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك
فبت حيران مكروبا يؤرقنى * ذل الغريب ويغشينى الكرى كرمك
ما زلت انكب حتى زلزلت قدمى * فاحتل لتثبيتها لا زلزلت قدمك
فلو هممت بغير العرف ما علقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له والله من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعى اليك الله لا شئ غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

فامره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح الف درهم فلما استوفى ثلاثين الفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو اقام الى آخر عمره ما قطعتها عنه شعر

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع
الى باب مولانا رفعت ظلامتى * عسى الهم عنى والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبى فكل عبد * يجار اذا تشفع بالنبى
ولا تجزع اذا ضاقت امور * فكم لله من لطف خفى

وروى ان جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة اصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا اذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والعشرون فى الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان

(الفصل الاول فى الحياء) قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مكارم الاخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ما شئت وقال على ابن ابى طالب كرم الله وجهه من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن على عن آبائه يرفعونه من لم يستحى فهو كافر وقال ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه انى لادخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فأحنى فيه صلبى حياء من ربى وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون فى الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على اربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه او رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

(الفصل الثانى فى التواضع ولين الجانب وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض جناحك
للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل العبادة التواضع وقال
صلى الله عليه وسلم لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فىّ ما قالت النصارى فى المسيح
فان الله عز وجل اتخذنى عبدا قبل ان يتخذنى رسولا واتاه صلى الله عليه وسلم رجل
فكلمه فاخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هوّن عليك فانى لست بملك انما انا ابن
امراة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
فى مهنة اهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا اشد الناس حياء واكثرهم تواضعا وكان اذا حدث
بشئ مما اتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا
فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة
لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدى بن ارطاة لاياس بن معاوية
انك لسريع المشية قال ذلك ابعد من الكبر واسرع فى الحاجة وخرج معاوية على ابن
الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من
النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له
فى ذلك فقال ان ابى كان جبارا فاحببت ان اتواضع لربى لعله ان يخفف عن ابى تجبره وقال
مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودى فرفعه فوق الجبال وجعل
قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا
يا رب قال لانى رأيتك تتمرغ بين يدىّ فى التراب تواضعا لى وقيل من رفع نفسه فوق قدره
استوجب مقت الناس وقال ابو مسلم صاحب الذخيرة ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من
تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شئ لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

* (الباب السابع والعشرون فى العجب والكبر والخيلاء وما اشبه ذلك) *

اعلم ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من
سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الا من ذلة يجدها
فى نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه
فقال وددت انى مثلك فى ظنك وان اعدائى مثلك فى الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال فى
مشيه فقال جعلنى الله مثلك فى نفسك ولا جعلنى مثلك فى نفسى وقال الاحنف عجبت لمن جرى
فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومر بعض اولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر فى مشيه
فقال له مالك يا بنى لو تركت هذه الخيلاء لكان اجمل بك فقال او ما تعرفنى قال اعرفك معرفة

جيفة اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فارعوى الفتى
رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة
والسيادة واعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما بي
يعني التكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل
جذيمة الابرش غاية في الكبر يقال انه كان لا ينادم احدا تكبرا ويقول انما ينادمني الفرقدان
وكان ابن عوانة من اقبح الناس كبرا روى انه قال لغلامه اسقني ماء فقال نعم فقال انما يقول
نعم من يقدر ان يقول لا اصفعوه فصفع ودعا اكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا
لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر قال الجاحظ المشهورون
بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو امية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدي
واما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وانفسهم الا اربابا وقيل لرجل من بني
عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال اخاف ان لا يحمل الجسر شرفي وقيل للحجاج بن ارطاة ما لك
لا تحضر الجماعة قال اخشى ان يزاحمني البقالون وقيل اتى وائل بن حجر الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاقطعه ارضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه
معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له اردفني خلفك على
ناقتك قال لست من ارداف الملوك قال فاعطني نعليك قال ما بخل يمنعني يا ابن ابي سفيان
ولكن اكره ان يبلغ أقيال اليمن انك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا
وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فاقعده معه على السرير وحدثه وقال المسرور بن
هند لرجل اتعرفني قال لا قال انا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لا يعرف القمر

قل للاحمق يلوي التيه اخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت) *

من شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه وعقبة بن ابي معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير
ام من يأتي آمنا يوم القيامة نزلت في ابي جهل وعمار بن ياسر والنسب الى سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر
وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فالفخر في الاسلام
بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل
لعربي على عجمي ولا لأحمر على اسود الا بالتقوى ألا هل بلغت وقال الاصمعي بينما انا اطوف

بالبيت ذات ليلة اذ رايت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حى يا قيوم لم تنم
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا * فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى * فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى * فأين رجائى ثم أين مخافتى

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم اجمعين فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعى سيدى ماهذا البكاء والجزع وانت من اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة اليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا اصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا اليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون والتحر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول الزكية الا ان العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم الاهم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لانى أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة فى الثناء عليها ويقول عند انشادها اى علم بين جنبى واى لسان بين فكى وقال الجاحظ لو لم يصف الطبيب مصالح دوائه للمعالجين ما وجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع فى رسالته التى سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم يحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر فى هذا الباب ان شاء الله تعالى شيأ من نظم البلغاء ونثرهم فى الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره قال ابو بكر الهذلى سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفى يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرت باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال انشدنى شعرا فانشده شعرا لأوس بن حجر وغيره

من الشعراء من بني عمرو بن تميم وجدته حين اتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا اوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ماكان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان اثقل العرب على عدوه وطأة وأنزلهم لضيفه واحوطهم من وراء جاره لجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر واله بهذه الخلال فقال له واسيا أخا بني تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكني احق ببيته منه

ومن شعر ابي الطمحان

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضي الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فأنا ابن علي وأنت ابن صخر وأمك هند وامي فاطمة وجدتك قتيلة وجدتي خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروى ان معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على اهلها اموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن علي فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية اني قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جد من هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفي ذلك يقول علي بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت في كل جامع

وله ايضا

اني وقومي من انساب قومهم * كمسجد الخيف من مجبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلي بن أبي طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعي مفتاحه فقال علي ما أدري ما تقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة اشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة

المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية ونفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال احدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا انه مسلم ما ذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله ان يجعله عاشرهم فى النار والذى انتسب الى أب مسلم فحق على الله ان يجعله مع ابيه المسلم فى الجنة قال سلمان الفارسى

أبي الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيى الموتى فانكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا وجدى فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق اول من فدى الموؤدات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون انا هام اهل الابطح

وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المروانى من الأندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام وكان ابو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا امير المؤمنين ان اهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن اول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال ابو العباس ما أظن التيمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى امير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب احدا قال أخطأ المتقحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبى المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضى والولى وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين

عندكم قال الجبهة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم انت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا انزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر ان الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجبهة بالجبهة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فاكله الكنع ثم قال للابراهيم اني اسائلك عن اربع ان اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا او منكم قال منكم قال فالقرآن انزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا او فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا او لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما انتم الا سائس قرد او دابغ جلد او ناسج برد قال فضحك ابو العباس وافرح لخالد وحباهما جميعا وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

وقال السموءل بن عاديا

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لا ينال طويل
وانا أناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن ما في نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول
وما أخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول

واسيافنا

وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قبيل
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول
فانا بني الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس ان يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حي يقاربنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤنس الفزع
وننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سننا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * او حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لو كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم في مطمع طبع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا عطفوا * ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الأهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بني تميم

أيبغي آل شداد علينا * وما يرعى لشداد فصيل
فان نغمد مناصلنا نجدها * غلاظا في أنامل من يصول

وقال سالم بن أبي وابصه

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به * احمي الذمار وترميني به الحدق
فما زلقت ولا أبديت فاحشة * ان الرجال على أمثالها زلقوا

* (واما التفاضل والتفاوت) *

فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي

جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهما كانا من خيار الصحابة وابواهما اعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه اما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال احمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث واشعب الطماع وربتهما قال اشعب فكنت اسفل وكان يعلو حتى بلغت أنا وهو هاتين الغايتين وقال ابو العلاء زكريا بن هارون

على وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطبائع والعقل
ألم تر عبد الله يبلى على الندا * عليا وبلحاه على على البخل

وحج أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فمر بها عمرو بن ابي ربيعة فغازلها فاخبرت ابا الاسود فأتاه فقال

واني ليثنيني عن الجهل والخنا * وعن شتم اقوام خلائق أربع
حياء واسلام وتقوى وانني * كريم ومثلي من يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتضلع

وقال ربيعة الرقي

لشتان ما بين اليزيدين في الندا * يزيد سليم والاعز بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد للاموال غير مسالم
فهم الفتى الأزدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب القيسي أني هجوته * ولكنني فضلت اهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في اخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظموني * ألا ثكلتك أمك من كبير
اذا كان الصغير اعم نفعا * وأجلد عند نائبة الامور
ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلو الهمة) *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم احدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ماشاتمت رجلا مذكنت رجلا لاني لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فانا احق أن أجله واما اللئيم فانا اولى ان ارفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد ان يكون بملء العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس فقال

الحاجب ان امير المومنين يعزم عليكم ان لا يتكلم منكم احد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم امير المومنين لاخبرته ان رادفة ردفت ونازلة نزلت ونابتة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من امير المومنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما انت باشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وماذاك قال تركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك وقيل السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادي وعلى الاعداء كالليث العادي وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسي وسودده أنه قدم من سفر بجمعه والشماخ بن ضرار المزني الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمتها لأمتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا واتحفه بتحف غير ذلك فانشد يقول

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

* (واما علو الهمة فهو أصل الرياسة) *

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا امير المومنين قال من ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المومنين ورفعني وأقعد في أدنى منه لأجل ضيعة وتحدث السفاح هو وأم سلمة يوما في نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وانا أهب له سبحتي هذه فان ثمنها خمسون الف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثه ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هي من الطرف وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هي لك فرجع الخادم فقال لي قد وهبها لي فأعطت ام سلمة للخادم الف دينار واستعادتها منه وأهدى عبد الله بن السري الى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف مع كل وصيف الف دينار ووجه اليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا وما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون وكان سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل له في مرضه ان المريض يستريح الى الأنين والى شرح ما به الى الطبيب فقال اما الأنين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله مني أنينا فأكون عنده جزوعا واما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء أمسكها وان شاء قبضها ومن كبر النفس ما روي عن قيس بن زهير أنه أصابته البادية واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر احدا بحاجته ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمي

الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان ابو
سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال يا هذا انك اخترتني جارا واخترت دارى دارا فجناية
يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحكم حكم الصبي على اهله وكان الفرزدق يجير من عاذ
بقبر ابيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر ابيه فاجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب
خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر ان يسميها وينسبها فعاذت بقبر ابيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا اضيرها

وقال مروان بن ابي حفصة

هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

وقال ابن نباتة

ولو يكون سواد الشعر في ذمم * ما كان للشيب سلطان على اللمم

وقيل ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه
فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام
الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك
فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك اكرمه واحسن اليه وأقامه عنده فكتب
الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك اخي امير
المؤمنين وولي عهد المسلمين وان امير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى اخيه سليمان
بذلك فكتب سليمان الى اخيه يقول يا امير المؤمنين انى ما اجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو
وابوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج
قصده وعذبه وأغرمه اربعة الاف الف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف الف
درهم وقد صار الى واستجار بى فاجرته وأنا اغرم عنه هذه الثلاثة الاف الف درهم
فان رأى امير المؤمنين ان لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه اهل الفضل والكرم فكتب اليه
الوليد انه لا بد ان ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان احضر ولده
ايوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما
جميعا بغلين وارسلهما الى اخيه الوليد وكتب اليه اما بعد يا امير المؤمنين فقد وجهت
اليك يزيد وابن اخيك ايوب بن سليمان ولقد هممت ان اكون ثالثهما فان هممت يا امير المؤمنين
بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بايوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا
والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وايوب بن سليمان في سلسلة واحدة اطرق الوليد استحياء
وقال لقد اسأنا الى ابي ايوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فاخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له
الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم امر احضر حدادا وازال عنهما
الحديد واحسن اليهما ووصل ايوب ابن اخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد بن المهلب
بعشرين الف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن

المهلب

المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم وسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك واقام عنده في اعلى المراتب وارفع المنازل وحكي ان رجلا من الشيعة كان يسعى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه او اتى به مائة الف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فمر به معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان امير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا افعل فامر معن غلمانه فلطمه غصبا واردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر امير المؤمنين المهدي بالقصة فارسل خلف معن فاحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجير علي قال نعم يا امير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعتكم خمسة الاف رجل هذا مع ايام كثيرة تقدمت فيها طاعتي فما تروني اهلا ان تجيروا الي رجلا واحدا استجار بي فاستحيى المهدي واطرق طويلا ثم رفع راسه وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى امير المؤمنين ان يصل من استجار بي فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين الف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي ان تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى امير المؤمنين ان يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة الف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء وكان جعفر بن ابي طالب يقول لابيه يا أبت اني لاستحيي ان أطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فكان ابوه يقول اني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحي فقالوا نريد جارك فقال أما اذ جعلتموه جاري فوالله لا تصلون اليه واجاره حتى طار فسمي مجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضي الله عنهم اجمعين

اعلم ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين وفضائلهم اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر واني والله أحبهم واحب من يحبهم واسأل الله ان يميتني على محبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وان يحشرنا في زمرتهم وتحت الويتهم انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير (شعر)

اني أحب ابا حفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار

وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة سادات ومعتقدي * فهل علي بهذا القول من عار

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم اليوم صائما فقال ابوبكر أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال ابوبكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال ابوبكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في أحد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم

لو كان بعدي نبي لكان عمر وقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق بشيرا
ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما اسلم رضي الله عنه قال يا رسول الله ألسنا
على الحق قال بلى قال والذي بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر
رضي الله عنه الشام وقف على طور سيناء فارسل البطريق عظيما لهم وقال انظر الى ملك العرب
فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته في قربوس السرج
وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يغمسها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق
فقال لا نرى بمحاربة هذا طاقة اعطوه ما شاء وأما امير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه
ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضي
الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها اخبريني من كان احب
الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما اسألك عن الرجال قالت
زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده
فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فارسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت امر
قضي علي وقال معاوية لضرار بن حمزة الكناني صف لي عليا فاستعفى فألح عليه فقال
اما اذ فلا بد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة
من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة
طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان
والله يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه
هيبة له يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف
من عدله فأشهد الله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه
وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ الخائف ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن
اسمعه يقول يا دنيا الي تعرضت أم الي تشوفت هيهات هيهات غري غيري لقد أبنتك
ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة
الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو ينشفها وقد اختنق القوم
بالبكاء وقال رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزني عليه
والله حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج وقيل اول
من سل سيفا في سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضي الله عنه وذلك انه صاح على اهل مكة
البلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مالك يا زبير قال سمعت أنك قتلت قال فما اذا أردت ان تصنع قال أردت والله ان
استعرض اهل مكة وروى اخبط بسيفي من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليه واعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حواري ودعا له قال الاوزاعي كان للزبير
الف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وباع داره

بستمائة الف درهم فقيل له يا ابا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم اغبن اشهدكم انها
فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال اقرئه
السلام واعلمه انى لا أراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى
عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويأمرك ان تحبه من هذا الذى بين
يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار ومرّ ابو ذر على
النبى صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فلم يسلم فقال جبريل
هذا ابو ذر لو سلم لرددنا عليه قال أتعرفه يا جبريل قال والذى بعثك بالحق نبيا لهو فى
ملكوت السموات السبع اشهر منه فى الارض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده فى هذه
الحطام الفانية وقال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
ليدفع بالمسلم الصالح عن الف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض الآية وقال ابو بكر السفاح لابى بكر الهذلى بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله
تعالى وهو ابن اثنتى عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب
درهما قط فى تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشئ حتى يفعله ولم ينه عن شئ حتى يدعه
قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد
الناس الا الحسن وافقه الناس الا الحسن وافصح الناس الا الحسن واخطب الناس الا
الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز ازهد من أويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها
واويس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من يجرب كمن جرب وقال
انس فى ثابت البنانى ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسى
من اخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه اربع مرات باربعين الفا كان يخرج البدرة
فيقول يا رب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختيانى من
ازهد الناس وأورعهم ذكر عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد
شهدت منه مقاما عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم لا اذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدى
وقال سفيان الثورى جهدت جهدى على ان اكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن
المبارك فلم اقدر وكان الخليل بن احمد النحوى من ازهد الناس واعلاهم نفسا وكان
الملوك يقصدونه ويبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيأ وكان يحج سنة ويغزو سنة
حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملكين
كتبا عليه شيأ وروى أنه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن
قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال فى العلم
والكرم والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط فى عبادان أربعين
ليلة وختم بها القرآن اربعين ختمة وتصدق بأربعين ألفا وروى اربعة الاف حديث

وما دوى واصطحابه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبي رباح وهو اسود
مشغل الشعر يفتي الناس في الحلال والحرام فتمثل بقوله * تلك المكارم لا قعبان من لبن *
ومن مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدي ابو عبد الله محمد بن اسماعيل المغربي استاذ
ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشان لم يأكل مما وصلت اليه أيدي بني آدم سنين كثيرة
وكان أكله من أصول الحشيش شيأ تعود أكله ومنهم سيدي فتح بن شخرف بن داود يكنى
ابا نصر من الزهاد المتورعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال احمد بن عبد الجبار سمعت أبي
يقول صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال
طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك وقال محمد بن جعفر سمعت انسانا يقول غسلنا فتح
ابن شخرف فرأينا مكتوبا على فخذه لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا فاذا هو عرق داخل الجلد
ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحو من
خمسة وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا ومنهم سيدي فتح بن سعيد الموصلي يكنى أبا نصر من
أقران بشر الحافي وسري السقطي كبير الشان في باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن
نوح الموصلي رجع فتح الموصلي الى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشوني
فقالوا ما عندنا شيء نعشيك به فقال ما بالكم جلوس في الظلمة فقالوا ما عندنا شيء نسرج
به فجعل يبكي من الفرح ويقول الهي مثلي يترك بلا عشاء ولا سراج بأي يد كانت مني
فما زال يبكي الى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشي وحده
ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت الى اين فقال الى بيت ربي عز وجل
فقلت بماذا تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربي فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت
الموت يأخذ من هو أصغر سنا مني فقلت خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما علي نقل
الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادي يقيني وراحلتي رجلاي فقلت
أسألك عن الخبز والماء قال يا عماه ارأيت لو دعاك مخلوق الى منزله أكان يجمل بك ان
تحمل زادك الى منزله قلت لا فقال ان سيدي دعا عباده الى بيته وأذن لهم في زيارته
فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم واني استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفتراه
يضيعني فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصري فلم أره الا بمكة فلما رآني قال أنت أيها الشيخ
بعد على ذلك الضعف من اليقين ومنهم سيدي أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري
صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي وكان يقال في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم
أبو عثمان الحيري بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه
لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه اربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ
اربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى شيء فسخطته ومنهم
سيدي سلمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين
سكن بالشام ودخل بيروت وكان اكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشي

وابراهيم

وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم
الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا
وقال بعضهم الغنى من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول أنت فى ذلك فبكى وقال
رأيت جوامع الغنى فى التوكل ورأيت جوامع الفقر فى القنوط والغنى حق الغنى من اسكن
الله فى قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمه رضاء فذلك الغنى حق الغنى وان
أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه ومنهم سيدى ابو سليمان بن عبد الرحمن بن
أحمد بن عطية الدارانى احد رجال الطريقة قدس الله سره كان من اجل السادات وارباب
الجد فى المجاهدات ومن كلامه من احسن فى نهاره كفى فى ليله ومن احسن فى ليله كفى فى نهاره
ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من ان يعذب قلبا بشهوة
تركت له وقال لكل شئ علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال لكل شئ صداء وصداء
نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن أبى الحوارى شكوت الى ابى سليمان الوسواس فقال
اذا اردت ان ينقطع عنك فاى وقت أحسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك
لانه لا شئ ابغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذو النون
المصرى رحمه الله تعالى اجتمعوا ليلا على ابى سليمان الدارانى فسمعوه يقول يارب ان طالبتنى
بسريرتى طالبتك بتوحيدك وان طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان جعلتنى من أهل
النار اخبرت أهل النار بحبى اياك وقال على بن الحسين الحداد سألت ابا سليمان بأى شئ
تعرف الابرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال نمت ليلة عن
وردى فاذا حوراء تقول لى أتنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام ومنهم
سيدى ابو محمد عبد الله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفى الاصل ولكنه سكن انطاكيه ومن
كلامه لا تغتم الا من شئ يضرك غدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات
متواترة ومنهم سيدى ابو عبد الله محمد بن يوسف البناء اصبهانى الاصل كتب عن ستمائة شيخ
ثم غلب عليه الانفراد والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد
وكان فى ابتداء امره يكسب فى كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فياخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق
بالباقى ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة فى مسجده خرج الى الجبل الى قريب
الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول فى الجبل يارب اما أن تهب لى معرفتك او تأمر الجبل
ان ينطبق على فانى لا اريد الحياة بلا معرفتك ومنهم سيدى يحيى بن معاذ الرازى قدس
الله سره يكنى ابا زكريا أحد رجال الطريق كان اوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه
يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم
تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من
علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديقا يحتاج الى ان يقال له اذكرنى فى دعائك
وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك

بانه تشتغل فى امرك الخلق وقال من كان غناه فى كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه فى قلبه
لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروى انه قدم شيراز فجلس يتكلم
على الناس فى علم الاسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد ان تاخذ من هذه البلدة
قال ثلاثون ألفا اصرفها فى دين على بخراسان فقالت لك على ذلك على ان تاخذها وتخرج
من ساعتك فرضى بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت
فقالت انه كان يظهر اسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك ومنهم سيدى
يوسف بن الحسين الرازى يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته فى اسقاط التصنع عالما أديبا
صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى من كلامه اذا أردت ان تعلم العاقل من
الاحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم أنه احمق وقال اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم
أنه لا يجئ منه شئ وقال لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب الى من ان القاه بذرة من
التصنع وقال ابو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت
بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أى شئ تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى
حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت فى نفسى جئت هذه البلدة فلا
اقل من زيارته فلم أزل اسأل عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا فى المحراب وبين
يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من اين قلت من
بغداد فقال اتحسن من قولهم شيئا قلت نعم وأنشدت

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت
الى وقال يا بنى أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت
صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت
ومنهم سيدى حاتم بن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من اكابر مشايخ خراسان
صحب شقيقا البلخى ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة
وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه
فهو كذاب ومن ادعى محبة النبى صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى
حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت امرك فى التوكل على الله
عز وجل قال على اربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى وعلمت
ان عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به وعلمت ان الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره وعلمت
أنى لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحيى منه وسبب تسميته بالاصم ما حكاه
ابو على الدقاق ان امرأة جاءت تسأله عن مسئلة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت
المرأة فقال حاتم ارفعى صوتك وأراها انه اصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع
الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه ومنهم الحسن بن أحمد الكاتب من كبار

مشايخ المصريين صحب ابا بكر المصري وابا علي الروذباري وكان اوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان اخفوها وتدل عليهم وان ستروها وانشدوا في هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا

تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك اودع الريح يكتم

ومن كلامه ايضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول ما يفيده الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواءها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف في القلب لا ينطق اللسان بما لا يعنيه ومنهم سيدي جعفر بن نصر الخلدي يكنى بأبي محمد بغدادي المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روي انه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكي بكاء بحرقة فقال لها ما لك تبكين فقالت ثكلي بولدي فانشأ يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل

لقد جرعتني ليالي الفراق * شرابا أمر من الحنظل

وروي انه كان له فص فوقع منه يوما في الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد الفص في وسط اوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء ان تقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي وقد روي أنه يقرأ قبله سورة والضحى ثلاثا وروى الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخه قال ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي فقلت زودني شيأ فقال ان فقدت شيأ او اردت ان يجمع الله بيني وبينك او بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ او الانسان ومنهم سيدي معروف بن فيروز الكرخي قدس الله سره يكنى ابا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو استاذ السري وكان أبواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا موجعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على اي دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أي دين فقال على دين الاسلام فاسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضي الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يا مسكين كم تبكي وتندب اخلص تخلص وقال سري سألت معروفا عن الطائعين لله بأي شئ قدروا على الطاعة لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت في قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاده

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويشربون فقال له أصحابه اما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا

الماء فادع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدى كما فرحتهم فى الدنيا اسالك ان تفرحهم فى الاخرة فقال له اصحابه انما قلنا لك ان تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم فى الاخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سرى رأيت معروفا فى المنام كانه تحت العرش والله تعالى يقول للملائكة من هذا فقالوا انت اعلم يارب قال هذا معروف الكرخى سكر بحبى لايفيق الا بلقائى وقيل له فى مرضه أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا فانى احب أن اخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال أبو بكر الخياط رأيت فى المنام كانى دخلت المقابر فاذا اهل القبور جالسون على قبورهم وبين ايديهم الريحان واذا انا بمعروف الكرخى بينهم يذهب ويجئ فقلت يا أبا محفوظ ما فعل الله بك اوليس قد مت قال بلى ثم انشد يقول

موت التقى حياة لانفاد لها * قد مات قوم وهم فى الناس احياء

ومنهم قاسم بن عثمان الكرخى يكنى أبا عبد الملك من اجلاء المشايخ صحب ابا سليمان الدارانى وغيره وكان من اقران السرى والحارث المحاسبى وكان ابو تراب النخشبى يصحبه ومن كلامه من أصلح فيما بقى من عمره غفر له ما مضى وما بقى ومن افسد فيما بقى من عمره أخذ بما مضى وما بقى وقال السلامة كلها فى اعتزال الناس والفرح كله فى الخلوة بالله عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصى وطلب الحلال واداء الفرائض وقال لاصحابه اوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا قصدوا الله بهممهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به فى توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ما خطر على قلوبهم من امر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشئ افضل من المعرفة وروى عنه انه قال رأيت فى الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم قضيت حاجة المحتاجين وحاجتى لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا فنظرت الى السماء فاذا سبعة ابواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فتقدم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية فى يدها منديل قد هبطت الى الارض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبقى باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقى استوهبنى بعض خواص الملك فوهبنى له فسمعتها تقول بأى شئ فاتك هذا يا محروم واغلقت الباب فانا يا اخى متحسر على ما فاتنى قال قاسم بن عثمان أراه أفضلهم لانه رأى مالم يروا وترك يعمل على الشوق ومنهم سيدى ابو بكر دلف بن جحدر الشبلى كان جليل القدر مالكى المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن فى عصره وكان يبالغ فى تعظيم الشرع

المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان المعظم جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربي فانا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ للصلاة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

وروى انه قال كنت يوما جالسا فجرى في خاطري اني بخيل فقلت مهما فتح الله علي بر اليوم أدفعه الى أول فقير يلقاني قال فبينما انا متفكر اذ دخل علي شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت واذا أنا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له انها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عادتنا ان الفقير اذا جلس بين ايدينا لا نأخذ منه اجرا قال فرميتها في الدجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله تعالى ومنهم سيدي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكي) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجبل لبنان أدور اذا أبصرت زرقان أخا ذي النون المصري جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الي وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذي النون المصري أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعي الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكني اقول

قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منانا * واليه في كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسي فقال رحم الله ذا النون المصري رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمي زرقان بن محمد أخو ذي النون المصري واظن أنه اخوه مواخاة لا أخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه ومنهم سيدي ابو عبد الله الناجي سعيد بن بريد كان من أقران ذي النون المصري ومن أقران أستاذي احمد بن أبي الحواري له كلام حسن في المعرفة وغيرها روي عنه انه قال أصابني ضيق وشدة فبت وأنا مفكر في المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول لي في النوم أيجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس ومنهم سيدي بشر بن الحارث الحافي قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سري السقطي وغيره ومن كلامه

لا تكون كالملاحي يأمنك صديقك وكيف يكون فيك خير وانت لا يأمنك صديقك وقال
اول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس
عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل
فقال الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لقي رجلا سكران فجعل
الرجل يقبل يد بشر ويقول يا سيدي يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل
تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل احب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب
لا يدري ما حاله وروي ان امرأة جاءت الى احمد بن حنبل تسأله فقالت اني امرأة اغزل
بالليل والنهار وابيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل علي في ذلك شئ فقال يجب
ان تبيني فلما انصرفت قال احمد لابنه اذهب فانظر اين تدخل فرجع فقال دخلت دار
بشر فقال قد عجبت ان تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذي
مات فيه قال له أهله نرفع ماءك الى الطبيب قال أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد
فالحوا عليه فقال لاخته ادفعي اليهم الماء فدفعته اليهم في قارورة وكان بالقرب منهم
طبيب نصراني فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه
فقال والله ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق اهل
زمانك في الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو ماء راهب
قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافي لانه ما في زمانه أخوف منه قالوا هو
ماء بشر فقال أنا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال
لهم أسلم الطبيب قالوا والله ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندي نوديت يا بشر ببركة
مائك اسلم الطبيب توفي سنة سبع وعشرين ومائتين ومنهم سيدي أبو يزيد طيفور
ابن عيسى البسطامي من اجل المشايخ كبير الشان ومن كلامه ما زلت اسوق الى الله نفسي وهي
تبكي الى ان سقتها وهي تضحك وسئل باي شئ وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن
عار وقيل له ما أشد ما لقيت في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما اهون ما لقيت
نفسك منك فقال اما هذا فنعم دعوتها الى شئ من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة وقال
الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا اسأل الله تعالى ان يحاسبني فقيل له
لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدي فاقول لبيك فقوله لي يا عبدي أحب الي من
الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء وقال له رجل دلني على عمل اتقرب به الى
ربي فقال احب اولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب اوليائه فلعله ينظر الى
اسمك في قلب ولي فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار
القليل من حبيبك توفي سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى ومنهم شيخ الطائفة
سيدي ابو القاسم الجنيد بن محمد القواريري شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند
ومولده ومنشأه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السري والحارث المحاسبي

ودرس الفقه على أبي ثور وكان يفتي في مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة ومن كلامه رضي الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الأدب أدبان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤي في يده يوما سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه ابدا وقال حسن بن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس في منامي وكأنه عريان فقلت له الا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندي ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا الى الله عز وجل فأكاد أن أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومي ولبست ثيابي وجئت الى مسجد الشونيزي بليل فلما دخلت المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس ورؤسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزي أبو حمزة وأبو الحسن النوري وأبو بكر الدقاق رضي الله عنهم وقال محمد بن القاسم الفارسي بات الجنيد ليلة العيد في الموضع الذي كان يعتاده في البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول

بحرمة غربتي كم ذا الصدود * ألا تعطف علي الا تجود
سرور العيد قد عم النواحي * وحزني في ازدياد لا يبيد
فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذري في الهوى ان لا أعود

توفي الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلي عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين ومن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات علي ببركته سيدي الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالي وابو الصدق أبو بكر بن عمر الطريحي المالكي قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه في الزهد والورع قامعا لاهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطلع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره في البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا أن يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب الا فرج الله كربته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الارض لم يمتع نفسه في الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضي الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من اعدائه وأحبابه يدخل عليه أعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو احب الناس اليه كما قال بعضهم

واني لالقى المرء أعلم أنه * عدوي وفي أحشائه الضغن كامن

فامنحه بشرى مبرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت عملة أهل زمانه عليه واحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما حملوا فى الضيم الا حمله * لانى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شانه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر الا أرشده الى الخير وبقيت صحبته رضى الله عنه بنحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما ولحداعنى حتى كنت أظن أن ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع اصحابه قاطبة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه ما أربه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك اماما كبيرا لم يرله فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان أوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والاسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به بنحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الاول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الاول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمان مائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو امام العصر علامة الدهر حق فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

رضى الله عنه ورضى عنا به ونفعنا ببركته فى الدين والدنيا والآخرة فشرعوا فى تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهنى معى فى تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لى والدا شفيقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضى الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرق من كثرة الناس فلم نر أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل على أنه كان قطب أهل زمانه قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلى نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التى أنشأها بسندفا مع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتى المسلمين سراج الدين أبى حفص عمر الطريني المالكى فى قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة منقلبه ومثواه وحشرنا واياه

فى زمرة

فى زمرة سيد الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وافضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين ونسأله لنا التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء اخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطربنى ادام الله أيامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

* (الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم) *

اعلم ان كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من ان تحصر نسأل الله تعالى ان يحشرنا معهم فى زمرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل (حكاية) قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مرارا فلم نر للاجابة اثرا فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن ثابت بن ابى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى فلما اظلم الليل اذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف فقومت ما عليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى الى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفد ما عندك أم نقص ما فى خزائنك أقسمت عليك بحبك لى الا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحيى مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لى وما يدريك أنه يحبك قال تنح عنى يا من اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأنى بذلك الا لمحبته اياى ثم قال محبته لى على قدره ومحبتى له على قدرى فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال انى مملوك وعلىّ فرض من طاعة مالكى الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفو أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبى فيهم فقال عودا الى فى غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالاسود قائم يصلى فقلت حبيبى ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له بعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا غلام ليست له همة فى الليل الا البكا وفى النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاءه وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد أن تبرئنى من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الىّ وقال يا مولاى الصغير لماذا اشتريتنى وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله يا سيدى انما اشتريتك لاخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذى عارضتك

البارحة في الكلام بالمصلي قال فجعل يمشي حتى اتى الى مسجد فاستاذنني ودخل المسجد فصلى
فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي سر كان بيني
وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشي اقسمت عليك بك الا ما قبضتني الى
الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع راسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمه الله
تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد
ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا بشاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم في أخينا ميمون هاكم الكفن فناولني ثوبين ما رأيت
مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فقبره يستشفى به الى الآن
وتطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكى) عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه
وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب ما رأيت منه
فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر
الي ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال علي بدواة وقرطاس
فاحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها
الى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقيني رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها
وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة
درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل
نصراني قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتي الساعة
فلما كان بعد ساعة أقبل النصراني راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على
ابراهيم يقبل راسه ويديه ويقول أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا
عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذي هداك للاسلام
وشريعة محمد عليه افضل الصلاة والسلام (وحكى) ان بعضهم كان ملاحا ببحر النيل المبارك
بمصر قال كنت أعدي من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ومن الجانب الشرقي الى الجانب
الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليك
فرددت عليه السلام فقال أتحملني الى الجانب الغربي لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق
وعديت به الى الجانب الغربي وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد
الخروج من الزورق قال اني اريد أن أحملك امانة قلت وما هي قال اذا كان غدا وقت
الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا ألهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن

الذى بجده عند راسى وصلى علىّ وادفنى تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركنى فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذى قال لى فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندى جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الىّ ثم عدت الى الجانب الشرقى وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا أنا بشاب قد أقبل علىّ فحققت النظر فى وجهه فاذا هو من صبيان الملاهى كان بجذمهم فأقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم علىّ فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التى عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لا بد ان تخبرنى فقال لا أدرى الا أنى البارحة كنت فى عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغنى الى ان ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لاستريح واذا برجل قد أيقظنى وقال ان الله تعالى قد قبض فلانا الولىّ وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ اودع لك عنده كيت وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها فى الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركنى أتحرق وابكى لما حرمت من ذلك وأقمت يومى ذلك ابكى الى الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله فى النوم فقال يا عبدى أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع الىّ انما ذلك فضلى أوتيه من أشاء من عبادى وأنا ذو الفضل العظيم (وحكى) أبو اسحاق الصعلوكى قال خرجت سنة الحاج فبينما أنا فى البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحاق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة شمشاط كنت فى عزة ورفعة فطالبتنى نفسى بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لى وليا من اوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لى والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتنى السباع والهوام وبكين معى وحملوا الىّ هذه الرياحين التى تراها قال أبو اسحاق فبينما أنا معه يرق له قلبى واذا بحية عظيمة فى فمها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولىّ الله تعالى فان الله يغار على أوليائه قال فغشى عليه وغشى علىّ فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شمشاط بعد ما حججت فاستقبلتنى امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتنى نادت يا أبا اسحاق ما شأن الشاب الغريب الذى مات غريبا فانى منتظرتك منذ كذا وكذا فذكرت لها

الغصة الى ان قلت لها اشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ وانه الشم ثم شهقت شهقة
خرجت روحها فخرج اليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن أمرها وتولين
دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع شعر

يا نسيم هب من وادى قبا * خبريني كيف حال الغربا
كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كنا عليه فأبى

(وحكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ
فمر فى بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت فى يده فتفكر فى نفسه وقال ويحك يا دينار
كأنى بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع
رأسه الى السماء وقال الهى وسيدى ألقيت اليك مقاليد أمرى فاقبلنى وارحمنى ثم أقبل نحو أمه
متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن
ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال اريد جبة من صوف وأقراصا من شعير وغلين
وافعلى بى كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاى يرى ذلى فيرحمنى ففعلت به ما أراد فكان اذا
جن عليه الليل أخذ فى البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار ألك قوة على النار
كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بنى ارفق بنفسك
فقال دعينى أتعب قليلا لعلى أستريح طويلا يا أماه ان لى غدا موقفا طويلا بين يدى رب
جليل ولا أدرى أيؤمر بى الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بنى خذ لنفسك راحة
قال لست للراحة أطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار
مع أهلها فتركته وما هو عليه فأخذ فى البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ فى بعض الليالى
فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فتفكر فيها وجعل يبكى حتى غشى عليه فجاءت
أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبى وقرة عينى أين الملتقى فقال بصوت ضعيف
يا أماه ان لم تجدينى فى عرصات القيامة فاسألى مالكا خازن النار عنى ثم شهق شهقة فمات
رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادى أيها الناس هلموا الى الصلاة على
قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم فلما
دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر فى الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ
الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألنى ورحمنى
وغفر لى وتجاوز عنى ألا أخبروا عنى والدتى بذلك (وحكى) عن الحسن البصرى قال
نزل سائل بمسجد فسأل الناس ان يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت
اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فأخبر الناس بذلك
فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن فى المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن
مردود عليكم بئس القوم أنتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من أحبابنا
لا نكله الى غيرنا (وحكى) أبو على المصرى قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى فقلت له

يوما حدثني باعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي اتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار وانا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من اولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وانا ارتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت انها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما (شعر)

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بسام خليلي يظن بي * سرورا وأحشاي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبي آها

(وحكى) سري السقطي رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما أصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهي تقول

تغل يدي الى عنقي * وما خانت وما سرقت
وبين جوانحي كبد * أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جننت ولكن * أنا سكرانة وقلبي صاحي
لم غللتم يدي ولم آت ذنبا * غير هتكي في حبه وافتضاحي
أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغي عن بابه من براح
ما على من أحب مولى الموالي * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت يا سري هذا بكاؤك من الصفة فكيف

لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هي تكلمني اذ جاء سيدها فلما رأني عظمني فقلت والله هي
أحق مني بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها
وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين الف درهم لصناعتها
فانها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود في حجرها يوما فجعلت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو وردا
ملأت جوانحي والقلب وجدا * فكيف أقر يا سكني واهدا
فيا من ليس لي مولى سواه * تراك رضيتني بالباب عبدا

فقلت لسيدها اطلعها وعلي ثمنها فصاح واغوثاه من أين لك عشرون ألفا يا سري فقلت
لا تعجل علي فقال تكون في المارستان حتى توفيني ثمنها فقلت نعم قال سري فانصرفت وعيني
تدمع وقلبي يخشع وأنا والله ما عندي درهم من ثمنها فبت طول ليلتي أتضرع الى الله تعالى
فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل علي رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر
فقال أتعرفني يا سري فقلت لا قال أنا احمد بن المثنى كنت نائما فهتف بي هاتف وقال لي
يا أحمد هل لك في معاملتنا فقلت ومن أولى مني بذلك فقال احمل الى سري السقطي خمس
بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سري فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع
طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى أن * عيل من حبك صبري
ضاق من غلي وقيدي * وامتهاني منك صدري
ليس يخفى عنك أمري * يا مني قلبي وذخري
أنت قد تعتق رقي * وتفك اليوم أسري

قال سري فبينما أنا أسمعها واذا بمولاها قد جاء وهو يبكي فقلت لا بأس عليك قد جئناك
برأس مالك وربح عشرة الاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيدك قال والله
لو اعطيتني ما بين الخافقين ما فعلت وهي حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك
وقلت ما كان هذا كلامك بالأمس فقال حبيبي لا توبخني فالذي وقع لي من التوبيخ كفاني
وأشهدك اني قد خرجت من جميع مالي صدقة في سبيل الله تعالى واني هارب الى الله تعالى
فبالله لا تردني عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكي فقلت ما يبكيك
قال يا أستاذي ما قبلني مولاي لما ندبني اليه ورد علي ما بذلت اشهدك اني قد خرجت
من جميع ما املكه لله تعالى في سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية احرار لوجه الله تعالى
قال سري فقلت ما أعظم بركتك يا جارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها
وأخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف
ومدرعة من شعر وولت قال سري فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال الى مكة فبينما
نحن نطوف اذ سمعنا صوتا فتبعناه فاذا هي امرأة كالخيال فلما رأتني قالت السلام عليك

يا سري فقلت لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فاذا هي الجارية فقلت لها ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت آنسني به وأوحشني من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهي كم تخلفني في دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك ثم شهقت شهقة وخرجت منه روحها رحمها الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما في قبر واحد (شعر)

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم * من الود الا ما رجعتم الى وصلي
ولا تحرموني نظرة من جمالكم * فلن تجد واعبدا ذليلا لكم مثلي
فوالله ما يهوى فؤادي سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

(وحكي) انه كان في زمن بني اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور في بعض الايام فأزال الله عنه سحابته وحجب اجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه وما زال يشتاق الى زمن الكرامة ويبكي ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام ليلة من الليالي فصلى ما شاء الله وبكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له في المنام اذا أردت أن يرد الله عليك سحابتك فائت الملك الفلاني في بلد كذا واسأله ان يدعو الله لك ان يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض حتى وصل الى تلك البلد التي ذكرت له في المنام فدخلها وسأل من يرشده الى قصر الملك فجاء الى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسي عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه بين يديه ما بين قوف الملك فيه ذكر الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدت الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتي لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد في الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتي ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد داثر وأقام يعبد الله تعالى فيه وانكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس في الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر في أمرك قال فتحير صاحب السحابة في أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به في دهليز القصر فلم يجد في طريقه الا مملوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك

مابساوى عشرة دراهم الاسجادة خلقة وقدح للوضوء وحصير رثة وشئ من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يافلانة قالت لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعاها لحاجة فخرجت فاذا هى امرأة كالشن البالى عليها مسح من شعر خشن وهى شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخى نطلعك على حالنا أو نقضى حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلنى حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم أنه كان لى فى هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح فى الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديد شمل الدين فيما يعوق وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيأ وأقعدت المماليك على الابواب بالسلاح ارهابا لاهل الشرور ودفعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذى رأيته يوصلنى الى هذه الخربة فأدخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتى هذه التى رأيتها وهى ابنة عمى زهدت فى الدنيا كزهدى واجتهدت حتى صارت كالشن البالى والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم انى أقمت لى نائبا ينوب عنى طول الجمعة وعلمت أنى مسئول فجعلت لى يوما فى الجمعة أبرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوصنا ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسى العمر فأخذ ما عملاه من خوص وسار به الى السوق فباعه بـ... واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقى ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما قال فقاما فى نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وانك قد دللته علينا اللهم ارددها عليه انك على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لى الملك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معى كما كانت فأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرهما شيأ الا أعطانى اياه رحمة الله تعالى عليهما (شعر)

استعمل الصبر يجنى بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الاملا
ومرغ الخد فى أعتابه سحرا * واحمل لمرضاته فى الحب كل بلا
فما يفوز بوصل يا أخى سوى * صب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادى فى الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعى قد وصلا

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينا أنا سائر اذ رأيت

شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعة
ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس
احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك
قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبة
والله اني لأخشى أن اقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك
فقلت له لا تفعل فانه حليم اذا غضب رضي واذا رضي لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعد عفى
فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ
حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا
مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس
قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لي شئ أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم
شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه (وحكى) أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف
بأبي عبد الله الأندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين الف حديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين
الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي
فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى الكفار
فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة
وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم
انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة
الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه
وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها
ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته
وخدمته ولا تعجبه نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم
احدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي
فتقدمت اليه وقلت يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة ايام وأنت
ساكت لم تكلم احدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت
بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر افارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي
أنت شيخ اهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا
فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار
العدم وقد انحلت عني عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم
انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره
ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه

ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فاقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا من هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفى وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التى كان يتوكأ عليها اذا قام الى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ما ذاك وما ذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخوانى واحبابى ليس لى من الامر شئ سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد ابعدنى عن بابه بعد أن كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفا من القطيعة والجفا ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى وينادى يا شبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلى فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلى فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرأه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة ايام واذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم أعطونى ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما رحلتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وبستره غطانى فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرى وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ما قدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت

فى سرى

وسرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده للسماع عليه اربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورزق الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح واذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت يا سيدى لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول ان أحببت ان تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه قال أغمضي عينيك واعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضي الى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفئ احداهما الأخرى وانما يطفئ الشر الخير كما يطفئ الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عري من حلة التقوى ومحي عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو ولد عاتم دينه مضيع ولدواعي شيطانه مطيع شر

كأنه التيس قد أزرى به هرم * فلا اللحم ولا صوف ولا ثمر

وقيل من فمى ماشاء لى ماساء. وقيل تذ رجل بجارية فأحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا
اذ ابتليت بها عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل
لاعرابى كان يعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذا بلذة
المحلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال ابو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف
ان لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى من
قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى
الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله فى المسلمين مثله وكانت ظلمة القوادة وهى صغيرة
فى المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت. وقال صاحب
المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشرى
رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل
وقمار ينسب اليها العود القمارى كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمى

ولا ذنب للعود القمارى انه * يحرق ان نمت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم
أديانهم تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر
أخاه المسلم (ما جاء فى الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ما شئت وفى ذلك قيل

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم
وأيديهم حديد أى وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لو دق الحجارة بوجهه لرضها
ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لى من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال آخر

اذا رزق الفتى وجها وقاحا * تقلب فى الامور كما يشاء

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهى فى أربعة أقبح البخل فى الملوك والكذب فى القضاة
والحسد فى العلماء والوقاحة فى النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن فى الامور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال على رضى الله عنه اذا هبت أمرا فقع فيه فان شدة توقيه أعظم مما تخاف منه وقال
رضى الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم
فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه
والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون
الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال الحكيم لا يغرجن أحد

من بيته الا وقد اخذ فى حجره قيراطين من جهل فاذا الجاهل لا يدفعه الا الجهل اراد السفيه
قال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له اى من لا سفيه له يدفع عنه وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس اذ جاء اعرابى فلطمه فقام اليه واقد بن عمر فجلد به الارض فقال عمر ليس بعزيز من ليس فى قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم ما لم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح

اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس

وذى ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال
ومن يحلم وليس له سفيه * يلاقى المعضلات من الرجال

وقال اخر

فان كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج
فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج

وقال آخر

فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك ان نجهل او يجهل علينا برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والثلاثون فى الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد

اعلم أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف فى وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب ايثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكى) عن حذيفة العدوى أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء وأنا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فاشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الى ابن عمى ان انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار الى ان انطلق

اليه بجنبه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات (ومن عجائب ماذكر في الايثار) ما حكاه أبو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون ان النصارى احرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين احرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي أم فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني الغاث فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتموني ثمن قراي ثم انه لحقنا وقال لتأخذنها والا طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال أكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال علي رضي الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان ابن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله فقال صدقت وكان أسماء بن خارجة يقول ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضي وكان مورق العجلي يتلطف في ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها في حل وقال الحسن رضي الله عنه باع طلحة بن عثمان رضي الله عنه أرضا بسبعمائة

الف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله تعالى
ثم قسمه فى المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضى الله عنها قال لها يا ام المؤمنين اصابتنى
فاقة فقالت ما عندى شئ فلو كان عندى عشرة الاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من
عندها جاءتها عشرة الاف درهم من عند خالد بن أسيد فارسلت بها اليه فى اثره فاخذها ودخل
بها السوق فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة وهم محمد
وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه جاء اليه
رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد اعطيت فيه مائة الف
درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير
رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة الف فى مجلس وانه ليخيط ازاره بيده وذكر الامام
أبو على القالى فى كتاب الامالى ان رجلا جاء الى معاوية رضى الله عنه فقال له سألتك بالرحم
التى بينى وبينك الا ما قضيت حاجتى فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأى
رحم بينى وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم مجفوة والله لأكونن أول من وصلها
ثم قضى حاجته (وروى) ان الاشعث بن قيس ارسل الى عدى بن حاتم يستعير منه
قدورا كانت لابيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ
ابو سهل الصعلوكى من الاجواد لم يناول احدا شيأ وانما كان يطرحه فى الارض فيتناوله الآخذ
من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله
عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم
رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر
به المرض فقال له يا هذا أعنا على الدهر فقال لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه
فصب فى حجره أربعة الاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل
ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك
فأبكانى وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته
فقال على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت
له زوجته هلا تعللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج
الى أن سألنى ويروى أن عبد الله بن أبى بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما فى طريقه
فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه
بعض غلمانكم فانى امرأة عزب مات زوجى منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل
اليها عشرة الاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بى فقال يا غلام احمل اليها عشرين الفا فقالت
أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين الفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضى الله
عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين

خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله عنه
ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون
مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عني الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادي
من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد وكان
عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن
المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفرقها في الناس ولا يرى الا وعليه
دين وسمن رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال يا صاحب
البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هي لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا
واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعة
يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك واعتذر اليه رضي الله عنه
ولما مات معاوية رضي الله عنه وفد عبد الله بن جعفر على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين
معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك
عليه ألف ألف فقال بأبي وأمي أنت فقال ولهذه ألف ألف فقال أما اني لا أقولها لأحد
بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله
ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل
المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضي الله عنه هو والحسنان
وأبو دحية الانصاري رضي الله عنهم من مكة الى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجأوا
الى خباء اعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابي شاة فلما
ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابي بعد سنين
فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال قد نسيت أسماءهم فقالت
سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقي سيدنا الحسن رضي الله عنه فأمر له بمائة ناقة بفحولها
ورعاتها ثم أتى الحسين رضي الله عنه فقال كفانا أبو محمد مؤنة الابل فأمر له بألف شاة ثم
أتى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال كفاني اخواني الابل والشياه فأمر له بمائة ألف درهم
ثم أتى أبا دحية رضي الله عنه فقال والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن ائتني بابلك
فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم وقال الحسن والحسين
يوما لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم انك قد أسرفت في بذل المال فقال بأبي أنتما ان الله
عز وجل عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة
فيقطع عني المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل
مثل هذا الاسود تعطي له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما
قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى
وخرج عبد الله رضي الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه

غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه
بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلها وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم
قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ما هي بأرض كلاب
وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي
يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا الأسخى مني فاشترى الحائط وما
فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل
والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لي فهو في سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك
منه فقال يجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك أبدا وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
من الأجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك
يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما يدك قال رأيتك واقفا بفناء
زمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائي حتى شربت
فقال أجل اني لأذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم
فقال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده وقدم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على معاوية
مرة فأهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها
اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك
منها شيء قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام
فضحك عبد الله وقال خذها فهي لك قال جعلت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد
علي قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال
الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم وحبس معاوية عن الحسين بن علي رضي الله
عنهما صلاته فقيل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف
فقال الحسين وأين تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى
من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق
حاله وأنه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية
أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله
احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره أني شاطرته فان كفاه
والا احمل اليه النصف الثاني فلما أتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على
ابن عمي وما حسبت انه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار
الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولد لي في هذه
الليلة مولود واني سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك في الهبة
وأجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه
وادفع لابيه مائتي دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصاري عد الينا بعد أيام فانك جئتنا

وفي العيش بيس وفي المال قلة فقال الانصارى جعلت فداك لوسيقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب وقال ابوجهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

يميل على جوانبه كأنا * اذا ملنا يميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال
ولم أر في الخطوب أشد وقعا * وأمضى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شيء أمر من السؤال

فأعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعد عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم أني لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال له الحسن أوعجبا ما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسي عند رجليك فاستحيى معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتني كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام اعط أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضي بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوقها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فاقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فليس الى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشرة بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتي به فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتي به اليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فامر له بعشر بدر فأخذها وتفكر في نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء والله ظنه ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد في دياره * من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت نائله
تعود بسط الكف حتى لو انه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو أن ما في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن

دعيني أنهب الاموال حتى * أعف الأكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الأجواد الاسخياء وله أخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال اذا قدمت واسطا فائتنا ان شاء الله تعالى فنا فوأقت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال لو أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

افاض القوم في ذكر الجواري * فأما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت الى منزلي اذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش وبدرة عشرة الاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لي في الرجوع فاكبت عدوي وأسر صديقي فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أو لم تغنني أيها الامير قال انما هذا أنا للنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله ما لا أقدر على وصفه وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة الاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه خمسة الآلاف وأمضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال اعطوه خمسة الاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة الف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فأذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة الف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج يفعل فينا

ما يشاء. فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فاخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعجوز اعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضياع تقوم بالف ألف وقال أبو العينا تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على أن أحمد بن داود أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحاق الموصلي عن سخاء ولد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت

فليس بعال اذا سيل حاجة * ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالي اراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا اصبنا بابن يحيى محمد

فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا أقمنا كي نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه من كانت له الي حاجة فليرفعها الي في كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضي الله عنه اعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الارض فكتب اني فقير فقال يا قنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة * وليس تبغي بما قدمته بدلا

ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم

فقال رضي الله عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه ولعبد الله بن جدعان

اني وان لم ينل مالي مدى خلقي * وهاب ما ملكت كفي من المال
لا أحبس المال الا حيث أنفقه * ولا يغيرني حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يا بني لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا ما لديه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لا تدري متى أنت راغب

وقال بعضهم

أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وأمنحه فرشي وأفترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسي
حذار أحاديث المحافل في غد * اذا ضمني يوما الى صدره رمسي

وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيأ وأعط منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقي عليك منها شيأ فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أخذه يحيى من نظمه فقال

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يا بني ما دام قلمك يرعد فأمطر معروفا وقال بعضهم

لا تكثري في الجود لائمتي * واذا بخلت فأكثري لومي
كفي فلست بحامل أبدا * ما عشت هم غد الى يومي

وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه لا تستحي من اعطاء القليل فالحرمان أقل منه وسئل اسحاق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى بن شهوان الى سليمان ابن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لي في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد

ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتم * وما هو عن أحسابكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت. وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا أكرهت ان تعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله. وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال بل أجعله ذخرا لي وأجعل الله ذخرا لولدي وقسمه بين ذوي الحاجات. وكان ابن مالك العشيري من الاجواد قيل انه أنهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

يا خال ذرني ومالي ما فعلت به * وخذ نصيبك منه انني مودي
فلن أطيعك الا أن تخلدني * فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي
الحمد لا يشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بفعاله. ونزل بأبي البختري وهب بن وهب القرشي ضيفا فأسرع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فأنكر ذلك عليهم فقالوا نحن انما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل. ووفدت ليلى الأخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولي غلام ولكن قولي همام يا غلام أعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها نعما فجعلها ابلا اناثا. وقال أبو الفياض الطبري

والعرض يعرف لايراه بربعه * من لا يرى بذل التلاد تلادا
والجود أغلا كعب قبلنا * فمضى جوادا أبو ومات جوادا

وقال آخر

أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينهم يواقيت وجواهر أنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال أحمد بن حمدون فقال لي ولاترجة الهاشمي اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه فوالله ما رأينا في الدنيا شيأ أحسن منه ولا شيأ حسنا الا وقد عمل فيه فمددت يدي الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته في كمي ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأيناه فقال

أترجة يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شيأ وغمزه على كمي فأربته الغزال فقال بحياتي عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما فخصصنا فلألأنا أكمامنا وأقبلنا وأقبلنا نمشي كالحبالى فلما رأنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن فما ذنبنا يا أمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ما شئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبي سطلا من ذهب مملوأ مسكا فأخذه بيده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم ان ينتهبوا الباقي فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سرّك الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب ان يراه قبل ان يفرقه فانني أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال ابعثوا اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله بالأول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هي لك فقال

يا طلح أنت أخو الندا وعقيده * ان الندا ما مات طلحة ماتا

ان الندا ألقى اليك رحاله * فبحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاعجم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف دينار فقال

ان السماحة والمروءة والندا * في قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدني فقال كل شئ وثمنه ووفد أبو عطاء السدي على نصر بن سيار بخراسان مع قيتين له فأنزله وأحسن اليه وقال ما عندك يا أبا عطاء فقال وما عسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير أني قلت بيتين قال هات ما قلت فقال

يا طالب الجود اما كنت تطلبه * فاطلب على بابه نصر بن سيار

الواهب الخيل تعدو في أعنتها * مع القيان وفيها ألف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيأ فبلغ ذلك نصرا فقال ماله قاتله الله من سيد ما أضخم قدره ثم أمر له بمثله وقال العتبي أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذا هو بأعرابي يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان أراد ني هذا الاعرابي فأوصله الي فلما وصل الاعرابي سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فأنشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل ما بيدي * ولا أطيق العيال اذ كثروا

أناخ دهري علي كلكله * فأرسلوني اليك وانتظروا

فأخذت عمرا لاريحية فجعل يهتز في مجلسه ثم قال أرسلوك الي وانتظروا اذن والله لا يجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بألف دينار وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن في ذلك فقال أنفذه فأبى الا انفاذه وان خروج المال أحب الي من الاعتذار فاستكثره الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيأ وأراد الجواد الكريم أن يعطي عبده عشرة

اضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وامره النافذ ووقف اعرابي على ابن عامر فقال يا قمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة واكدت بي الآمال الا بفنائك فامضني بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة فأمر له بمائة الف درهم وسمع المامون قول عمارة بن عقيل

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

فقال او قلت دراهم خالد احملوا اليه مائة الف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكاي جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه ان يلي امرها من لا يعرف لها حقا واراد الرشيد أن يخرج الى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك من الاموال قال سبعمائة الف درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل اليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت ان رجاء توهم أنا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه في وجهنا هذا فقال منصور أنا أستخبرك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيئا فقد تركتها له وقيل ان الرشيد وصل في يوم واحد بالف الف وثلثمائة الف وخمسين الفا ووصل المنصور في يوم واحد لبني هاشم ووجوه قواده بعشرة الاف الف دينار على ما ذكر عن الاخفش الصغير قال كان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأشدهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتنقل لأهله فمر به عميلة الفزاري فسلم عليه وقال ما أصارك يا عم الى ما أرى فقال بخل مثلك بما له وصون وجهي عن مسألة الناس فقال والله لئن بقيت الى غد لاغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فاخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام في جنح ليل قال فكأنما القمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء وياس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل بحمل الاموال فقال ما هذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليك بشطره فانشا

رآني على ما بي عميلة فاشتكى	الى ماله حالي فواسى وما هجر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه	تردى رداء واسع الذيل واتزر
غلام حباه الله بالحسن يافعا	له سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت في جبينه	وفي أنفه الشعرى وفي جيده القمر

وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيأ لك المال الذي قد قبضته	ولم يبق في كفي غير التحسر
ابوء بحزن من فراقك موجع	اناجي به صدرا طويل التفكر

فاجابها يقول

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يقعدني شئ سوى الموت فاعذري

عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف ووفد ابو الشمقمق الى مدينة سابور بريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج بطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا

أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بأرض اقفرت فتحولوا

فقال ابو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة بخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك متولي الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وامر له بمائة الف درهم معونة له على مروءته وقال ابو العينا حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون يجلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العينا بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فانشدته

لقد رجونك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها يجب

ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * ففي العلا لك أخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شئ في بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة الف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه ابو العينا حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ ابو العينا يقول

شيان لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها في الشهر الف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ في دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما أيها الامير اني أطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان اليد تمتد الي وفيها الحنا وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطي أم أرد قال فأطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا تردها وقال سلمة بن عياش في جعفر بن سليمان

وما شممت أنفي ريح كف شممتها * من الناس الا ريح كفك أطيب

فأمر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر وكان عبد العزيز بن عبد الله

جوادا ممدحا فاستندى عنده اعرابى يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس فى الدخول على جيئتهم بالأمس فقال أوكل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فأنشأ يقول

كل يوم كأنه عيد أضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر
وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يمدها ألف قدر

(وتعشى) الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقى فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة واطفأ الشمعة كراهة ان يخجل الفتى فذكر ان أباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله ان يكتب له كتابا الى اهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا أدعك تقاسي الذل على أبوابهم ودخل رجل على على بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم الا ما أجرتني من خصمي فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فأطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة الف درهم فأخذها وانصرف فبينما هو فى الطريق اذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم وبنبيه الكريم متى أتاك خصمك معتقا فارجع الينا متظلما وقال الاعمش كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندا * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (وحكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك ان تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه واكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف اكرم أضيافه بعد موته وروى عن الهيثم بن عدى انه قال تمارى ثلاثة نفر فى الاجواد فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعد بن عبادة

فقال

وقال الاخر بل اسخى الناس اليوم عرابة الاوسي فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد
أفرطتم في الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان
فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله في ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل
يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به قال فأخرج رجله وقال ضع رجلك
واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب
قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له
الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار وما في دار قيس اليوم غيرها
وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك فقيل ان
قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها ولو لم تعلم أن ذلك يرضيه ما جرت بفعله
فمخلوق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعرا

واذا ما اختبرت ذا صديق * فاختبروه من الغلمان

منقطع

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل قد
به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى
الليلة عند عرابة شئ ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله
ما كنت بالذي يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت
فخذ وان شئت فأعتق فأخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد
فحكموا لعرابة لأنه أعطى على جهد قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندا والجود حران أنتما * فقالا بقينا اننا لعبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الي وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الأمهات مهذب * تدفق كفاه الندا وشمائله

هو البحر من أي الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

نبزعت لي بالجود حتى نعشتني * واعطيتني حتى حسبتك تلعب

وأنبت ريشا في الجناحين بعدما * تساقط مني الريش او كاد يذهب

فأنت الندا وابن الندا واخو الندا * حليف الندا ما للندا عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع
وحسبي ما أخذت وانصرف وأما الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية فهم حاتم بن عبد الله
الطائي وهرم بن سنان وخالد بن عبد الله وكعب بن مامة الأيادي وضرب المثل بحاتم
وكعب وحاتم أشهرهما فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء في المفازة ومات عطشا وليس

له خبر مشهور وأما خالد بن عبد الله فانه جاء اليه بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال فقال نعم قال هاتهما فأنشده

يا واحد العرب الذى • ما في الأنام له نظير

لو كان مثلك آخر • ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام اعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف وأما حاتم فأخباره كثيرة وآثاره في الجود شهيرة ويكنى أبا سفانة وأبا عدي وكان يسير في قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدي يعادي النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا الى طيئ فهرب عدي بأهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتي بها الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخي ايت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض فأسلم عدي بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية ان الكريمين اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما أن أعطي وتمسكي واما أن أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شئ فقالت له منك تعلمت مكارم الاخلاق قال ابن الاعرابي كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سئل وهب واذا سابق سبق واذا أسر أطلق وكان اذا أهل رجب الذى كانت تعظمه مضر في الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج مارية بنت عفزر وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له

مالك

مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت مارية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن أن يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولنه الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولنه الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولنه الى الشام وان كان من قبل الشام حولنه الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقي حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده يا عدي ما ترى ما فعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فأخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم مارية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبي الى ابن عمي مالك وقولي له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فأرسل الينا بشئ نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظري الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلي منه وان ضرب بلحيته على زوره ولطم رأسه فاقبلي ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطاء من لبن فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له انما هي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتما لأجله وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبي الى حاتم وقولي له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت مارية تصيح هذا الذي طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك يا مارية الذي خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها في بقاع الأرض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه في سنة مجدبة (حكي) ان ملكان بن أخي مارية قال قلت لها يوما يا عمة حدثيني ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخي أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذني واياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فأقبل علي يحدثني ويعللني بالحديث حتى أنام فرفقت به لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام فقال لي أنمت فلم أجبه فسكت ونظر في فناء الخباء فاذا شئ قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا عدي أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها أحضري صبيانك فوالله لأشبعنهم فقامت سريعة لأولادها فرفعت رأسي وقلت له يا حا

بماذا أشبع أطفالك فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقال والله لأشبعنك ولأشبعن
صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائماً وأخذ المدية بيده وعمد إلى فرسه فذبحه
ثم أجج ناراً ودفع إليها شفرة وقال قطعي واشوي وكلي وأطعمي صبيانك فأكلت المرأة وأشبعت
صبيانها فأيقظت أولادي وأكلت وأطعمتهم فقال والله إن هذا هو اللؤم تأكلون وأهل
الحي حالهم مثل حالكم ثم أتى الحي بيتاً بيتاً يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول
الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الأرض منها قليل
ولا كثير إلا العظم والحافر ولا والله ما ذاقها حاتم وإنه لأشدهم جوعاً وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أماوي إن المال غاد ورائح * ويبقى من المال الأحاديث والذكر
وقد علم الأقوام لو أن حاتماً * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طيء فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولقي
القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رمحك فرمى به إليه فقيل لحاتم
عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول
هب لي ولما مات عظم على طيء موته فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله
ما بين خلقتيكما وضعته فبقي والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت أحد ثديي طفلاً من الجيران
وكنت أنت ترضع ثدياً وبيدك على الآخر فأنى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء * وإن مات قامت للسخاء مآتم

وكانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الأضياف
بنباحه والضمير الغريب وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تثقب النيران فرقوا
الكلاب حوالي الحي وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح فتهتدي الضلال وتأتي
الأضياف على نباحها والحكايات في ذكر الأجواد والكرماء والأسخياء وأهل المعروف
وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففي مثل هذه المناقب
فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فإن فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن
الصيت وخلود جميل الذكر فإنا لم نجد شيئاً يبقى على ممر الدهر إلا الذكر حسناً كان أو قبيحاً وقد قال الشاعر

ولا شيء يدوم فكن حديثاً * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الأمر وقدم لنفسك كما قدموا واذكر بالصالحات
كما ذكروا وادخر لنفسك في القيامة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد
والمتروك للعدو فاختر أي الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم)

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله
عليه وسلم أنه قال البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء وقالت أم البنين

أخت

أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما ان البخل لو كان قميصا ما لبسته او كان طريقا ما سلكته
وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان
فأما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار الى العصا
وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الأرقط فكان هجاء للضيفان فحاشا طعمهم نزل
به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر انهم اكلوه بنواه وأما ابو الاسود فتصدق على سائل
بتمرة فقال جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعمنا المساكين في أموالنا كنا اسوأ
حالا منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف
وتطير لأطيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض
فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتي هل أزاد به عمرا
اذا اخزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب
سهل بن هارون كتابا في مدح البخل وأهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا
ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبي فنن شعر

ذريني وإتلافي لمالي فانني * أحب من الأخلاق ما هو أجمل
وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الأسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير
فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به
وكان المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم
يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال
المسلمين ثلاثين الف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت
أمشي بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدو له في ذهابه وإيابه بغير مؤنة وكان
ابو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب بخلهما المثل قال مروان ما فرحت
بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به
لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب
بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما
باعرابية فأضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما
فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان

من عادتهم اذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها في خيط ويجمعون
اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه
وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم
تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء ابرا
وجاء يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف
الذي قد من دبر ما أعاره اياها فكيف يكسوني وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * أبرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبي بخيلا جدا مدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة
دنانير قال له والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك
دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هارون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك
يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه
بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لأكره من يرمي برجله فكيف
برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد
وفيه فرقه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه
عجيب لوجع الكلية ولم تر عظما أهش تحت الأسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا آكله
أما قلت عنده من يأكله انظر في أي مكان رميته فائتني به فقال والله لا أدري أين رميته
فقال لكني أنا أعرف أين رميته رميته في بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام
ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم في أبي دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف
أبو دلف لطبخه فنار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزي صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى
الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدافع الآلام اذ أتاه بعض
أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب
من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته
اطبخي لأهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك
بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على
رجل من أهل خراسان ليلا فاذا أنا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط
فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم تحفظه لعيينا الى ان
فلا يجد الا عودا عطشان ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية
اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء

ووقفت فيها وفيما هو شرّ منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من نار الأشياء ويبتعدان بهذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين وقال الهيثم بن عدي نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان قالت يا أبت ما دمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا أم قلوا والأم اللئام وأبخلهم حميد الأرقط الذي يقال له هجاء الأضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الأولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد أظفور

وقال فيه أيضا

يجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الأنامل

وأكل أعرابي مع أبي الأسود رطبا فأكثر ومد أبو الأسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الأعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الأسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الأعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها وقال أعرابي لرجل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فأقم بعدم أو ارحل بندم ولحمدوني

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لأختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذا الشيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق السيه * ببيت لم يرد فيه القيام
أبي وابنا أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا احضر الطعام
وقال له أبي لي يا ابن كلب * على خبزي أصادر أو أضام
اذا احضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام
فما في الأرض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فأين هذا من القائل

بخيل يرى في الجود عارا وانما * يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا
اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا

وقال آخر

وآمراة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له في العالمين خليل

وقالوا اذا سألت لئيما شيأ فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال ربعي الهمداني

جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم
واني لأرجو أن أموت وتنقضي * حياتي وما عندي يد للئيم

وأنشد الجاحظ لأبي الشمقمق

من تعلمت هذا * أن لا تجود بشي
أما مررت بعبد * لعبد حاتم طي

ومما قاله الشعراء في البخلاء وطعامهم فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير في بني تغلب

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

وله أيضا فيهم

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لأمهم بولي على النار
فتمسك البول بخلا أن تجود به * وما تبول لهم الا بمقدار

فأين هؤلاء من الذين قال فيهم الشاعر

والخبز كالعنبر الهندي عندهم * والقمح خمسون اردبا بدينار

وقال آخر

ابيض بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

وقال بعضهم في بخيل

أتانا بخبز له * كمثل الدراهم في رقته
اذا ما تنفس حول الخوان * تطاير في البيت من خفته

وقال آخر

تراهم خشية الأضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

وقال آخر وقد بات عند بخيل

بتنا كأنا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد

وقال آخر

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تطبخ النار

وقال آخر وأجاد

فصدق أيمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان همت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

وقال آخر

ذهب الكرام فلا كرام * وبقى العضاريط اللئام
من لا يقبل ولا ينيل ولا يشم له طعام

وقال آخر

خليلي من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
اذا جئته في حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

وقال آخر

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى خضاب * وأما سيفه فعلى الكلاب

وقال آخر

زففت الى نبهان من صفو فكرتي * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وقال آخر

لو عبر البحر بأمواجه * في ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوءة خردلا * ما سقطت من كفه واحده

وقال آخر

يا قائما في داره قاعدا * من غير معنى لا ولا فائده
قد مات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال آخر

نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا في البعاد
فلو أبصرت ضيفا في منام * لحرمت المنام الى التناد

وقال آخر

لا تعجبن لخبز زل من يده * فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا

وقال ابن أبي حازم

وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لي بفتى كريم
بلوت ومر بي خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يجود على عديم

ومن رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة
من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الأدباء تواطؤا على ذمي واستهلوا شتمي حتى
ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا ينبسط نحوي رجاء راج وقال له أصحابه
يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت
استثقالك لمجالستنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغدا وقال عمر بن ميمون
مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال أحدهما
ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب
داري أتجمل بها جاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي اشترى
الرأس وقال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لي لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى
أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطي أحدا منكم
هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الأكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع
للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الأوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد
لعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الأصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا
قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما ووقف اعرابي على أبي الأسود وهو
يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابي أما اني قد مررت
بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدي بها قال قد
ولدت قال كان لا بد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات
أحدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد
موت أخيه قال وماتت الأم قال حزنا على ولدها قال ما أطيب طعامك قال لأجل ذلك
أكلته وحدي ووالله لا ذقته يا أعرابي وقيل خرج أعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي
فأقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الأيام ورد عليه أعرابي من حيه فقدم اليه الطعام
وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الأرض
والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها
قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحي نبحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت
الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك
الناصية أعد علي ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي
أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أو مات جملي زريق قال نعم
قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال
وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال
سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه
هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته

فاذا به اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هي تكلمني اذ أقبل صاحب البيت فلما رأى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بي بالأمس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتها هي اختي وان بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف وأخبار الأكلة وما جاء عنهم وغير ذلك

أما اباحة الطيب من المطاعم فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضيل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقي الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للأذى أنت الى أحكام هذا أحوج من ترك الخبيص وأما نعوت الأطعمة وما جاء فيها فقد نقل عن الرشيد أنه سأل أبا الحارث عن الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا اللقمة ومن هذا اللقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضي لأحدهما أتى الآخر بحجته واختلف الرشيد وأم جعفر في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا

دينارا وسمع الحسن البصري رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الأصمعي أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى اعرابي بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وهو يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين وهي شجرة أخي يونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد في الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبي رافع قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول اكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوي المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلي خلف علي ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف علي أفضل وهو أتم والجلوس وحدي لي أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الأرز يزيد في العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الأرز يري منامات حسنة ومن رأى مناما حسنا كان في نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الأرز الأبيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لأبي الحارث ما تقول في الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا في صدري والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف الألوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضي الله عنه فاتخذ الألوان ويقال للمرقة المسمنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا مائدتي بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل اذا ألقي اللحم في العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الأطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤونة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

في حبة القلب مني * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينتظر به الادام اذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفي الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التي أنزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قرعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه

موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعوني الى الموز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مدّ يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد فقال له ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا وأهدى رجل الى آخر فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماذى والزعفران الاصبهانى فأجابه والله العظيم ما عملت الا قبل أن توجد أمها وقبل أن تنفخ السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان أباجهم بن عطية كان عينا لأبى مسلم الخولانى على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

وقال أبو طالب المأمونى

فما حملت كف امرئ متطعما * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة ودخل السائب على علىّ رضى الله عنه فى يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما انك لو شربته لم تزل دفئا شبعان سائر يومك وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان علىّ يشرب اللبن ويبول على اللات وأما الزهد فى المأكل فقد زهد فيه كثير من الأخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة رضى الله عنها والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول أف أف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الأدم الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط ما قرب اليه وقال عمر رضى الله عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أدمان الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علىّ ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام شكا الى الله الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب مدح الفقراء

ان شاء الله تعالى * وأما ما جاء في آداب الأكل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء لم يضره ما أكل وما
شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما
رزقتنا وعليك خلفه * وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني
هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال
الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن
عائشة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله
فان نسي في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان
يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم الأكل في السوق دناءة وعن أنس
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الأكل قائما
فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك
ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة
ولا تبصق في الأماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
النفخ في الطعام والشراب وقال علي رضي الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل
الطعام حارا وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم
طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال عمرو بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فان مباكرته
تطيب النكهة وتعين على المروءة قيل وما اعانته على المروءة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام
غيرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش في سعة وعوفي
في ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم من لقط شيئا من الطعام فأكله
حرم الله جلده على النار وكان الحارث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه
واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه
وقال الحجاج لاعرابي يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك
وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من
يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدي الحسن بن علي رضي الله
عنهما دجاجة ففكها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك
وبين أمها قرابة أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم
منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضي الله عنهما وحضر أعرابي على مائدة بعض الخلفاء
فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد
كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك * وأما ما جاء في كثرة الأكل

فقد روى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكا الا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذانى طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت فى معدتك الحجارة لطحنتها وقال على كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المقفع كانت ملوك الأعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الاكل ولذلك قال

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الأصمعى لرجل من بنى فهد

اذا لم أزر الا لآكل أكلة * فلا رفعت كفى الى طعامى

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضى الله عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشترى غلاما فألقى بين يديه تمرا فأكل فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من الاكيل السوء وشكا أبو العينا الى صديق له سوء الحال فقال له أبشر فان الله قد رزقك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحارث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الأكل فقالت له أما فى وجهى ما يشغلك عن الأكل قال جعلت فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما فى وجه صاحبه وافترقا وأما أخبار الأكلة فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة رغيف بمكوك ملح ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو فى بطنك وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازنى ما أكلة بلغتنى عنك قال جعت مرة ومعى بعير لى فنحرته وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيئا يسيرا حملته على ظهرى فلما كان الليل أردت أن أجامع امرأة لى فلم أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل الى وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الأكلة فقال أربعة أيام وقال الأصمعى ان سليمان بن عبد الملك كان شرها نهما وكان من شرهه أنه اذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوى لا يصبر الى أن يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى يأتى عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعى ما أعلمك بأخبار الناس انى عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتنى ثم أمر لى بجبة منها فكنت اذا لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر ابن عبد العزيز الى وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمنى قلت عندى جدى كأعظم

مايكون سمنا قال عجل بر فاتيته به كانه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعوعمر حتى اذا لم يبق منه الا الفخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال انى صائم فأكله ثم قال يا سمردل ويلك أما عندك شئ قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا سمردل أما عندك شئ قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا ووضع الخوان فقعد وأكل مع الناس وكان هلال بن الأشعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عبلا وقال اعرابى لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك وقال أبو المحسن الاعرابى كانت لى بنت تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة فى ذراع كأنه جمارة فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الا خصتنى بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة ثم والله لن تسبق عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة ويقال فلان يحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام وعصا موسى فى سرعة الالتهام وقيل لأبى مرة أى الطعام أحب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولى السوء فى مال اليتيم وقال صدقة بن عبيد المازنى أولم لى أبى لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازنى فقدمنا له جفنة مترعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوءة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الأوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزنبيلين فى أحدهما تين وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فألقى اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهرى أنه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصده قال الى الأردن قال لماذا قال بلغنى أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على * وأما النازلة على الطعام فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال قالت عائشة رضى الله عنها

كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة جئت به فقلت لسودة
كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت
من الصحفة شيأ فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فتناولت
من الصحفة شيأ فلطخت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك واشترى
عبد ربه يوما سمكا وقال لأهله أصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال
قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا فشم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت
ودخل المجد وفي على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم
فقال لقد ذكرتموني ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم
وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات في ذلك كثيرة *
وأما الضيافة واطعام الطعام فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ
جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلي بداء لا دواء له
وقال الحسن كنا نسمع أن احدى موجبات الرحمة اطعام الأخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم
الخليل عليه السلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت الذي
لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ما خلا
مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهري اذا لم يأكل أحد
من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيام وقالوا المائدة مرزوقة أي من كان مضيافا
وسع الله عليه وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه السلام وأول من ثرد الثريد
وهشمه هاشم وأول من فطر جيرانه على طعامه في الاسلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شيء فان لم
يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الأخلاق والتأدب
مع الأضياف فقال كانت الأسفار تحوجني الى أن أفد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم
اتبعته وما استقبحته اجتنبته * وأما آداب المضيف فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى
وبسط الوجه فقد قيل البشاشة في الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك
وقد ضمن الشيخ شمس الدين ابن البديوي رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المواكلة وقال حاتم الطائي

شبّ الطارق المعترّ يا أم مالك * اذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أأبسط وجهي انه أول القرى * وأبذل معروفي له دون منكر

وقال آخر في عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

ولله در القائل

الله يعلم أنه ما سرّني * شئ كطارقة الضيوف النزّل
ما زلت بالترحيب حتى خلتني * ضيفا له والضيف ربّ المنزل

أخذه من قول الشاعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل

وما أحسن ما قاله سيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له * الا الذى حرّمه الخالق

وقال الاصمعي سألت عيينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق فقال أو ما سمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله * ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

وقال بعض الكرام

أضاحك ضيفي قبل أنزل رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال آخر

عوّدت نفسي اذا ما الضيف نبّهني * عقر العشار على عسر وايسار

ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندي تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى يكرم الفرسا

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمه أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به كما حكي بعضهم قال استدعاني اسحاق بن ابراهيم الظاهري الى اكل هريسة في بكرة نهار فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فأسرّ اليه شيأ لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيف ما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضورهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن

كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد فى أول النهار يخدم القوم ويأنسون به فنى آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكى الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم أن تصلوا على ولدى فانه بالأمس سقط من على السطح فمات لساعته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغى لعاقل أن ينغص على أضيافه فى التذاذهم ولا يكدر عليهم فى عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف أن يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الأمراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويعيزه عن العدو فقال ان عدو ليأكل طعاما ولا يخدع لا يمكنه الله منا والأليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه أن يسهر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وأن يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال اذا أضافك أحد فأره الكنيف فانى ابتليت به مرة فوضعته فى قلنسوتى وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبى صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الانصارى وكذلك كانت عادة السلف رضى الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودى ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم فى السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضى الله عنها فأكل طعامها وهى غائبة وكان الحسن رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع فقال له يا لكع اتل على آية الأكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر ما قدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف (وحكى) عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه كان نازلا عند الزعفرانى ببغداد فكان الزعفرانى يكتب فى كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعى منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفرانى ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضى الله عنهم أن يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهى ومن السنة أن

بتشييع الضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى أضيافه ان لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضنى سراج لا يضئ ورسول بطئ ومائدة ينتظر لها من يجئ ونزل الامام الشافعى رضى الله عنه بالامام مالك رضى الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت منى فخدمة الضيف على المضيف فرض شعر

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا

ولا تكن سامرى العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيمتد وله يمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعيب طعامه ويصف زبادية ويشتهى أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رأى ضيوفه أمرأن يرفع منها أطيبها وأشهاها الى النفوس ويعتذر أن فى أصحابه من يحضر بالغذاء عنده (وحكى) عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف قبل أن يرفعه فظن البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى أن تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخى والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك (وحكى) عن بعضهم انه قال غلب على الجوع مرة فقلت أمضى الى دار فلان لأتغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله ما لك عليه الا أن أعطيتنى كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشئ اليسير وتعظيمه (وحكى) عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذى يقول

قالت أما ترحل تبغى الغنى * قلت فمن للطارق المعتم

قالت فهل عندك شئ له * قلت نعم جهد الفتى المعدم

فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم

ان الغنى بالنفس يا هذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض البخلاء

سرى نحونا يبغى القرى طاوى الحشا * لقد علقت فيه الظنون الكواذب

فبات لنا الى الصبح شاتم * يعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان ما بين القائلين

وأما آداب الضيف فهو أن يبادر الى موافقة المضيف فى أمور منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن فقد حكى أنه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما أحتاج الى مكان أبيت فيه فقال الاعرابى

إذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا أرى أن تدخني في البلاد وتجوني فيما بيني وبينك (وحكى) عن بعض التجار قال اسند عاني أبو حفص محمد بن القاسم الكرخي لأمر عليه فأتانا من تجارتي فبينما أنا بين يديه وإذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فمن من مجلسه فقال يا فلان ما أخذ الخلق العامي اجلس فجلست وضعفت كرمه وجعلت أكل الكمثراة في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني إلا وقد جاءني غلامه يبغلته فاسند عاني إليه فقال لي يا فلان إني قليل الأكل بطيء الهضم ولقد طابت لي مؤاكلتك بالأمس فأريد أن لا تنقطع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طلبي فحصل لي بقربي منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وأن لا يتطلع إلى ناحية الحريم وأن لا يخالفه إذا أجلسه في مكان وأكرمه به وأن لا يمتنع من غسل يديه وإذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل في بعض المجاميع أن بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سيئ الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الأذكياء فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل انه كريم الأخلاق وما أظن سوء أخلاقه إلا لسوء أدب الأضياف ولابد أن أنطفل عليه لأرى حقيقة أمره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي إلى أن جاء إلى باب داره فأذن لي فدخلت فأجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أجلسني وأعطاني مسندا فاستندت إليه فأخرج لي شطرنجا وقال أتحسن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وإبريقا وأراد أن يسكب الماء على يدي فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدي بعد أن قدم نعلي فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت يا سيدي أنشدك الله إلا فرجت عني كربة قال وما هي فأخبرته الخبر فقال والله ما يحوجني لذلك إلا سوء أدبهم يصل الضيف إلى داري فأجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم إليه الطعام فلا أتحفه بشيء مستظرف إلا رده علي ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم أريد أن أشيعه فلا يمكنني من ذلك فأقول في نفسي لا يحكم الإنسان على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفي معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغي للضيف أن يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالأمر للإنسان في بيته * ان شاء أن ينصف أو أن يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الأكل المفرط إلا أن يكون بدويا فإنها عادته ومنها أن يتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والأمراق والحلوى وغير ذلك ومنها أن يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه أن يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطي على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عدوا فيها عيوبا كثيرة فمنها المناوف والمداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات والنتات والعوام

والقسام والمحلل والمزبد والمرغ والمرشش والمفتش والمنسف والملبب والصباغ والنفاخ والحامي والمجنح والشطرنجي والمهندس والممني والفضولي فاما المتشاوف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا لناحية الباب يظن أن كل ما دخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى ويعد على أصابعه ويشير اليها وينسى نفسه والجراف هو الذى يجعل اللقمة فى جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرنان هو الذى يجعل اللقمة فى فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة فى فيه وينفض أصابعه فى الزبدية والقراض هو الذى يقرض اللقمة باطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها فى الطعام بعد ذلك والبهات هو الذى يبهت فى وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذى يلت اللقمة باطراف أصابعه قبل وضعها فى الطعام والعوام هو الذى يميل ذراعيه يمنة ويسرة لأخذ الزبادى والقسام هو الذى يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها فى الطعام من فيه والمحلل هو الذى يخلل أسنانه بأظفاره والمزبد هو الذى يحمل معه الطعام والمرغ هو الذى يمرغ اللقمة فى الأمراق ولا يبلع الأولى حتى تلين الثانيه والمرشش هو الذى يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مواكليه والمفتش هو الذى يفتش على اللحم بأصابعه والمنسف هو الذى ينسف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذى يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذى ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذى ينفخ فى الطعام والحامي هو الذى يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذى يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له فى المجلس فلا يشق عليه الأكل والشطرنجي هو الذى يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذى يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه هنا حتى يأتى قدامه ما يحب والممني هو الذى يقول ليتنى لم يكن معى من يأكل والفضولي هو الذى يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقى عندك فى غد ورغيف فأطعم الناس فان فيهم من لم يأكل ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق فى يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه والأشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما ومنهم من يدخل الدار فينادى بالخدمة أولا فيقول كان ينبغى ان يكون باب المجلس من هاهنا والايوان كان ينبغى أن يكون هاهنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الأضياف وشغلهم ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويتسلطهم فى عرض صاحبهم ولقد حكى عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا انه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت فى بطنى واذا قيل له أين شربت قال شربت فى فمى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول

لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم او الطلاق الثلاث يلزمه ما يشترى شيأ فاذ وفيه فيحيرصاحب المنزل ويخجله اذ لم يكن فى بيته شئ موجود وليت شعرى اذا كان لا يأخذ فلاى شئ حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لا فى بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى او يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول أنا والله كلما مر علىّ عام تزايدت شهوتى وكثر هذا الفن تشوقى ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الأخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ما هى فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغنا تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن فى نفسه أنه يعشق وأن رسول صاحبة البيت لا يبطئ عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع فى الفضول ومنهم من يأتى على غلمان صاحب البيت ويهين اولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل الا أنا ورفيقى ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه او يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده بذلك المنن واكثر الناس واقع فى ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤف رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون فى العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد ندب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضاء بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصينى بالعفو فلولا علمى بالله لظننت أنه يوصينى بترك الحدود وقال الحسن بن ابى الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد

من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال علي كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب إلي العفو حتى إني أخاف أن لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبي للعفو لتقربوا إلي بالجنايات وقال علي كرم الله وجهه إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال رضي الله تعالى عنه أقيلوا ذوي المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه وقال رضي الله عنه إن أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل وقال الشاعر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه إياك أعني فقال له وعنك أعرض وكان الأحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث إن كان فوقي عرفت له فضله وإن كان مثلي تفضلت عليه وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف إليه في الحلم كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا فقال ذعرتم أخي أطلقوه واحملوا إلى أم ولدي ديته فإنها ليست من قومنا ثم أنشأ يقول

أقول للنفس تصبيرا وتعزية * إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقيل من عادة الكريم إذا قدر غفر وإذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره والعرب تقول لا سودد مع الانتقام والذي يجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته وإن كان ولا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه إلا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدي بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى إلى المنصور برجل من ولد الأشتر النخعي ذكر له عنه أنه يميل إلى بني علي والتعصب لهم فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبي أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبي ثم قال

فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما * فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه

وخلى سبيله واحضر الى الهادى رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقرارى يلزمنى ذنبا لم أفعله ويلحق بى جرما لم أقف عليه وانكارى رد عليك ومعارضة لك ولكنى أقول

فان كنت تبغى بالعقاب تشفيا • فلا تزهدن عند التجاوز فى الأجر

فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ما أمضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضى الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للأمير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بزمام بغلته وقال أصلح الله الأمير أنت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال انى لا أمل دابتى حتى تملنى ولا أمل رفيقى حتى يملنى فقال أصلح الله الأمير أما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الأم قال على الخبير سقطت أمى النابغة بنت حرملة بن عزة سبتها رماح العرب فأتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت بغيا عند عبد الله ابن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو للعاص لأن العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى أخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه أنه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست بر فقالت السلام عليك أيها الأمير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه الأرض منكم أحد لأنكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على بن أبى طالب رضى الله عنه على منابركم وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحدا فقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر برد أموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروءة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه أستك باست أمك فقال ذاك الذى أعجب أبا سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شئ جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب أما بعد يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أحلامكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد واسا أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله الا أن يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أنى • أرى أن لا أراك ولا ترانى

ولست أقول سوأي صديقي • ولكني أصد إذا جفاني

فركب إليه معاوية رضي الله عنه وناشده في الصفح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكي) عنه رضي الله عنه أنه لما ولي الخلافة وانتظمت إليه الأمور وامتلأت منه الصدور وأذعن لأمره الجمهور وساعده في مراده القدر المقدر واستحضر ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح والمريض وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب علي تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لأقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضي الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها فإنها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضي الله عنه بئس ما أشرتم به وقبيحا ما قلتم أيحسن أن يشتهر عني أنني بعد ما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها إني إذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا إلى واليه بالكوفة أن انفذ إلي الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها فقالت بعد أن قرأت الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت إليك قالت لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين إنه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وإن الكواكب لا تضيء مع القمر وإن البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد إلا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه إن الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فإنه لا يستوي المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الأمور عاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركتيه في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك وأنى لي بتصديقه فقال لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إلي من حبكم له في حياته فاذكري

حوائجك تقض فقالت يا أمير المؤمنين انى آليت على نفسى أن لا أسأل أحدا بعد على حاجة فقال قد أشار على بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسألة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها سالمة وكتب الى والى الكوفة بالوصية بها وتعشيرها وقيل كانت لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية فى أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول فيه أما بعد يا معاوية ان عبيدك قد دخلوا فى أرضى فانههم عن ذلك والا كان لى ولك شان والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بنى ما ترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بنى ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى ما ساءه والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه نزلت عن أرضى لك فأضمها الى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما على كتاب معاوية رضى الله عنه كتب اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشئ من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء ولما دخل الفيل دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية فى مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر فى بعض الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا فى قصرى وتحت جناحى تهتك حرمتى وأنت فى قبضتى ما حملك على ذلك قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعنى فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجانى وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكم • وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وحكى عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جأشا وأثبت جنانا من رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره فأحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والأموال التى عندك لبنى أمية فأخرج لنا منها واحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسألتك عما فى يدى من ذلك قال فأطرق المنصور يتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم وأريد

ان تأخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله في بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فصاح اي اقامة
بينة عادلة أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه فان بني أمية قد كانت لهم أموال غير أموال
المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق
وما يجب عليه شيء وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتي
يا أمير المؤمنين أن تجمع بيني وبين من سعى بي اليك فوالله الذي لا اله الا هو ما في يدي لبني
أمية مال ولا وديعة ولكني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه قابلت بين هذا
القول الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص
والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامي اختلس
لي ثلاثة آلاف دينار من مالي وأبق مني وخاف من طلبي له فسعى بي عند أمير المؤمنين قال
فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وأنه أخذ المال الذي ذكره وسعى به
كذبا عليه وخوفا من أن يقع في يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال
قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته ثلاثة الآلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى أدفعها
اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل
في مقابلة كلامك لي وعفوك عني ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره
يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع وغضب الرشيد على حميد الطوسي فدعا له بالنطع
والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لأنه لا بد
منه وانما بكيت أسفا على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط علي فضحك وعفا عنه
وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الأمير ان لي
بك حرمة قال وما هي قال ان أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاي اني نسيت
اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه وأمر الحجاج بقتل
رجل فقال أسألك بالذي أنت غدا بين يديه أذل موقفا مني بين يديك الا عفوت عني
فعفا عنه ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن الأشعث أتي رجل من بني تميم فقال والله
يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب ما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان
فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله وكان ابراهيم بن المهدي يقول والله
ما عفا عني المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسد
بقتلي وسئل الفضيل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان وفي بعض الكتب المنزلة
ان كثرة المعروف زيادة في العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض وقال
يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليلا يدعوني فأوجست منه خيفة فقال لي أنت القائل
أنا ركن الدولة والثائر لها والضارب أعناق بغاتها لا أم لك أي ركن وأي ثائر أنت قلت
يا أمير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت أنا عبد الدولة والثائر لها فأطرق وجعل يسكن
غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت أحسن من هذا قولي

خلافة الله في هارون ثابتة • وفي بنيه الى أن ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مائة ألف درهم قبل أن يصبح وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح بي أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول أي رب سل مصعبا لم قتلني فقال أطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الامير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع • ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وأمر له بصلة وقال الحسن أفضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال ابو تمام

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه • بكفيك ما ماريت أنه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته أشد علي من كلامه شعر

اذا كنت تبغي شيمة غير شيمة • طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب وفي التوراة اذكرني اذا غضبت أذكرك اذا غضبت فلا أمحقك فيما أمحق واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فأندر عينها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يباعدني من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب أضاع الأرب قال ابو العتاهية

ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم • عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

وقال ابو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء اثما أن يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا يجاوز به خمسة عشر سوطا وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول اذا اشتد غضبي فأعطني هذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الأولى اقصر فما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت

بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذاك وروي ان انوشروان وكان الشعبي اولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضى * انما الاحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن انس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في اي الحور شاء وروي ملأه الله امنا وايمانا وقال ابن السماك اذنب غلام لامرأة من قريش فاخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى احدا يشفي غيظه وقال ابو ذر لغلامه لم ارسلت الشاة على علف الفرس قال اردت ان اغيظك قال لاجمعن مع الغيظ اجرا انت حر لوجه الله تعالى واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضي الله عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم ورفع الى عبد الملك بن مروان اعرابي يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من السجن يقول (شعر)

يدي يا امير المؤمنين اعيذها * بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فابى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه ام حمزة وقالت يا امير المؤمنين ابني وكاسبي وواحدي فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين فاجعله لحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله

اذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا اخا عفو وصفح * ولا لاخ على عهد وثيق
اذا ازل الرفيق وانت ممن * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا انت اتخذت اخا جديدا * لما انكرت من خلق عتيق
فما تدري لعلك مستجير * من الرمضاء فر الى الحريق
فكم من سالك لطريق امن * اتاه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فاني ابيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن احييه كبيرا واني لا اكافي من عصى الله في باكثر من ان اطيع الله فيه وحكي عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى وقيل ما ندم حليم

منيع بين يدى الخليفة وكان قد امر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولها قال قل فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتمم لقمة * ولئن شويت فاننى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله قال الشاعر

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

قال بعضهم شعر

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال آخر

اذا ذكرت أياديك التى سلفت * مع قبح فعلى وزلاتى ومجترى
اكاد أقتل نفسى ثم يدركنى * علمى بأنك مجبول على الكرم

وروى أن عمر رضى الله عنه رأى سكران فأراد أن يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبنى فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلا أحب أن أضرب مسلما لحمية نفسى وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر بضرب عنقه فأنشأ يقول

وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله وأكرمه وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لا منان اذا وهب ولا حقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد وقيل لمعن ابن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عمن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فأما الذى فوقى فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

قال الشاعر

وقال الأحنف بن قيس لابنه يا بنى اذا أردت أن تواخى رجلا فأغضبه فان أنصفك والا فاحذر

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تلقاه بالود اغضبه
فان كان فى حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد قال الشاعر

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة * لاصفح ذل ولكن صفح أكرام

وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف اياكم ورأى الأوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وقال رجل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعى وقيل ان الأحنف سبه رجل وهو ماشيه فى الطريق فلما قرب من المنزل وقف الأحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقى معك شئ فهات وقله ههنا فانى اخاف أن يسمعك فتيان الحى فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لأنفسنا وقال لقمان لابنه يابنى ثلاثة لايعرفون الا عند ثلاثة لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقال آخر

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال آخر

قل ما بدا لك من صدق ومن كذب * حلمى أصم وأذنى غير صماء

ويروى فى بعض الاخبار أن ملكا من الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما من خاصته فلما مد السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شئ يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبى الذى به تقتلنى قتله فى ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر فى قتلى وترفع عنك الملامة قال فأطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال ياقبيح الفعل يا حسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحكى) عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور فى الآفاق بعفوه وحلمه أنه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد

اختفى ابراهيم بن المهدى وقتاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا
لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك ولاقرب
دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام فقال له ابراهيم
مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول
الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب
كما جعل كل ذى ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك
يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم • وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا • فاصفح بعفوك عنه
ان لم أكن فى فعالى • من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو
الله تعالى أعظم مما تحاول وأكثر مما تؤمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر
عليه لاتثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد
أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالى ولم تبخل على به • وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فان جحدتك ما أوليت من كرم • انى لباللوم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره أن يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى
فقال له عباد أيها الأمير أنشدك الله لاتقتلنى فوالله انى لأعول أربعا وعشرين امرأة
مالهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت
منه قالت أنا ابنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه • علينا واما أن تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته • ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج لا تترك عليه بناته • وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة ولما قدم عيينة
ابن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان
القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن
أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال
هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن
يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها

عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (وحكى) أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع في أن يزن له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتني ستر الله عليك في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان أن يتأسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة ويقتفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وأبرهم للمعترف عليه بجناية صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين * وأما ما جاء في العتاب فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعر)

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من * يدي غلهما غيظا الى عنقي
وأستعير له من سطوتي حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت في سفر ومعي رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحي فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شيء ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين في الهوى * عتابهم في كل حق وباطل

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

وقال آخر يعاتب صديقه

وكنت اذا ما جئت أدنيت مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة * الي بها في سالف الدهر تنظر

وقال أبو الحسن بن منقذ

اخلا قك الغر السجايا ما لها • حملت قذا الواشين وهي سلاف
ومراة رأيك في عبيدك مالها • صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه حط عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا • فكفى بنفسك لي عليك حسيبا
أكذا يكون خطاب اخوان الصفا • ان أرسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ماكان عذري ان أجبت بمثله • أو كنت بالعتب العنيف مجيبا
لكنني خفت انتقاص مودتي • فبعدا احسانى اليك ذنوبا

وقال آخر

اراك اذا ما قلت قولا قبلته • وليس لأقوالي لديك قبول
وما ذاك الا أن ظنك سيئ • بأهل الوفا والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسي انها • بنفسك عجبا وهو منك قليل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم • ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضافة ثم ولي عملا فأثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب اليه (شعر)

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة • فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء منك خلائقا • من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال آخر في المعنى

دعوت الله أن تسمو وتعلو • علو النجم في أفق السماء
فلما ان سموت بعدت عني • فكان اذا على نفسي دعائي

وكان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته • وصاحبت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تجريب غيره • فكان كبرء بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد

ويرجعني اليك اذا نأت بي • دياوى عنك تجربة الرجال

وقال أبو الحسن القابسي

اذا أنا عاتبت الملول فانما • أخط بأقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن • مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ما قيل في العتاب

وفي العتاب حياة بين أقوام • وهو المحك لدى لبس وإبهام

فانه شئ أحسن من معاتبة الاحباب ولا ألذ من مخاطبة ذوي الألباب والله سبحانه وتعالى

أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

• (الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم) •

أرجح دليل يتمسك به الإنسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا والآيات في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وروى في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد والإنجاز محاسنه والوعد سحابة والإنجاز مطره وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

إذا قلت في شيء نعم فأتمه ☆ فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وترح بها ☆ لئلا يقول الناس إنك كاذب

وقال آخر

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها ☆ ولا تجود يد إلا بما تجد
فلا تعد عدة إلا وفيت بها ☆ واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال أعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال أعرابي أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفا فأبطأت عليه فقال لقائده أقمني بحيث يمر فأقامه فمر فأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول شعر

أظلت علينا منك يوما سحابة ☆ أضاءت لنا برق وأبطا رشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع ☆ ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمي (شعر)

لئن جمع الآفات فالبخل شرها ☆ وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد إذا كان كاذبا ☆ ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلي أم ولد فأمر المنصور الربيع أن يعزيه ويقول له إن أمير المؤمنين موجه إليك جارية نفيسة لها أدب وظرف تسليك بها وأمر لك معها بفرش وكسوة وصلة فلم يزل الهذلي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلي فقال المنصور وهو بالمدينة إني أحب أن أطوف الليلة المدينة فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة

الذى يقول فيه الاحوص (شعر)

يا بيت عاتكة الذى أتعزل • حذر العدا وبه الفؤاد موكل

انى لأمنحك الصدود وانني • قسما اليك مع الصدود لأميل

فذكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر بالقصيدة على قلبه فيا

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم • مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذى كان وعد به الهذلى فأنجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء اكرومة • تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يمطل معروفه • ولا يليق المطل بالحر

وقال آخر

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد • لا خير فى وعد بغير تمام

أنعم على بما وعدت تكرما • فالمطل يذهب بهجة الانعام

وقال آخر

لعبدك وعد قد تقدم ذكره • فأوله حمد وآخره شكر

وقد جمعت فيك المكارم كلها • فمالك عن تأخير مكرمة عذر

وقال آخر

وميعاد الكريم عليه دين • فلا تزد الكريم على السلام

يذكره سلامك ما عليه • ويغنيك السلام عن الكلام

وقال آخر

شكا لك لسانى ثم أمسكت نعمه • فنصف لسانى بامتداحك ينطق

فان لم تنجز ما وعدت تركتنى • وباقى لسانى بالمذمة مطلق

وقال آخر

بات لوعدك عينى غير راقدة • والليل حتى الدياجى منبت السحر

هذا وقد بت من وعد على ثقة • فكيف لو بت من هجر على حذر

وقال آخر

نذكر بالرقاع اذا نسينا • ويأبى الله أن ننسى الكرام

وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السامع ويشنف المسامع كقضية الطائى وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيأ لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان فى يوم بؤسه فلما رآه الطائى علم أنه مقتول وأن دمه مطلول فقال حيى الله الملك انى لى

صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أزفت ما وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا التلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فإن لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك وقال له

يا شريك بن عدي * ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جد لي * بضمان والتزام
ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك علي ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك إن صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فإن لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينما هم كذلك وإذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون أنا ألأم الثلاثة ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك فقال الطائي

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي * فعددت قولهم من الإضلال
إني امرؤ مني الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك فقال ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن إليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما إلى أهله وأناله ما تمناه ومن ذلك ما حكي أن الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض إخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شيء من كلام أخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله

في زي الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط
أهلها وداخل كبراءها واستملهم الى القاسم بن محمد العلوي واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض
بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوي
واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته وائتني بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون
وتوجه الى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر
وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله
ابن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولي
الأمان قال نعم فأظهر له ما أراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أو تنصفني
فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال
نعم قال فيجب علي وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولي خاتم
في المشرق وخاتم في المغرب وأمري فيما بينهما مطاع وقولي مقبول ثم اني التفت يمينا
وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا علي أفتدعوني الى الكفر بهذه النعمة
وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته
وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا
البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فأخبره بصورة الحال
فسره ذلك وزاد في احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ومما يعد من محاسن الشيم ومكارم
الأخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين
الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطيقي قال كنا جلوسا عند كافور الاخشيدي وهو
يومئذ صاحب مصر والشام وله من السطوة والمكنة ونفوذ الأمر وعلو القدر وشهرة الذكر
ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من
نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منهم أعور كان
يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان قد توفي فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم
قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والأخرى
عاتق فرجعنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسير في الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا
وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا
وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال
أتعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا أني مررت يوما بهذا المنجم وأنا في ملك ابن عباس
الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الي واستجلسني وقال أنت تصير الى رجل جليل
القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب مني شيئا فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن
معي غيرهما فرمى بهما الي وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وأزيدك أنت
والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرني اذا صرت الى الذي وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال تعاهدني

انك تولى ولا يشغلك ذلك عن افتقادى وتعاهده ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما تجدد لى من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة وضيعت ذلك فلما اكلنا اليوم ونمت رأيته فى المنام قد دخل على وقال لى اين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك وانام وقد لا تفقدونى فتعدونى فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد فى احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعده والله اعلم ومما أسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات فى الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الامثال فى الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عاديا وتلخيص معناه أن امرأ القيس الكندى لما أراد المضى الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوى من المال جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى أن يدفع اليه منها شيئا فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتى ولا أخون أمانتى ولا أترك الوفاء الواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت الى الدروع والسلاح التى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت لأخفر ذمامى وأبطل وفائى فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال فى الوفاء تضرب بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء فى الانام ذكروا السموأل فى الاول وكم أعلا الوفاء رتبة من اعتلقه بيد وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه ومما وضع فى بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنة من الاوائل والاواخر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماها أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغنى أن شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى ترد هذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شياء فأتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة فى يحيى

بكيت

بكيت على الدنيا وزاد تأسفي • عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أمثالها وردها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندي أيادي خطيرة أفتأذن لي ان أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثوبيات لي كنت قد أعددتها لأستتر بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا يحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا بغلام أمرد قد عذر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوج وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتى به فقال له يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وأدخلني الى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي

في الدعيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير أمرني بالعطف على هذا
الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني
غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني عشرة أيام
لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاء في
خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت وا ويلاه سلبت
الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر
الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لي مهما كان لك من الحوائج
فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسناً
ونوراً واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون
في الحرير والديباج وحمل الي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين
وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة
في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما
جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في
هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في أواخر الليل أقصد
خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون علي
بعمرو بن مسعدة فلما أتي به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض
صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته
وورع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة
بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضاً من صنائع البرامكة
اذ لو لم آت خراباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري يا أمير المؤمنين ففعل بي ما فعل
فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت
عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر
ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر وقيل اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر
الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال الشاعر

متى الله اطلال الوفاء بكفه * فقد درست أعلامه ومنازله

وقال آخر

أشدد يديك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمي كنت جالساً في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة
ابن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب
وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة
والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث فخلوت معه ليلة

فقلت

فقلت له والله انى لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على
جليسك فقال ان تعش قليلا فسترى العجب فما مدة الا والأعناق نحوى متطاولة فاذا صار
الامر الى فلعلك أن تنتقل الى ركابك فلأملأن يديك فلما أفضت اليه الخلافة توجهت اليه
فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآنى أعرض عنى فقلت لعله لم يعرفنى أو عرفنى
وأظهر لى نكرة فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين مالك
ابن عمارة فقمت فأخذ بيدى وأدخلنى عليه فمد الى يده وقال انك تراءيت لى فى موضع
لا يجوز فيه الا ما رأيت فأما الآن فمرحبا وأهلا كيف كنت بعدى فأخبرته فقال لى أتذكر
ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو بميراث أوعيناه ولا أثر رويناه ولكنى أخبرك بخصال
منى سمت بها نفسى الى الموضع الذى ترى ما خنت ذا ود قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا
أعرضت عن محدث حتى ينتهى حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها
فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتى وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له يا غلام بوئه
منزلا فى الدار فأخذ الغلام بيدى وأفرد لى منزلا حسنا فكنت فى ألذ حال وأنعم بال وكان
يسمع كلامى وأسمع كلامه ثم أدخل عليه فى وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتى ويقبل على
ويحادثنى ويسائلنى مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لى عشرون ليلة فتغديت يوما
عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أى الأمرين أحب اليك
المقام عندنا مع النصفة لك فى المعاشرة أو الرجوع الى أهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين
فارقت أهلى وولدى على أنى أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرنى أمير المؤمنين اخترت
رؤيته على الأهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد فى زيارتنا
وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك أترانى قد ملأت يديك فلا خير فيمن
ينسى اذا وعد وعدا اذا شئت صحبتك السلامة ومن ذلك ما روى عن أبى بكار الأعمى وكان قد
انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرنى الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت
عنده أبا بكار الأعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت فى هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال أبو بكار نشدتك
الله الا ألحقتنى به فقلت له ما الذى حملك على هذا فقال انه أغنانى عن الناس فقلت حتى أستأمر
الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبى بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع
اضممه اليك وانظر ما كان يجرى عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد اذا أكد فى
يمينه قال لا والذى جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره فى الحروب فقال كان رحمه الله يفعل كذا وكذا

فقال المنصور عليك لعنة الله تنطق بالباطل وتترحم على عدوي فقال ان نعمة عدوك لقلادة
في عنقي لا ينزعها الا غاسلي فقال له المنصور ارجع يا شيخ فاني أشهد أنك لوفي حافظ للخير
ثم أمر له بمال فأخذه ثم قال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لأحد
بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا
مخلدا وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبابين الشام فاذا امرأة
جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فجلت شمسا عن متون غمامة فوقفنا
متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا
ثم أنشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه * يحول بهذا القبر يا فتيان
واني لأستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن ذلك ما روي عن نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنهما
ان عثمان لما قتل أصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما يعجب الرجال مني
قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء
بني كلب ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف ألف
وقال له انج بهذا فأخذه زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك ولما قدم
هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندي وديعة فأمهله
حتى آتيك بها فقال أسرعي فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت
الى السوق وأتت الى قصاب فقالت أعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها اليك
فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت
شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أتراني يا هدبة
متزوجة بعد ما ترى فقال الآن طابت نفسي بالموت فجزاك الله من حليلة وفية خيرا ونجعل
لهذا الباب من القضايا ختاما هو أوجزها كلاما وأحسنها نظاما وأبينها أحكاما وأحكاما وهي
قضية جمعت الأمرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال
شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز وربحا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر
فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما ذكره عبد الله
ابن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده رحمه الله
فقال ما معناه ان أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه
أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان من أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار
يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش
خمارويه به فأخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الأمير أبو الجيش اليه وقال له أنت
عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي أني آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء أنه لا يخونني

فعاهده

فتعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستمراً على المقام حاكماً على جميع
المماليك الخاص والعام والأمير أبو الجيش بن طولون يحسن إليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح
ومساعيه متسمة بالنجح ركن إليه واعتمد في أموره عليه فقال له يوماً يا أحمد امض إلى الحجرة
الفلانية في المجلس تحت أطلس سبحة جوهر فأتني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من
مغنيات الأمير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الأمير بمحل قريب فلما رآياه خرج الفتى
وجاءت الجارية إلى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته إلى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون
الأمير وقد أحسن إلي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف إلى الأمير وسلمها إليه
وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعدما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكرها لها
للأمير فأقامت أياماً لم يجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق أن الأمير اشترى جارية وقدمها
على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى
كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولاً مشغولاً بتلك الجارية الجائرة الخائنة الغادرة
العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغل بالجارية الجديدة المجيدة السعيدة
المسعدة الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف
لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغله بعد وبر رضاها عن ارتشاف
ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا
نصيره كبر عليها إعراضه عنها ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت
على الأمير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لإتمام كيدها ومكرها
وقالت إن أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الأمير ذلك استشاط غيظاً وغضباً وهم في الحال
بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادماً يعتمد عليه وقال له إذا أرسلت
إليك إنساناً ومعه طبق من ذهب وقال لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكاً فاقتل ذلك
الإنسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم إن الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر
عنده ندماءه الخواص وأدناهم المجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم
يخطر بخاطره شيء ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الأمير وأخذ منه الشراب شرع
في التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير
المؤمنين املأ هذا الطبق مسكاً فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية
الندماء والخواص فقاموا إليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة الأمير أمرني
بإحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في إحضارها وخذها أنت وادخل
بها على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له
امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا الطبق مسكاً فمضى ذلك الفراش
إلى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لأحمد
اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا

فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسوء الهوله الجلوس معهم وما كان من
انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا
يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت
رأيت الاعراض عن اعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من
حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنقذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش
بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل
وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع
ما يتعلق به بيديه فانظر رحمك الله الى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة
التلف بعد امضاء القواضب ويفضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لما
وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق
نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه
وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويتيح له من أنواع
رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده وقالوا ليس شيء أوفى من القرية اذا ماتت ذكرها
لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

* (الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه) *

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على
اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته
فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى
وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم وفي الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا
تكلمت به صرت أسيره واعلم أن أمناء الاسرار أقل وجودا من أمناء الأموال وحفظ
الأموال أيسر من كتمان الأسرار لأن احراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال واحراز
الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال
فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره
في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الأثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن
خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعية
والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الأمور أن
الأموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الأسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها
وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطواته وقال
أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات

وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بمبد للرجال سريرتى • ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت • عنه ملوك بنى مروان اذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم فى ديارهم • والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا • من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة • ونام عنها تولى رعيها الأسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلا أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن أحسن ما قيل فى كتمان السر قول الشاعر

ولما سرائر فى الضمير طويتها • نسى الضمير بأنها فى طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوى فقال

انى كتمت حديث ليلى لم أبح • يوما بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكا • فى حبها برشاده أو غيه
ولما سرائر فى الضمير طويتها • نسى الضمير بأنها فى طيه

وقيل كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لا خير فى آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير فى انسان لا يمسك سره قال الشاعر

ومستودعى سرا كتمت مكانه • عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة • فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال قيس بن الحطيم

أجود بمكنون التلاد وانى • بسرى عمن سالنى لضنين
وان ضيع الأقوام سرى فاننى • كتوم لأسرار العشير أمين

وقال جعفر بن عثمان

يا ذا الذى أودعنى سره • لا ترج أن تسمعه منى
لم أجره قط على فكرتى • كأنه لم يجر فى أذنى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أفشيت سرى الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدرى به أضيق وقال الأحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحدا قال اكتمه على قال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه • ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه • فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه وكان يقال أحزم الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الاحرار قبور الأسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما عرفت الذنب يوم الطلب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما الحب خان عهده * وعندي له سر وذيعا له سرا

وأين هذا من القائل

ولا تودع الأسرار أذني فانما * تصب بهن ماء في اناء مسلم

أو القائل

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الأسرار تغلو على قلبي
وأن قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي

أناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولله در المتنبي حيث قال

وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول

(الفصل الاول في الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الاشياء عقوبة البغي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وكم أوقع الغدر في المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر وينهد لصحة هذه الأسباب ما أحاطت به علوم ذوي الألباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري وتلخيص معناها

أن

أن ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع
الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني
مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي
نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة
فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا
لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى
عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد
يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار
لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة
فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أسباب الصدقة
وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما
فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع
بهما السلمي فنظر إلى خيار إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا
قال خذاه فإن نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال
أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى
رأيي قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال قبل أن
يكلمهما يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا
في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله
يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا
وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال إن الله تعالى
منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يقبل صدقته فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار رقمت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأي خزي أربح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوي الأخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط الا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الأمين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي أن أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الأمير قال لأني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر وكان كذلك لم يتم أمره وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذي الأكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شيء ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا أسقي الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضور وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها

وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر شعرها بذنبه ثم استركضه فقطعها
قطعا فقتله الله تعالى بغدره ، وتقول العرب جزاني جزاء سنمار وهو أن ازدجرد بن سابور
لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مريء فدل على ظهر
الحيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبني له جوسقا
فامتثل أمره وبنى له جوسقا كأحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار
فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت انكم توفوني أجرته لبنيته بناء يدور مع
الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني أحسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى
الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزاني جزاء سنمار ، وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم
لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله ، وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله
عنه وقتله ، وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بأمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وقتله ، وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره
وقدم المهدي عليه فقال عيسى

أينسى بنو العباس ذبي عنهم * بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها
فتحت لهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديها وعز نصيرها
أقطع أرحاما على عزيزة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الأمر في مستقره * ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الأمر الذي أستحقه * وأوسق أوساقا من الغدر عيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجأوها الى خباء اعرابي فأجارها وجعل يطعمها
ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده
ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقي كما لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * أحاليب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكى) بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها
جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه
بيتنا وربيناه ، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قومي * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغي وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثاني في السرقة والسراق) قيل مر عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا فقيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره وسرق مدني قميصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاءه فقال بكم بعته قال برأس المال وقال أكثل السلمي وكان لصا فاتكا

وإني لأستحيي من الله أن أرى * أجرجر حبلا ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنيء بعيره * وأجمال ربي في البلاد كثير

وقال الفرزدق

وإن أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة البجلي أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه أخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القشيري وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية (الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبيد الله

فلو أني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ونث رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فأنشأ يقول

فلو أن لحمي اذ وهى لعبت به * سباع كرام أو ضباع أو ذؤب
لهون وجدي أو أسلى مصيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكلب

وقيل لكسرى أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال لأنه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفي وبطن وقالوا اياك أن تعادي من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فنقلت الى أهلها وهي حبلى فولدت هجرس ابن كليب فلما كبر وثب قال

أصاب أبي خالي وما أنا بالذي • أميل وأمري بين خالي ووالدي
وأورث جساس بن مرة غصة • اذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

يا للرجال لتغلب ماله جلد • كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت أبي كليبا • وقد يرجى المرشح للذحول
غسلت العار عن جشم ابن بكر • بجساس بن مرة ذي البتول

• (بيت) •

سن العداوة آباء لنا سلفوا • فلن تبيد وللآباء أبناء

ويقال تدارعند ذلك لأحد أمرين اما الصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد

فبلغ مصمعا عني رسولي • وهل تلقى النصيح بكل وادي
تعلم ان اكثر من تناجي • وان ضحكوا اليك هم الأعادي

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج لخارجي والله اني لأبغضك قال أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عقلاء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت فقال ان الأبناء ينسبون الى الآباء لا الى الأمهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب بهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال أوّاه هلك ابني هرمز فقد قيل اذا كان في الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة في الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس فلا عيب فيه شعر

ولست براء عيب ذي الود كله • ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضى عن كل عيب كليلة • كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي المعنى قيل

وعين البغض تبرز كل عيب • وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبي حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجد وما أهون من شماتة الأعداء خصوصا اذا كانوا متاهين في نسب أو مجاورين في بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لأيوب عليه السلام أي شئ كان عليك في بلائك أشد قال شماتة الأعداء وأنشد الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداوِ غليل قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن أبي جهينة المهلبي

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال الشاعر

أبلغ أبا بكر اذا ما جئته * أن البغايا من بني مرام
أظهرن في موت النبي شماتة * وخضبن أيديهن بالعلام
فاقطع هديت أكفهن بصارم * كالبرق أومض في متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعة الا في سقوط حالك وقال الحكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * أقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

* (بيت مفرد) *

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسيء فيجلب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله في الماضين تكفينا
كاد الأعادي فلا والله ما تركوا * قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن في سر وفي علن * على مقالتنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

(الفصل الرابع في الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه شقيق في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال اعرابي الحسد داء منصف يعمل في الحاسد اكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولها غم لا ينقطع

الثانية مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق ومن ذلك ما حكي أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حرمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه إن لم أحتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به إلى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فإنه يكره رائحته ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين إن البدوي يقول عنك للناس إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال إن الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا إلى بعض عماله يقول له فيه إذا وصل إليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع إليه الكتاب وقال له امض به إلى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب إذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان فقال الوزير في نفسه إن هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأي افعل قال أعطني الكتاب فدفعه إليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وأن البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر بإحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها فقال له أنت قلت عني للناس إني أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لي به علم وإنما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم إن مدحتهم * كانوا الأكارم آباء وأجدادا

إن العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضي الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضي الله عنه رفعه أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي متسخط لفعلي غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي وقال الشاعر

أيا حاسدا لي على نعمتي * أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه * لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الأصمعي رأيت أعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلو السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضي الله عنه ألا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة * رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقال آخر

اصبر على حسد الحسو * د فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * إن لم تجد ما تأكله

وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

إني حسدت فزاد الله في حسدي * لا عاش من عاش يوما غير محسود

وقال نصر بن سيار

إني نشأت وحسادي ذوو عدد * يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما بي لما بهم * فمثل ما بي مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضي الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق إرادة حاسد وقيل لأرسطاطاليس ما بال الحسود أشد غما قال لأنه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف إلى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الأربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان

(الفصل الأول في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة البأس) قد أثنى الله تعالى على الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب إلى جهاد الأعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأي في الحرب أمام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم في سبيله

أو قطرة دمع في جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضي الله عنه يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم
السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبو بكر
الصديق رضي الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا
لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان
دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وعنه رفعه لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن
مسعود رفعه ان أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح
من الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك
رضي الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه
وسلم غيبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد
في بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما
عرفت أخي الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه
ينمى له عمله الى يوم القيمة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله
الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة
ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة (الفصل الثاني في الشجاعة وثمرتها
والحروب وتدبيرها) اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر
عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء
على ثلاثة أوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الأحداق
بالأحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثاني
اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش
ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره
القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول
بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب أصحابه ويرجي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع
نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم وهذا
أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان القاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين
ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحريم (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى عليه
في كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين
والكفار ثم افترقوا فوجد والي المعترك قطعة خوذة قدر الثلث بما حوته الرأس فقالوا انه

ثم برفط ضربا أقوى منها ولم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها فى كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل أبطال الروم اليها ليروها قالوا ومن الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر

فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا فى تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها اشياء نبدأ منها اولا بما ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة وفسر النبى صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وأفضل العدة أن تقدم بين يدى اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف ونهى عن منكر وامثال ذلك والشان كل الشان فى استجادة القواد وانتخاب الامراء واصحاب الألوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغى أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجاش صارم القلب صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الأقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى الفراغ الكتائب وجها والا رد الغنم الى الزريبة واعلم ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغى للعاقل العظيم القياد أن يكون فيه عدة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن تغير وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تاكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن ومن الحيل فى الحرب أن يبث جواسيسه فى عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوى أطماعهم فى نيل ما عنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمى بها فى جيوشهم واعلم أن الحيلة لا ترد القضاء والقدر وأن الدول اذا

رأيت ما رزقت حينا وبالا عليها وإذا أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة
وقال الحكماء إذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة ويغلب الضعيف بإقبال دولته كالبنيان
المرئي بيننا مثله فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن يكون حماة الرجال وكماة
الأبطال في القلب فإنه إذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة إلى القلب فإذا كانت
رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوي إليه كل منهزم وإذا انكسر القلب
تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر إذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين
وإذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل من انكسر قلبه فأفلح أو تراجع القلب إلا أن
يكون مكيدة من صاحب الجيش يخلي القلب قصدا وتعمدا حتى إذا توسطه العدو واشتغل
بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من أهل الحروب ويقال حبب إلى عدوك
الفرار بأن لا تتبعهم إذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى إلى عدوه والجبان مبغض
حتى إلى أمه ولما أقبل كسرى بن هرمز إلى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتي
ثبات قلبي وإصابة رأيي ونفاذ سيفي ونصرة خالقي وخرج يزيد بن عبد الملك من بعض
مقاصيره وعليه درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فأنشده مسلمة قول الحطيئة

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فقال يزيد إنما ذاك إذا حاربنا أكفاءنا وأما مثل هذا ونظرائه فلا فقام إليه مسلمة فقبله
بين عينيه وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد
عليهم بهرام جور فقال اعمدوا إلى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو
الملك ففعلوا فدنا منهما فأهويا نحوه فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر فنطحه
به فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم وقيل لم يكن
في العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له
ظباء فقال في أي موضع تريدين أن أضع هذا السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها
بالإناث وإناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية
بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة فرمى
أصل الأذن ببندقة ثم أهوى الظبي برجله إلى أذنه ليحك فرماه بنشابة فوصل أذنه
بظلفه ويقال إن من أعظم المكايد في الحرب الكمين وذلك أن الفارس لا يزال على حمية
في الدفاع وحمي الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ
يكون همه خلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان وانتقاء الأبطال ولا تغتر بقول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالألف إن أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما ترى فيه
العجب فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصراني على مدينة
وشقة من ثغور بلاد الأندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين

ألف مقاتل خيل ورجل لحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية
ابن رويمل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لى من فى عسكر المسلمين من
الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم
فلان وفلان فعد سبعة رجال فقال له انظر من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة
ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا
وهو يقول ما أبغضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المصابرة بين الفريقين لم يول
أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان
وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا
شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تتم الحرب الا ساعة
ونحن فى خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين
وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوى على
اربعين ألف مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الا ثمانية عشر نفرا وليعتبر بعمان ان
العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد فى أبطاله رجل واحد (وحكى) سيدى أبو بكر
الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضى أبا الوليد يحيى قال بينما
المنصور بن أبى عامر فى بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملأوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم
العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفى فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا
كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور ما ترى هل يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل
الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المصحفى فقال له المنصور ما سكوتك أليس فى هذا
الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الأبطال المعدودين
قال لا فحنق المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الأبطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من
الأبطال قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوأ حال فلما توسطوا
بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل
يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح
المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادى هل من
مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل
وينادى ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون
وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المصحفى فبعث اليه فحضر
فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد فقال
أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره ان شاء الله تعالى ثم قصد الى رجال يعرفهم
فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرت أوراكها هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه

على الفرس والرجل في حلبته ونفسه غير متسع فقال له ابن المنجمي ألا ترى ما يصنع
هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذي تريد قال أريد أن تكفي المسلمين شره قال حباً
وكرامة ثم أمر ونزع الغرفة بالأرض وبرز إليه غير مكترث به فما ولا ساعة فلم ير الناس
إلا المسلم خارجاً إليهم يركض ولا يدرون ما هناك وإذا برأس العلج يلعب بها في يده ثم ألقى
الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المنجمي عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن
المنجمي إلى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين (وحكي) أنه كان
للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم في زمانه وكان المستعين يكرمه
ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه
الشجاعة وتخشى لقاءه. فيحكى أن الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك
لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء. فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من
السلطان فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم إن المستعين أنشأ غزوة
إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفاً ثم برز علج إلى وسط الميدان ونادى
وقال هل من مبارز فبرز إليه فارس من المسلمين فما ولا ساعة فقتله الرومي فصاح
المشركون سروراً وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفين
وينادي هل من اثنين لواحد فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي فصاح الكفار
سروراً وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادي ويقول
ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين أن يخرج إليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان
ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى ما يصنع
هذا العلج فقال ها هو بعيني قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفي المسلمين شره فلبس قميص
كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطاً طويلاً وفي طرفه عقدة معقودة
ثم برز إليه فتعجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني
سرج ابن فتحون وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل إلى الأرض لا شيء منه في
السرج ثم انقلب في سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده
من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين أنه كان
قد أخطأ في صنعه مع أبي الوليد بن فتحون فاعتذر إليه وأكرمه وأحسن إليه وبالغ
في الإنعام عليه ورده إلى أحسن أحواله وكان من أعز الناس إليه وينبغي لقائد الجيش
أن يخفي العلامة التي هو مشهور بها فإن عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته
ولا يلزم خيمته ليلاً ولا نهاراً وليبدل زيه ويغير خيمته كيلا يلتمس عدوه غرة منه وإذا
سكن الحرب فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فإن عيون عدوه مبثوثة
عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش إفريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط
النهار فجعل مقدم العدو يمشي خارج عسكره يميز عساكر المسلمين فجاء الخبر إلى عبد الله

ابن ابى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو وقتل الملك وكان الفتح وعثل هذا انتهز الب ارسلان ملك الترك ملك الروم وقتله وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدرك لهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك الب ارسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيا الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للب ارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا أكلة جائع فبقى المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو وأمر الب ارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء فى الثور الأسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للب ارسلان بسم الله نحمل عليهم فقال الب ارسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان الب ارسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلى ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدى الب ارسلان والحبل فى عنقه فقال له الب ارسلان ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى قال وهل تشك أننى كنت أقتلك فقال له الب ارسلان أنت أقل فى عينى من أن أقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل فى عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيئا حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذى ينادى عليه فأخذ الكلب وأتى بهما الى الب ارسلان وقال قد

طفت

طفت به جميع العسكر فنادت عليه فلم يبذل أحد فيه شيأ سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد أنصفك ان الكلب خير منه ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك باطلاقه فذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار فانظر ماذا يأتي على الرجال اذا شرعوا في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين واخذل الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

الباب الحادي والاربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن

(الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام) حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسد رسوله قتل في غزاة أحد رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع ومثل قتله على النبي صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة • أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد بالتأييد الالهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روي عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي وقيل له كرم الله وجهه اذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف كنت تقتل الأبطال قال لأني كنت ألقى الرجل فأقدر اني أقتله ويقدر هو أني قاتله فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي الله عنه حذرا في الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال اذا أمكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه ان أبقى علي قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله تعالى عليه غدرة وهو في صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقنع الا بصداق أسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل علي بن أبي طالب فقال لها لك ما سألت الا علي بن أبي طالب وكيف لي به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المخذم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا • ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس وذلك في تاسع عشر رمضان المعظم سنة
أربعين وكفن رضي الله عنه في ثلاثة أثواب ودفن في الرحبة مما يلي باب كندة من أبواب
المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله
عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فأخذه فأومأ علي
رضي الله عنه الى المغيرة أن صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على علي فقالوا
يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس
قال ثم ان الحسن رضي الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم
انطلق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأني أحتسب عند الله عز وجل مصابي بأفضل
الآباء رسول الله القائل صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته في فانها أعظم
المصائب والله الذي لا اله الا هو الذي أنزل على عبده الفرقان لقد قبض في هذه الليلة
رجل ما سبقه الأولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الآخرون فعند الله
نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الا حقا لقد
دخلت مصيبة اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض في الليلة التي
رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون
عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبعثه في السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى
يفتح الله عز وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع
بها خادما لأهله الا ان أمور الله تعالى تجري على أحوالها فما أحسنها من الله وأسوأها من
أنفسكم ألا ان قريشا أعطت أزمتها شيطانها فقادتها بأعنتها الى النار فمنهم من قاتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضغينة حتى
وجد على النفاق أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى في كتاب قد خلا ثم أطرق
الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر وأصابعه
على أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن اني ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت
عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلته فان خليتني أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع
يدي على يدك وان أقتل فهو الذي تريد فقال الحسن رضي الله عنه أما والله لا سبيل الى
بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله • ومن
الأبطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي رضي الله عنه سيف الله وسيف رسوله صلى
الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور في الجاهلية والإسلام قتل مالك بن نويرة
وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذي فتح دمشق

وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة في الروم أيد الله بها الإسلام مات على فراشه وكان
يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه أثر من طعنة أو ضربة
أو رمية وها أنا أموت على فراشي لا نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لا ترعبونا بالسيوف المبرقة ● إن السهام بالردى مفوقة
والحرب دونها العقال مطلقة ● وخالد من دينه على ثقة

رضي الله عنه ● الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن
عمته بطل شجاع لا يمارى وسهم لا يبارى قتله عمرو بن جرموز اغتيالا وهو في الصلاة ●
عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن
مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام وشهد حروب الفرس وكان له بها أفعال
عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رآه قال الحمد لله
الذي خلقنا وخلق عمرا وروي عنه رضي الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمرو أي السلاح
أفضل في الحرب قال فعن أيها تسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال
فما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول في الترس قال هو الدائر وعليه تدور
الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل إنه نزل بعد القادسية
على النهر فقال لأصحابه إني عابر على هذا الجسر فإن أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني
وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عرقني القوم وأنا قائم بينهم وإن أبطأتم وجدتموني
قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم
والله ما نظن أنكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس
رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس ليضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى
الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني فقالوا أين
فرسك فقال رمي بنشابة فنفر ووثب فصرعني ويروى أنه حمل يوم القادسية على
رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله
عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع
خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزم العجم وقتل عمرو بها وقيل في وقعة الفرس
بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئي ● زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

طليحة الأسدي رضي الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية وإسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا
عظيما فقتل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد إلى الإسلام وشهد حرب القادسية وغيرها
من الفتوح ● المقداد بن الأسود رضي الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوي
الجنان رابط الجأش وله في الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف
صفاته رضي الله عنه وأرضاه ● سعد بن أبي وقاص الزهري الأنصاري رضي الله عنه كان

فارسا بطلا راميا وهو اول من رمى فى سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف أنفه * أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام انها لمشية يبغضها الله تعالى إلا فى هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه هو اول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية * عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع على رضى الله عنه * هاشم بن عتبة رضى الله عنه من كابر الشجعان صاحب راية على رضى الله عنه بصفين * مالك بن الحارث النخعى الأشتر رضى الله عنه مات مسموما فى شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل فى عشية القادسية رضى الله عنه (الطبقة الثانية) عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذى كان يرى أنه اشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبى مليكة صف لى عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا الى الله مصير الامور * أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب ابن الحنفية رضى الله عنه كان أبوه يلقيه فى الوقائع ويتقى به العظائم وهو شديد البطش ثابت الجنان قيل له يوما ما بال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لانهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالأخرى على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف أنفه بشعب رضوى * عبد الله ابن خازم السلمى رضى الله عنه والى خراسان شجيع مضر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن أبى سويد بخراسان فى الفتنة * وكيع بن أبى سويد قاتل عبد الله بن خازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والى خراسان قيل لما قتل عبد الله بن خازم ولم يتم أمره طوحه مات حتف أنفه * مصعب ابن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبيد الله بن زياد فى الحروب التى كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمى فارس الاسلام قتله بنو تغلب فى الحرب التى كانت بينهم وبين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بنى أمية وفارسها ووالى حروبها فيكى انه جلس يوما ليقضى بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها

فقالت

فقالت ما رأيت أقل حياء من هذا إنه كشف عن ساقه فإذا فيها أثر تسع طعنات فقال
لها قد تربين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن وما
منعني من تأخيرها إلا الحياء وأنت تخطبيني قبله * المعتصم بطل شجاع فارس شديد لم يكن
في بني العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن أبي داود كان المعتصم يقول لي يا أبا عبد الله
عض على ساعدي بأكثر قوتك فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك فيقول
إنه لا يضرني فأروم ذلك فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فكيف تعمل فيه الأسنان وقيل إنه
طعنه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده
على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا في العنق * إبراهيم
بن الأشتر النخعي كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو في أربعة
آلاف وعبيد الله في سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر
الجعفي شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار في الشجاعة مشهورة * جحدر
بن ربيعة العكلي كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا فقهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ
ذلك الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى
يقتله أو يحمله إليه أسيرا فوجه العامل إليه فتية من بني حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما
إن هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية في طلبه حتى إذا كانوا قريبا منه أرسلوا
يقولون له إنهم يريدون الانقطاع إليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن إلى قولهم
فبينما هو معهم يوما إذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجهه إلى الحجاج
معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الأمير
قال ما جرأك على ما بلغني عنك قال أصلح الله الأمير كلب الزمان وجفوة السلطان وجرأة
الجنان قال وما بلغ من أمرك قال لو ابتلاني الأمير وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه
قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر إني قاذف بك في حاير فيه
أسد عظيم فإن قتلك كفانا مؤونتك وإن قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الأمير قرب
الفرج إن شاء الله تعالى فأمر به فصفدوه بالحديد ثم كتب إلى عامله أن يرتاد له أسدا
ويحمله إليه فتقبل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى عامة المواشي فتحيلوا
حتى أخذوه وسايروه في تابوت وحملوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقي
في الحاير ولم يطعم شيئا ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزلوه إليه فأعطوه
سيفا وأنزلوه إليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع
بجحدر فلما نظر الأسد إلى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة ذهبت منها الجنان
وارتاعت أهل الأرض فشد عليه جحدر وهو ينشد ويقول

ليث وليث في مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وسفك * وصولة وبطشة وفتك
إن يكشف الله قناع الشك * فأنت لي في قبضتي وملكي *

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فاخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك ونقرب منزلتك واما أن نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثا ولا تؤذي بها أحدا قال بل أختار صحبتك أيها الامير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث أن ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب بن أبي صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة وأولاده كلهم أنجاد أبطال الا أن المغيرة من بينهم كان أشجعهم وكان المهلب يقول ما شهد معي حربا الا رأيت البشرى في وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفي يده مجرة فلما رآها انكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر ما لقي خيلا قط الا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط في كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب في الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا أكرميا مات حتف أنفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الأعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه فمنهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم الفين * وشبيب الخارجي الذي عرف والغزالة نذرت امرأته غزالة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في الاولى البقرة وفي الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات ودخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها وأرعب الحجاج في الكوفة في خمسين الفا * ومنهم قطري بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه يا أمير المؤمنين وعظموه وبجلوه وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها قتل في بعض وقائع الخوارج (الطبقة الثالثة) معن بن زائدة الشيباني قتله الخوارج بسجستان في أيام المهدي * الوليد بن طريف الشيباني قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيفة كان من الفرسان المعدودة نقل عنه أنه كان يتصيد فتبع حمار وحش وما زال يركض الى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق في غيره طعن فارسين رديفين فانفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا اذا انتظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيئا فقال له أتسأل وحدك القائل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وانا لنلهو بالسيوف كما لهت • فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

فخرج الرجل لجز رقبته فلم يصادفه فى طريقه الا وكيل لأبى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال زعموا أنى عليه على نفسى • بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فانه له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة (ومما جاء فى مدح السيف) قال رسول صلى الله عليه وسلم الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف • وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ما خانني يوم مشهد • كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

خليلى لم أخنه ولم يخنى • اذا ما صاب أوساط العظام
خليلى لم أهبه من قلاء • ولكن المواهب للكرام
حبوت به كريما من قريش • فسر به وصين عن اللئام
وودعت الصفى صفى نفسى • على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمهدى والمنصور فلم يجدوه وجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم • ذكر يمان فى يمين يمانى

وقال ابن الرومى

لم أر شيأ حاضرا نفعه • للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته • والسيف يحميه من الحيف

وقال زيد بن على رضى الله عنهما

السيف يعرف عزمى عند هزته • والرمح بى خبر والله لى وزر
انا لنأمل ما كانت أوائلنا • من قبل تأمله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر

تبيت صبيح السيف طورا وتارة • بعض هامات الرجال مضاربه
أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا • وفوق رضاه أننى أنا صاحبه
وليس أخو العلياء الا فتى له • بما كلفت ما تستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير فقال له رده على فانه السيف الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال نعم قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

وقال الأجدع الهمدانى

لقد علمت نسوان جرم بأنني * لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني * له في سوى الهيجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون ألف فتى ما منهم أحد * إلا كألف فتى مقدامة بطل
راحت مزاودهم مملوءة أملا * ففرغوها وأوكوها من الأجل

(ومن أخبار الشجعان ما حكاه المفضل بن يزيد) قال نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب أن أسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم إذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله في حسنه وجماله له ذوائب كالسبج المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن إليه الأسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أي بني وهو يتبسم في وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد علي السلام فوقفت أنظر إليهما فقالت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضري إن شئت سقت إليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل أن أضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى فضل الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه فربي كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخرة قومه وآبائه وأجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحي الخيلاء فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثأرهم وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون ما هو إلا أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو وقاموا الأخبية حتى أحرزوا الأموال دون أهلها وهو يسألني عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر إشفاقا عليه وضنا به حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الأسد وأمر بإسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى إذا أمدهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقتل كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم ونادى خلوا عن المال فوالله لا رجعت إلا به أو لأهلكن دونه فانصرفت إليه الأقران وتمايلت

بنحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الأسنة وتطفوا عليه بالأعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الاحطم ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوه فتيان الحي هذه الأبيات

تأملن فعلي هل رأيتن مثله * اذا احشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كأنه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه * من السمهري اللدن والمرهف العضب
أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك * سليل المعالي والمكارم والنسب
أبى لي أن أعطي الظلامة مرهف * وطرف قوي الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده الـ * جبال الرواسي لانحططن الى الترب
وعرض نقي أتقي أن أعيبه * وبيت شريف في ذرى تغلب الغلب
فان لم أقاتل دونكن وأحتمي * لكن وأحميكن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتي مشين الى أبي * فبشرنه بالفارس البطل الندب

وقال الشاعر

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

وقال آخر

فوارس قوالون للخيل أقدمي * وليس على غير الرؤس مجال
بأيديهم سمر العوالي كأنما * تشب على أطرافهن ذبال

وقال آخر

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا

(ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم) قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال في وصف الجبان ان أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمي عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان
في قاع أطم مع النساء يوم الخندق فأتاهم في ذلك اليوم يهودي يطوف بالحصن فقالت صفية
بنت عبد المطلب رضي الله عنها يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن واني والله
ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت
عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاحتجزت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت
من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه
فانه ما منعني من سلبه الا انه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة وقيل كان لفتى من قريش
جارية مليحة الوجه حسنة الأدب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج
الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت
منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فانزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل يوما على
الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها
فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدري أين هي وبلغ
الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادي برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم
يحضرها فلم يلبث أن أتي له بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من أحب الناس الي
فاخترت لك ابن عمي شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت أنك شغفت به فوهبتك
له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت قال هاتي ولا تخفي شيئا
قالت كنت للفتى القرشي فاحتاج الى ثمني فحملني الى الكوفة فلما قربنا منها دنا مني فوقع علي
فسمع زئير الأسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل
علي وما برد ما عنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام
الي فلما علا بطني وقعت فأرة من السقف فضرط ثم غشي عليه فمكث زمانا طويلا وأنا أرش
عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمني به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه
من شدة الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به أحدا قالت على أن لا تردني اليه قال
لك ذلك وحدث جار لأبي حنيفة النميري قال كان لأبي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا
فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته
وقد سمع حسا في داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك
خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذي سمعت به أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل
بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا
وكفانا حربا وخرج المعتصم يوما الى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه
قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان
ورأى الاسكندر رجلا سميا له لا يزال ينهزم فقال له يا رجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك ووقع
في بعض العساكر صيحة فوثب خراساني الى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش وقال لها

الفرس هب جبهتك عرضت فما صينك كيف طالت وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه ابن أبي زياد فقال لئن يذمني ابن أبي زياد حيا أحب الي من أن يمدحني ميتا وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فتكلم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك يقول بعضهم (شعرا)

يقول بنيان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الأعوجيات في الوغى * أنا نازل منهم كل ليث مناهز
ففي الكر قيس وابن معدى وعامر * وفي الصبور لقاه كبعض العجائز

وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني والأربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول

(الفصل الأول في المدح والثناء) المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها وكونه حامدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الأخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا أنه حثى في وجه مادح ترابا وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ في الرد عليه والثاني أن يقال له بفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الدئلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي أمره عمر رضي الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقوله يا سارية الجبل فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد

وهو أصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضي الله عنه قوله

وأحسن منك لم تر قط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

ولما جئت وزرته صلى الله عليه وسلم تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكي من عظمها

يا سيد السادات جئتك قاصدا • أرجو رضاك وأحتمي بحماكا

والله يا خير الخلائق إن لي • قلبا مشوقا لا يروم سواكا

وبحق جاهك إنني بك مغرم • والله يعلم أنني أهواكا

أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ • كلا ولا خلق الورى لولاكا

أنت الذي من نورك البدر اكتسى • والشمس مشرقة بنور بهاكا

أنت الذي لما رفعت إلى السما • بك قد سمت وتزينت لسراكا

أنت الذي ناداك ربك مرحبا • ولقد دعاك لقربه وحباكا

أنت الذي فينا سألت شفاعة • ناداك ربك لم تكن لسواكا

أنت الذي لما توسل آدم • من ذنبه بك فاز وهو أباكا

وبك الخليل دعا فعادت ناره • بردا وقد خمدت بنور سناكا

ودعاك أيوب لضر مسه • فأزيل عنه الضر حين دعاكا

وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا • بصفات حسنك مادحا لعلاكا

وكذاك موسى لم يزل متوسلا • بك في القيامة محتم بحماكا

والأنبياء وكل خلق في الورى • والرسل والأملاك تحت لواكا

لك معجزات أعجزت كل الورى • وفضائل جلت فليس تحاكى

نطق الذراع بسمه لك معلنا • والضب قد لباك حين أتاكا

والذئب جاءك والغزالة قد أتت • بك تستجير وتحتمي بحماكا

وكذا الوحوش أتت إليك وسلمت • وشكا البعير إليك حين رآكا

ودعوت أشجارا أتتك مطيعة • وسعت إليك مجيبة لنداكا

والماء فاض براحتيك وسبحت • صم الحصى بالفضل في يمناكا

وعليك ظللت الغمامة في الورى • والجذع حن إلى كريم لقاكا

وكذاك لا أثر لمشيك في الثرى • والصخر قد غاصت به قدماكا

وشفيت ذا العاهات من أمراضه • وملأت كل الأرض من جدواكا

ورددت عين قتادة بعد العمى • وابن الحصين شفيته بشفاكا

وكذا حبيب وابن عفرا عندما • جرحا شفيتهما بلمس يداكا

وعلي من رمد به داويته • في خيبر فشفي بطيب لماكا

وسألت ربك في ابن جابر بعدما • قد مات أحياه وقد أرضاكا

ومسست شاة لأم معبد بعدما • نشفت فدرت من شفا رقياكا

ودعوت عام القحط ربك معلنا • فانهل قطر السحب عند دعاكا

ودعوت كل الخلق فانقاد الالى * دعواك طوعا سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هناكا
أعداك عادوا فى القليب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا
فى يوم بدر وقد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجملا * وجمال يوسف من ضياء سناكا
قد فقت يا طه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذى سواكا
والله يا ياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نباكا
عن وصفك الشعراء يا مدثر * عجزوا وكلوا عن صفات علاكا
انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وما عسى * أن يجمع الكتاب من معناكا
والله لو أن البحار مدادهم * والعشب أقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * أبدا وما استطاعوا له ادراكا
لى فيك قلب مغرم يا سيدى * وحشاشة محشوة بهواكا
فاذا سكت ففيك صمتى كله * واذا نطقت فمادح علياكا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى الاكا
يا مالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغناكا
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى * جد لى بجودك وارضنى برضاكا
أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الأنام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا متمسكا بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا لحماك نال وفاكا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لواكا
صلى عليك الله يا خير الورى * ما حن مشتاق الى مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاكا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصف من مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والأشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان أرأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذى لا يخفى

الى حيث انتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك وقال الحارث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه • ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاة الخير فى عينه قذى • ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لا يذم بلد أنت تأويه ولا يشتكى زمان أنت فيه وكان الحجاج يستقذر زياد بن عمرو العتكى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لأبى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم • تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة • سدوا شعاع الشمس بالفرسان

وقال أوس فى حاتم الطائى

فان تكن مات الخير حاتما • فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه • فكاك أسير أو معونة غارم

وقال ابن حمدون فى آل المهلب

آل المهلب معشر أمجاد • ورثوا المكارم والوفاء فسادوا
شاد المهلب ما بنى آباؤه • وأتى بنوه ما بناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس نبته • وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها • ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما • ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا وقال سرى بن عبد الرحمن الرفاء فى خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذى دانت له • قحطان قاطبة وساد نزارا
انى لأرجو ان لعبتك سالما • أن لا أعالج بعدك الاسفارا

وقال كعب بن مالك الانصارى فى آل هاشم

يا آل هاشم الاله حباكم • ما ليس يبلغه اللسان المقول
قوم لأصلهم السيادة كلها • قدما وفرعهم النبى المرسل

وقال الحسين بن دعبل الخزاعى

ملك الأمور بجوده وحسامه • شرفا يقود عدوه بزمامه

فأطاع أمر الجود في أمواله * وأطاع أمر الله في أحكامه

وقال آخر

يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
واذا تراءى شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتني الأعداء ان لم تنحري

وقال شاعر بني تميم

اذا اليسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أناروا
يبيع ويشتري لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بني تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بني نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها يجمعون من ذا الذي يقول

لعمري ما رماح بني نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الأعجم قالت اشهدكم أن له الثلث من مالي وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا احدث وأحسنهم استماعا اذا احدث وأمسكهم عن الملاحاة اذا خولف يعطي صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة وعلى العلا مقصورة كالذهب الابريز الذي يعز كل أوان والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل مكان هو النجم المضيء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هاني

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الألفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذي نعني

وله في الفضل بن الربيع

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما أن ترى خلفها الأبصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * بجود كفك تأسو كلما جرحا

وقال زياد الأعجم في محمد بن القاسم الثقفي

ان المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * يا قرب سورة سودد من مولد

ومن بدائع مدائح المتنبي قوله

ليت المدائح تستوفي مناقبه * فما كليب وأهل الأعصر الأول
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

وقد مدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى أنه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان

أحدكم يا شيبا ليمدحنا فيتغزل في قصيدة ثم بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال

اني أمنت من الزمان وصرفه • لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله • جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لأنها • قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا • واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشدها الأمير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فأنشد قصيدته التي منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا • فأي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله • ويعلم أن الدائرات تدور
فما فاته جود ولا حل دونه • ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب طربا وأمر له بألف دينار ووصيف ووصيفة (وحكي) أن أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للأخرى هذا أبو دلف قالت نعم الذي يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف • بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف • ولت الدنيا على أثره

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخي تبكي فقال لأني لم أقض حق الذي قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله ما في نفسي حسرة الا لكوني لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال بعضهم

اذا ما المدح صار بلا نوال • من الممدوح كان هو السهاما

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن حيوش محمد بن نصر صاحب حلب فأجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لا زهادة • وسرت اليكم حين مسني الضر
فجاد أبو نصر بألف تصرمت • واني عليم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار في طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمذاني انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا • لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت • والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقال آخر

أخو كرم يقضي الورى من بنانه • الى روض مجد بالسماح مجود

وكم بحباء الراغبين لديه من * مجال سجود في مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله وزميل الكرم ونزيله وعزة الدهر وتحجيله مواهبه الاء نواله وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وعونه مبذول للضعيف يطفوجوده على موجوده وهمته على قدرته بنابيع الجود تنفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كريما فجوده مستقيل وجوده أو ماجدا في أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاحجام عارا لا تمحوه الأيام له خلق لو مازج البحر لنفى ملوحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار أطيب من زمن الورد في الأيام وأبهج من نور البدر في الظلام خلق يجمع الأهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء المتشتتة في مودته هو ملح الأرض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كأنما أوحي التوفيق الى صدره وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يغبت بالكلام ويقوده بألين زمام حتى كان الألفاظ تتحاسد في التسابق الى خواطره والمعاني تتغاير في الامتثال لأوامره يوجز فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر أو أيبس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس فهو اذا أنشأ وشى واذا عبر حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الأيام وباهت في يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوي الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بنباته
أو قابل الأفلاك طالع سعده * ما سار نحس في نجوم سمائه

وقال آخر

ووجهك بدر في الغياهب مشرق * وكفك في شهب السنين غمام
عجيب لبدر لا يزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الأسدي

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندا * ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الأرض معدم

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

والله ما عجبي لقدرك انه * قدر على باغي مداه بعيد

الا ليكونك تشتبكو وحشة * في هذه الدنيا وانت وحيد

ولصفي الدين الحلي

أثني فتثنيني صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أنني والخلق جمعا ألسن * نثني عليك لما قضينا الواجبا

وللشيخ برهان الدين القيراطي

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر في الأفق
كأحاديث الندا عنكم * تسندها الركبان من طرق

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

روت عنك أخبار المعالي محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

وقال غيره

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروي أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولأبي فراس بن حمدان

لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

وقال آخر

ان الهبات التي جاد الكرام بها * مطروقة ونداكفيك مبتكر
مازلت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مختصر

ولمحمد بن مناذر في آل برمك

أتانا بنو الأملاك من آل برمك * فيا طيب أخبار ويا حسن منظر
لهم رحلة في كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المستر
اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وأقدامهم الا لسعي منظر
اذا رام يحيى الأمر ذلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعري أي قوم أجدبوا * فأغيثوا بك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا * وحرمناك بذنب قد سلف
يا أبا اسحاق سر في دعة * وامض محمودا فما منك خلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

وقال آخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فأنتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الأسدي في المهدي

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم * ما كان في الناس الا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة * في السود طرا اذن لابيضت السود

وقال آخر

أوليتني نعما وفضلا زائدا * وبررتني حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ما كنت الا راكعا لك ساجدا

وقال آخر

شذا ذكرك في الدنيا من المسك أعطر * وحظك في الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والأنامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر
أعيذك بالرحمن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تغبى وتصغر
لساني قصير في مديحك سيدي * لأني فقير والفقير مقصر

(الفصل الثاني من هذا الباب في شكر النعمة) أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والأرض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل على أن الشكر محله القلب رده والمعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي أيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام قال الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر ولمحمود الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الأيام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الأجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الأوهام والستر والجهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكره لي وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر وأما الشكر الذي على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا * وروى

ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً وقال أبو هارون دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيراً ذكرته واذا رأيت بهما شراً سترته قلت فما شكر الأذنين قال اذا سمعت بهما خيراً حفظته واذا سمعت بهما شراً نسيته وفي حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعاً الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر فاذا رأينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا أنه قد أخل بالشكر اما انه لا يزكي ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقاً واجباً عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع او شبه ذلك فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطى أربعاً لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعى الى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فأعتق رقبة شكراً لله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم ويروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبي الله أنا على قدري أشكر لله منك وكان راكباً على فرس ذلول فخر عنه ساجداً لله تعالى ثم قال لولا أني أجلك لسألتك أن تنزع مني ما أعطيتني وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقالت يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكره وأشكر له منك على ما آتاك وقال علي رضي الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة في المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضي بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر

ولو أن لي في كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروي اذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الأشياء قال مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الأعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد همنا أن نصلك بخير فتدافعته الأمور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر ابن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لأشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا ألومك اذ لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال أبو فراس بن حمدان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذي شكر بمانعتي أخرى
سآتي جميلا ما حييت فانني * اذا لم أفد شكرا أفدت بها أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الأرض السبخة والفاحش فانه يرى أن الذي صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والأحمق فانه لا يعرف قدر ما اسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلم يا فخر كل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الأرض
شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضي
وأحييت لي ذكري وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر ابن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكره له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم اني أنعمت على بني سالم فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطي الصائم القائم اذ ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن علي ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء أخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى رجل رجلا اعرابيا خيرا فقال لا أبلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وانشد بعضهم وأجاد

ساشكر لا أني أجازيك منعما * بشكري ولكن كي يزاد لك الشكر
وأذكر أياما لدي اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال آخر

أوليتني نعما أبوح بشكرها * وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمي في قبرها

وقال آخر

أيا رب قد أحسنت عودا وبدأة * الى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذري اقراري بأن ليس لي عذر

وقال محمود الوراق

الهي لك الحمد الذي أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا
ان ازددت تقصيرا تزدني تفضلا * كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب في وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة

(الفصل الثالث من هذا الباب في المكافأة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركتنا كفيناك فقال انهم كانوا لأصحابي مكرمين وقيل أتى رجل من الأنصار الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال

اذكر حنيني اذ فاجاك ذو سفه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر بأعلى صوته أدن مني فدنا منه فأخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا ان هذا ردعني سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد في عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدي عندك بيضاء قال وما هي قال ركبت بك فرسك فتقدمت اليك فيل عماتك فأخذت

بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فأين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتي ألف درهم وبما يملكه الحاجب اذ حجبك عنا * وقال قطري بن الفجاءة لخارجي أسره الحجاج ثم من عليه فأطلقه عاود قتال عدو الله فقال هيهات شد بالمطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بأنها مولاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * في الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جار علي لا اني اذا * لأحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الأقوام أن صنائعا * غرست لدي فحنظلت نخلاته

واجتاز الشافعي رحمه الله تعالى بمصر في سوق الحذائين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله اياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبي فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فلا يزل * في عصبة من صالحي الأنصار
البائعين نفوسهم لنبيهم * بالمشرفي وبالقنا الخطار
الناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الأبصار

فقام أنصاري فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة علي له ستون من الابل كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندي ستون ألفا وستون من الابل وعن علي كرم الله وجهه أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم وقال المدائني رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا في سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشي الناس فكان حقا على الله أن يرجلني حيث يركب الناس * ومما جاء في المكافأة ما حكي عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبي خالد الأحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بني ان لأبيك مع أبي هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلي هذا فذكرني أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الأحول قال نعم يا بني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتد بي الأمر الى أن قال لي من في منزلي انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيء نقتات به قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الي فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلي وقلت انفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس

وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأمس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر إلي نظرا شديدا وما أجابني جوابا فرجعت الى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الأمر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين فلم ألتفت لقوله فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة الأول ثم استقبلني حاجب أبي خالد فقال أين تكون قد أمرني أبو خالد بإجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان الحناطين فأحضر فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهني فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الأمر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك أن نبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيداني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فادفعا اليه المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فأصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أني أعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك رضي الله عنه وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكي) عن عباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا

قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك
خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها
وخرجوا علينا حتى ان الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت
فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفى فما زلت
أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره
فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك أدخل الدار فدخلت فقالت زوجته أدخل
تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال
معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك
المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة وزجرتهم فانصرفوا وخرج
الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملنى رجلاى من شدة الخوف
فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد
صرف الله عنك شرهم وصرت الى الأمن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله
خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شئ
ولم يفتر عن تفقد أحوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى أن
سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى
فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم
أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى
ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد
فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على
هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت
قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى
أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فأقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما
كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة
وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا
ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى
بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع
الى نسخة ما فى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه
وقال اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران
الىّ من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفى
بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من
يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من

الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت
وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وإنما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني
ثم لم يزل يذكرني تفاصيل الأسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم
قلت له فما الذي أصارك إلى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في
أيامك فنسبت إلي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت
إلى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي إلى أمير المؤمنين وأمري عنده عظيم وخطبي لديه
جسيم وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف
إلى أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضره
لي حتى أوصيه بما أريد فإن أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لي بوفاء عهدك
قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضرت حدادا في الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من
الأنكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج إليه ثم سير من يحضر إليه غلامه
فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بالفرس الفلاني والفرس
الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة
كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف درهم
وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه إلى حد الأنبار
فقلت له إن ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطبي جسيم وإن أنت احتججت بأني هربت بعث
أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل فقال لي انج بنفسك ودعني أدبر أمري
فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فإن احتجت إلى حضوري
حضرت فقال لصاحب الشرطة إذا كان الأمر على ما يقول فليكن في موضع كذا فإن أنا
سلمت في غداة غد أعلمته وإن أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله
أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في إخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة
وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم
أفرغ من صلاة الصبح إلا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات
الرجل معك وقم قال فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين فإذا هو جالس وعليه ثيابه وهو
ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني
فقال لله علي عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين
ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري قال قل فقلت
يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أني
أريد أن أفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين
أمرين إما أن يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد
تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك

خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتني
خبره لكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه حاضر وقد حلف أن لا يبرح
حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الأولى
اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت
اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على
السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين
أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه أعمال دمشق
فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر
بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به
واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون
وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتاب يقول لى يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى
أعلم * ومن عجائب هذا الأسلوب وغرائبه ما أورده محمد بن القاسم الأنبارى رحمه الله
تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة
المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية
كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذنى النوم
فنهضت وأمرت ببغلة لى فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل
لى ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعنى
فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء
ثم رجعت الى باب الأنبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت
فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها
منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت
صلاتى اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس
الى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك
بشئ فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبى فباعه وخرج
الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت
صاحب هذه الدار لأسأله شيأ يصلنى به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لأبى فقلت
ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له يا هذا ا
ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء بى فأقعده بين يديك
ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى
ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشئ أظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه
فأذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فأعجبه ذلك وأمر لى بألفى دينار فأحضرت

فقال ادفعها الى الأعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلي فاذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الأعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الأعمى فدفعت اليه الألفي دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأني على ابتداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالي فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ما حكاه القاضي يحيى بن أكثم رحمه الله تعالى عليه قال دخلت يوما على الخليفة هارون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الأبرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قصية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترى ما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا أهتدي الى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقرب به فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست اذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت اضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذي رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه

حتى

حتى اذا ما الليل زال غيهبه * عند الصباح فى الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبى فأنخته وركبته وجنبت بكرى فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادى
الا تخبرنى بالله خالقنا * من ذا الذى جاد بالمعروف فى الوادى
وارجع حميدا فقد أبلغتنا منا * بوركت من ذى سنام رائح غادى

فالتفت البكر الى وهو يقول

أنا الشجاع الذى ألفيتنى رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادى
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بأنكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منى لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادى

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع * والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وقد انتهى النصف الاول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف
والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكان تمام
طبعه بمطبعة الحجر بمصر المحروسة الكائنة
بالموسكى على يد كاتبه الفقير الى
مولاه محجوب حسن
الشهدى
غفر له



هذا فهرست ما في النصف الثاني من كتاب المستطرف في كل
فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها
في ديباجة الكتاب وهي اربعة وثمانون
بابا منها في هذا النصف اثنان
واربعون كما هو موضوع بهذا
الفهرست المجعول للاستدلال
على اي باب من الابواب
او فصل من
الفصول
في اي
صحيفة
منه
م

فهرست الجزء الثاني من كتاب المستطرف

تمت الفهرست

الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل
فن مستظرف تأليف الامام الاوحد
العالم العلامة اللوذعى
الفهامة الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيهى تغمده الله
بالرحمة والرضوانه
آمين
٢



بسم الله الرحمن الرحيم

* (الباب الثالث والاربعون في الهجاء ومقدماته) *

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفي بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فكم مذموم بذميم وقد هجي الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارتجالا قال المتوكل لأبي العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضي الله تعالى عن عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل في المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين

اني من القوم الذين هم هم * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعري متى كنت خاملا وفي حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله اني قلت

ولست وان أطنبت في وصف جعفر * بأول انسان خرى في ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روي أن الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاي اليوم أن لا تكلما * بسوء فلا أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بأمه فقال

تنحي فاجلسي عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسرّ الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أم مُدحت فقال له الأحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لأخزان هجوتنى أتموت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساقى الى حلقى فى حر أمك قال ولم تركت رأسك قال لأنظر ما تصنع وأنا أقول انما تخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لأحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير ألف * يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا فى وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودى
فالحش أنت له وذا المسجد * كم بين موضع مسلح ومسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الأثر

وقال المبرد فى حقه لم يجمع لأحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد شعرا

قل للأمين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذيب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه أيضا

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم
ان حمادا عجرد * شيخ سوء قد اغتلم
بين فخذيه حربة * فى غلاف من الأدم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الأبيات فأمر الأمين باخراج حماد * وقال رجل لأخيه لأبويه لأهجونك هجاء

يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وأبوك أبى وأمك أمى قال أقول شعر

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

فدخل يعقوب على المهدى فأخبره أن بشارا هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر الى البصرة لينظر فى أمرها فسمع أذانا فى ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى فى سفينة فقال عين الشمقمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى فى سفينه

فلما مات ألقيت جثته فى الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الأذى منه وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضى فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتنى دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما دحض الله لى حجة * ولا خيب الله لى قافيه
ومن خفت من جوره فى القضا * فلست أخافك يا عافيه

فقال عافية لأشكونك الى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتنى قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لأنك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدى وعنده اسماعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس ابن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله لئن لم تهج واحدا من فى هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من أن أهجو نفسى فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه وقال ابن الأعرابى ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب فى محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم الفجر فقال يهدم العمر ويوجب أجرة المنزل ويشحب الألوان ويقرب من الكتان ويضل السارى ويبين السارق ويفضح العاشق ولابن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره

انظر الى الأيام كيف تسوقنا * قسرا الى الأقدار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان

وكان للوجيه بن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وجهة تتضرم
فما هو إلا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الأديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الأسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالأقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والأرض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها * وترابها كالرمل في خشناتها
والبوم عاكفة على أرجائها * والدود تبحث في ثرى عرصاتها
والجن تأتيها إذا جن الدجى * تحكي الخيول الجرد في حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى إلى نفحاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها

لا تمزقوا بها اسمها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا انتدب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلى * يارازقا للوحش في فلواتها
أسكنتني بجهنم الدنيا ففي * أخراي هب لي الخلد في جناتها
واجمع بمن أهواه شملي عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم في بلان

أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهري فأدماني
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البديوي في بلان أيضا

وبلان له ظفر يباهي * به حد الشفار المرهفات
عرى جسمي فألبسه نجيعا * على حلل السنور السابلات
ورام يلين أعضاي برفق * فأيبسها وكسر فوق ما ت
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
وأعمى مقلتي بصابون ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهي مثل هذا * يغسلني اذا ما حانت وفاتي

ولبعضهم في حمام

وحمام دخلناه لأمر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبي يعلى الهاشمي البغدادي في نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يا نظام الملك أني * أعاود من ذراك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهي نهب * بأفواه السقاة وما وردت
يدل على فعالك سوء حالي * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ما ذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

ومن عرض بالهجو في شعره الخوارزمي قال في أبي جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفي
فان أنت أنجزت لي ما وعدت * والا هجيت وأدخلت في

وقد علم الناس ما بعد فى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء وبهذه يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يا مستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا مديح

وله أيضا يقول

أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ

مضوا للحج والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا ولم يعودوا أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

ولبعضهم فى عظيم أنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد رمموه بسفله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه أيضا

رأينا للزكى جدار أنف * يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم فى أبخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكرى فى مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالاير يدفع ما فيه الى فيه

ولصفى الدين الحلى

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تتعقع من برد الشتاء اضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمال

وله أيضا

ليهنك انى لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام

فهذا سابق من غير سابق * وهذا عاقل من غير لام

وله فى طبيب يدعى اسحاق

مباضع اسحاق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل

معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله فى أحمق طويل اللسان

لو أن قوة وجهه فى قلبه * قنص الأسود وجندل الأبطالا

أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الأموالا

وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت أن المدح فيك يضيع

لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

وقيل لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما اكبر من نفعهما وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا فانقبض ثم سمع قوله تعالى ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

واستب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع ذبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الاعرفته وقال أبو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الأعمار

وقال المتوكل لأبى العينا ما بقى أحد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

* (الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان) *

الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات مدحهم وبين لهم المغفرة والأجر العظيم وقال عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى المولى فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسماعيل بن عبيد الله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله

صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق وقال محمود الوراق

الصدق منجاة لأربابه * وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الأدب وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الا به * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال على الصدوق وفلان وقف لسانه على الصدق * ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعي * ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال أرسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الحد للحق عزه * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشي غيرك الا واحد فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ما قبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لا ضرك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى * وقال تمام العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا * يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الا جاء على ظنه * وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لأهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لأخي فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله اكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدى ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق * وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه (الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وما جاء فيه) قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به ويقال راوي الكذب أحد الكذابين ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لا ينفكان عن الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي لكل واصف كذب الى يوم القيامة قال الأصمعي قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا أني أخاف أصدق في هذا لقلت لك لا فتعجب

وقال محمود بن أبي الجنود

لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول * فحيلتي فيه قليلة

ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان سمت الكذب انشقت مرارتي واني والله لأجد مع ما يلحقني من عاره من المسرة ما لا أجده بالصدق مع ما ينالني من نفعه وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البليـــة بعض ما يحكى عليه

فمتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صبري قوما فأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن عبد الله بن السدي قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شيء حتى أنينه في سقمه وحتى أن الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا وما من مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب وقال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء في جد وفي لعب

ولما نصب معاوية رضي الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عن الطاعة ثم أمر له بألوف فلما خرج الأحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر اني لأعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في اخراجها الا بما سمعت فقال له الأحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق

ان لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو اصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجته وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا يكذب وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معدي كرب مشهورا بالكذب وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن كان ابن معدي كرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال قيل ان بلالا لم يكذب مذ اسلم رضي الله عنه والحمد لله وحده

الباب الخامس والاربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول

(الفصل الاول في بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الي المصير وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وعن علي رضي الله عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار وقيل ان رضاء الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبي صالح عن أبي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج لوالده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يا رب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبي ثم قال يا موسى الا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقالت المأمون لم أر احدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد

واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ ابوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان لي أما بلغ منها الكبر وانها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أديت
حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال
ابن المنكدر بت أكبس رجل أبي وبات أخي يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي وقيل ان محمد بن
سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنه
انك من أبر الناس ولا تأكل مع امك في صحفة فقال أخاف ان تسبق يدي يدها الى ما تسبق
عيناها اليه فأكون قد عققتها (الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء
والبلداء الاشقياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة وقال الفضل
ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلت لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله
ووضعه وشبابه الذي يشتهي اليه في ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع
عليه حاله كي لا يفسق وقال عمر رضي الله عنه اني لاكره نفسي على الجماع رجاء ان يخرج الله مني
نسمة تسبحه وتذكره وقال رضي الله عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون
وقال شبيب بن شيبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان
والخلوة مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه
يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال أنبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن
البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى
ولا أعان على الاحزان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الي وقيل لرجل أي
ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن
عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت
حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها
ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا
وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا
فأرضهم وان سألوا فأعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك
ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فأقرئه السلام واحمل اليه مائتي ألف
درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية
علي به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكي)
الكسائي أنه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث
قليلا أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا
في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعيا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه

وعبد الله عن يساره ثم أمرني أن ألقي عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعر

أرى قمري أفق وفرعي بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي * مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينها حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية أأدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام رواية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزل مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور وكان يقال بنو أمية دنخل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وسب اعرابي ولده وذكره حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك علي لا يبطل صغير حقي عليك * قال سيدي عبد العزيز الدبريني رحمه الله

أحب بنيتي ووددت أني * دفنت بنيتي في قاع لحد
وما بي أن تهون على لكن * مخافة أن تذوق الذل بعدي
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

وقال هارون بن علي بن يحيى المنجم

أرى ابني تشابه من علي * ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسري الى الشبه العروق

وقال أبو النضر مولى بني سليم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوي

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول

أزهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقي

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد

اهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

وكان اعرابى برقص ولده ويقول

* أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بداله *

وكان لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت مغايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى * أنقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسى وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه
أزرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان او معاويه
أصهار صدق ومهور غاليه

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا نحرم الصلة فبعث اليها بمائتى ألف درهم والله أعلم (ومما جاء فى الاولاد البلد القليلين التوفيق) فى نظر اعرابى الى ولد له قبيح المنظر فقال له يا بنى انك لست من زينة الحياة الدنيا* وقال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد* وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى* وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشى مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال الا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنون فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة الا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادى شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابى كلنا حمامير الله فأى حمزة تعنون فقال له أبوه ليس يعنوك يا من أخمد الله به ذكر أبيه* وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فارسله فى حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو فى خلقة الجمل

فاجابه

مشبه بك يا أبى * ليس عنك منتقل

ونهى اعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لى الخمر

ماشرب

سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر (وما جاء في صلة الرحم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منماة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحبار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك ازيد في عمرك وأيسرك في يسرك وأصرف عنك عسيرك * وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث (الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر الانساب والاقارب والعشيرة)

قال عمر رضي الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الأنساب الا اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فأبقوا عليه لرهطه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعري وقال خالد بن عبد الله القشيري سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبي الاسلام الذي من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام علي كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير فانك بهم تصول وهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الأصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الاداني فضلها

واعلم بانك لم تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

الباب السادس والاربعون في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول

(والقصر والالوان والثياب وما اشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتهي الحسن والجمال . كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه
عين من قصر ابيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين
واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر
شثن الكفين سبط القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجري كالقضيب ليس
في بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه في رأسه ولحيته
عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت
التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده .
أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما في جبينه تبج وفي عينيه دعج وفي عنقه سطع وفي
لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد
وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن . قال أنس رضي الله عنه
ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه
حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله
خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار . وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن
الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها حكي
أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال ما
ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية
ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا احلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندا
وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد
ابن عتبة بن أبي سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رحمته من
حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه

قال الشاعر

ولو انها في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا اكف نساء

وقال كثير

ولو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم) ما قيل في الشعر
كان يقال من تزوج امرأة او اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين

قال بكر

قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيامٍ شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضا

لبسن الوشي لا متجملات * ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن في الشعر الضلالا

وقال الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * لحفظي حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الأرداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوالي
فقلت والقصد ذؤابانه * واسهرني في ذي الليالي الطوال

وقال آخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدا * من الثريا فانتهى إلى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشي بليل ذوائب * لها من محيا واضح تحته فجر
يغطي عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

(ومما قيل في الاصداغ) قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلي

وعهدي بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذي * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وماضره نار بجذبه الهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بجذبه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصره تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لمو لحظه تسقى وقلبي يشرب

وقال آخر

حل القبا ولوى صدغيه فانعقد * ولحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

ومما قيل في مدح العذار) أبو فراس ابن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

وقال محمد بن وهب

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعد في البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راق نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

وقال آخر

يا ذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندى أن لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لا رأى كعبة الحسن التى حرمت * بالنمل حيث مقام الخال فى فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدمامينى

تحدث ليل عارضه بأنى * سأسلوه ويصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

وقال آخر

وقال آخر

وقالوا اتسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده

فقلت وهمتم ولكننى * خلعت العذار على خده

سيدى أبو الفضل ابن أبى الوفاء

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما

حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار رحماحما

قال ابن نباتة

وبمهجتى رشا يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

قال الموصلى

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق

فاذا أتى المرد قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقال آخر

أصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه

حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شانه

وقال آخر

يا صاح قد خضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس

وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاسى

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه فاله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله

وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

وما قيل فى ذم العذار قال الشاعر

غدا المالتحى ليلا تهيما * وكان كأنه قمر منير

وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرأ وجاءكم النذير

آخر فى ذمه

قلت لاصحابى وقد مر بى * منتقبا بعد الضياء بالظلم

بالله يا اهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

ما زال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه

كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

وقال آخر

ما زال يحلف لى بكل ألية * أن لا يزال مدا الزمان مصاحبي
لما جنا نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقال آخر

غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها أعين المها * وميمنة تقضى بزج الحواجب

وقال آخر

أيا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ما وصف أحد العيون بمثل ما وصف أحمد بن الرفاع فى قوله

وكأنما دون النساء اعارها * عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت * فى جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح احشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الأخطل

ولا تلم بدار بنى كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

وقال أبو فراس ولحن

وبيض بألحاظ العيون كأنما * هزرن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبى بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جاذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

وقال ابن رشيق

وقال ابو هنان

أخو دنف رمته فا قصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فواتك لا يقال سوى احورار * بهن ولا سوى الأهداب ريش
أصبن فؤاد مهجته فأضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الانس

عز الدين الموصلى

لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعالها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطى

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الأنام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشا وكلا

وله أيضا

يا بى أهيف للعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين ابن خطيب داريا

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وأن داءه تكليف
لكننى لم أنا عنه لأنه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال الشيخ عز الدين الموصلى

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه * لا تحرقيني بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلى من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال الصلاح الصفدى

يا عاذلى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى

وبخد فؤادى ودمعه نصب مقلتها * لا نرم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البريه

ومما قيل فى الخال للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبة
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

للشيخ جمال الدين ابن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

وقال آخر

يا سائلا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

للشيخ تقى الدين ابن حجة

قلت للخال اذ بدا * فى نقاجيده السعيد
نزت يا عبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسن بن الضحاك

يا صائد الطير كم ذا * بالخط تصمى وتسبى
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

ومما قيل فى الخدود قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

وقال آخر

وقال آخر

وردالخد وورد نرجس اللحظات * وتصافح الشفتين في الخلوات
شئ أسر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل في الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحي من ولى فولى بمهجتي * وولى منامي وهو كالوصل شارد
حمى ثغره مني بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

أنفقت كنز مدامعي في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلي في البارد

وقال آخر

رأى ثغر من أهوى عذولي فقال لي * ولم يدر أن اللوم في خده يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن ريان

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت في الشام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل في طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردي

ذكرت ريح حبيبي * بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لي صابر
وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

الصلاح الصفدي

نقل الأراك بأن ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الأراك لأنه * يرويه نصا عن صحاح الجوهري

وقال آخر

ثلاث يجتمعن في ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فان قيل قل لي ما هي أقل * هي الطعم واللون والرائحه

وقال آخر

يا رب ممتنع الوصال محجب • بستوره كالبدر بين غيومه
وادرت مراشفه على رقبائه • فشكرت في الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقاً من رضابك أم رحيقاً • رشفت فكنت منه لن أفيقا
ولتصبهاء اسماء ولكن • جهلت بأن في الاسماء ريقا

(ومما قيل في حسن الحديث) قال البحتري

ولما التقينا والنقا موعد لنا • تعجب رائي الدر حسناً ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها • ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سالم الخاسر

ظللنا فبتنا عند أم محمد • بيوم ولم نشرب شراباً ولا خمرا
اذا صمتت عنا تحيرنا لصمتها • وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومي

يمسي ويصبح معرضاً فكأنه • ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بشافعة له • ودرياقطه الى لسانه

وما أحسن هذه الأبيات وهي من طارف الشعر ونادره ونافذه وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الاحديثها • رجيع وفيما حدثت تلك الطرائف
جرحن بأعناق الظباء وأعين الـجآذر وارتجت بهن الروادف
ورحن بأرداف ثقال وأسوق • خدال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل في رقة البشرة قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء • فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت • بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها • الى ماء معد في اناء
فلما أن قضت وطراً وهمت • على عجل الى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان • فأسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل • وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودته وحالا • وكان مواصلاً فنوى الوصالا
وعلمه الدلال كيف يجري • فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيباً • اذا ما حركته خطا ومالا
اذا كلمته أثرت فيه • وان حركته فالخصر سالا

وقال بشار

وما ظفرت عيني غداة لقيتها * بشيء سوى أطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

ومنه أخذ أبو نواس في قوله

نظرت الى وجهه نظرة * فأبصرت وجهي في وجهه

وقال آخر

توهمه قلبي فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط يجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورد * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقال آخر

وأهيف قده كسي احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أجهلته بالقول جهدي * لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل في التقبيل) لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز لثمه
فهاكها في الخد واقنع بها * ما قارب الشيء له حكمه

وقال صاحب حماه

قال الذي تيمني * قولوا لمن خبلته
يروم مني قبلة * لو مات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلي

كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور
سوى أن ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

وقال ابن جابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

وقال آخر

قبلت رجل حبيبي * فازور ولم يزر خدا
وقال سلمت رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوي * حقوقها لا تؤدى

(ومما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة

انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتنعيم
شفت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن أبي خميس

تعهد من غير علة * بالعز أضحت مذله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظلة
وان أضاءت بليل * تفوق نور الأهله

وقال آخر

* أقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني الى مثله *
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أقيمي مكان البدر ان أفل البدر * وقومي مقام الشمس قد لمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمر بن أبي ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وحواهم في سواها الخلف

أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال

لو أن اجماعنا في فضل سودده * في الدين لم يختلف في الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

وقال آخر

في أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي

أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه اسحاق بن يعقوب الكندي قال قد انقسم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال

وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

ابن سبانة

أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

محمود المخزومي

رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لأنك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضيء اذا تمسي

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر ذوتها * ويكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت تسع وأربع وثلاث * أسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت يا غزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بناني * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضي بالله

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلت خطابها
فظننت أن بنانها من فضة * قطعت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

ولما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي هكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشا لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي فاحمرت بناني من دمي

وقال آخر

دنون عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم تجريان

فلم يحمن اكراماجفونى * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل فى النحور) قال دعبل

اباح لك الهوى بيضاحانا * تباهى بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضى * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل فى نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ما حوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء المتسك
وتبكى حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين فى حسن مسلك
وتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممسك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد يحق مفكك

عمرو بن كلثوم

تراك اذا دخلت على خلاء * وقد امنت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من اكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بسور من غلائلها * فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

وقال آخر

صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلى من حدى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعد لهن عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل فى الأرداف والخصور) قال ابن الرومى

وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

الطنبغا الجاولى

ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا

لخص الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

ياخصره كم جفا * تبدى وأنت نحيل
ياردفه ملت عنى * ما أنت الا بخيل

القيراطى

بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى
فقلت يا بدر هذا * حقا خيال لحينى

وقال آخر

أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نقلته * الى معصمى لما تقلق فى خصرى

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الأصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

رخيمات المقال مدللات * جواعل فى البرى قضبا جذالا
جمعن فخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمرو بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بجفن للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الأغصان مذ هز عطفه * أتزعم أن اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لأحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الأوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما الذى الرمة حتى كأنه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم وصل يا معذبى * كميلة خود غيرالسكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

وحكم أعطافه * فى قتل صب ما غوى
فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من الم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وانت من اهل الهوى

ومما قيل في الساق قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق أبيض أملس * كاللؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

قال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب * ظبى ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فما ل أعطافه تميس

ومما قيل في مشى النساء قال بعضهم

يهززن للمشى أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أوكاهتزاز رديني تداوله * أيدى الرجال فزاد اللين في اللين

وقال آخر

يمشين مشى قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الأكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

ما قيل في العناق وطيبه لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأنى عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدى وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

وقال ابن المعدل

أقول وجنح الدجا مسبل * والليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أيا غد ان كنت لى محسنا * فلا تدن من ليلتى يا غد
ويا ليلة الوصل لا تنقضى * كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق

لهوانا

لهونا بغزلان الصريمة تحته * نميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعتدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شقيق وأنها * لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يا ذين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فأجيب

وقال علي بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

يا ليل دم لي لا أريد براحا * حسبي بوجه معذبي مصباحا
حسبي به نورا وحسبي ريقه * خمرا وحسبي خده تفاحا
حسبي بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفي للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم لحملنا * متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمي للحبيب على رضى * ورشفي رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لي عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى في التنقل

(ومما قيل في السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سمن * لكنني أعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ أركب المهر المضمر في * يوم الرهان وغيري يركب الفيلا

ومما قيل في مدح الالوان والثياب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول

ومما قيل في مدح السواد قيل لبعضهم ما تقول في السواد قال النور في السواد أراد بذلك نور العينين في سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالي ولون المسك والعود

اني أمرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندي ولو خلت الدنيا من السود

وقال الحيقطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فاني لسبط الكف والعرض أزهر

وان سواد اللون ليس بضائري * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

دخل ابراهيم بن المهدي على المأمون فقال انك لهو الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون اني أبيض الخلق

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزري السواد بالرجل الشهـ * ـم ولا بالفتي الأريب الأديب

ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الأخلاق منك نصيبي

وقال آخر

لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنها في سواد القلب تمثال

وحام بالخال أقوام وما علموا * أني أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدني كيف رغبتم في السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها وقال آخر

يكون الخال في خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها في الخد خالا

وقال آخر

فاستحسنوا الخال في خد فقلت لهم * اني عشقت مليحا كله خال

وكان ابو حاتم المدني ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فاني معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح وقد قال الشاعر

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعده

لاشك لونكما واحد * وأنكما طينة واحده

ومما قيل في الصفرة قال الشاعر

أصفراء كان الخمر منك مزاجا * ليالي كان الود منك مباحا

كأن نساء الحي ما دمت فيهم * قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر

قالوا بها صفرة شانت محاسنه * فقلت ما ذاك من عيب به نزلا

عيناه

عيناء مسطلوبة فى تارمقلت * فلست تلقاه الاخاتفا وجلا

ومما قيل فى طول اللحية قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتديان

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الحلمان

وقال اسحاق بن خلف فى قيصر طويل اللحية

ماشبت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والدمشى بمولود

ما طول داود الاطول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقنع

تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكا كينهم الاعليها الموالبا

جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المخاليا

ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر قيل خرب الفهندز فبرزت منه جماجم أموات فيصدع عن جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فأتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

وأراد ملك الروم أن يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثديه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود

وكيلا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود

وانى من القوم اليمانيين سيد * وما الناس الاسيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالين وانصرفا مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسى أسر امرئ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس أننى * قصير وقد أعيى أباها قصيرها

ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها تدل على الحمق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر

على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وربما
قيل في القبح والدمامة أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسل معه
الا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تخليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه
يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ومر
أبو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها
بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا
فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت
لا أدري كيف أصوره فأتت بك الى لأصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين
أن تكوني تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه وأسأت
فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي أفلا أرضى بما رضي الله به وخرج مخنث فرأى رجلا قبيح
الوجه يستغفر فقال ياحبيبي ما أرى أن تخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل
طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل قبيح
الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * مذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة * أحسن من فيها أنا

وخطب رجل عظيم الأنف امرأة فقال لها قد عرفت أني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره
فقالت لا شك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الأنف اربعين سنة وقال الشاعر
في رجل كبير الأنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

لك أنف أنوف * أنفت منه الأنوف
أنت في القدس تصلي * وهو في البيت يطوف

ومما جاء في الثقلاء قال مطيع بن اياس

قلت لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء
أنت في الصيف سموم * وجليد في الشتاء
أنت في الارض ثقيل * وثقيل في السماء

(ومما جاء في الملابس والواهنا والعمائم ونحوها) قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا حلما وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأرسلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الجبة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني أجالس ربي وقيل المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس

رأيتك في السواد فقلت بدرا * بدا في ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة بحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمي ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر في المدينة أن الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر في لابسة الأحمر

وشمس من قضيب في كثيب * تبدت في لباس جلناري
سقتني ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جلناري

وقال آخر في لابسة ثوب خمري

في ثوبها الخمري قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
فقلت سكرا حين أبصرتها * لا سكروا سكري من الخمر

وقال الصنوبري في لابسة أخضر

وشاطرة جفنها شاطره * حلى الروض من حسنها مستعاره
أتت في لباس لها أخضر * كما لبس الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره
وقالت لباس حسان الجنان * يهيج للصب في القلب ناره

وقال حكيم اياك أن تلبس ما يديم الملك نظره اليك به * واعلم أن الوشى لايلبسه الا الاحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس العقلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصد بن الديباج لتوسط بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه أدخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البرد وقيل كان لابشر ويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل جوهر وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والأزر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ السمانى والرواغ الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والرواغ الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امتزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امتزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ رائحة ورائحة البيت كنسه ورائحة الثوب طيه وقال بعض الأعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض الوجوه على معاوية وعليه عباءة على أحد الخلفاء فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك وانما يكلمك من فيها ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه قال الأصمعى رأيت اعرابيا فاستنشدته فأنشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أخى ان الحادثا * ت عركننى عرك الأديم
لاتنكرن ان قد رأيـ * ـت أخاك فى طمرى عديم
ان كان أثوابى رثا * ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثر
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبر
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهه برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا غار عليه ولا نكير

فان

فان أنت في شرار كوا قليلا * فأني في خيار كوا كثير
ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال
ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهاه الناس
وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك) *

ماجاء في التختم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام
كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم
وذكر السلامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله عنه الى اليسار وأخذ الأموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم ما دام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعملت خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لأبي نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما
والآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل في فمه قال جعفر بن محمد رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز وقيل للخوف والله أعلم (ذكر ماجاء في الحلي) قيل ان قرطي مارية بنت ظالم ابن وهب بن الحارث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد بعثني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القشيري اشتراها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال لي أكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سني ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك (ذكر ماجاء في الطيب والتطيب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة

رضى الله تعالى عنها قالت كانى انظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان فى الجنة لمراغى من مسك مثل مراغى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ فقال يا أم سليم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى الله عنه قال لوكنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه وناول المتوكل فتى فارة مسك فقال

لئن كان هذا طيبا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الأنامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت لبى فقال علمينى كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هو لك منى كلما أردته ثم قالت والله انى ما تعلمته الامن شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم لبابه * فار مسك بعنبر مسحوق

وقال أبو قلابة كان ابن مسعود رضى الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق أنه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمى عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله عنه يطلى جسده فاذا مر فى الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها الرب وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالوكان لى لكان رأس مالى وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبى الرائحة الطيبة تزيد فى العقل وقال على كرم الله وجهه تشمموا النرجس ولو فى العام مرة فان فى قلب الانسان حالة لايزيلها الا النرجس وكان الشعبى يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضى الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا المحاجم بالطيب وكان من اختلف فى طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) أن العنبر يأتى على طفاوة الماء لايدرى أحد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقى منقاره

فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والبحار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شيء نثره البحر وأما العود فأجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يجرح ويثرب بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الأشجار وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر والبان

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب أني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع الآته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوي القلب والعنبر يقوي الدماغ والكافور يقوي الرئة والعود يقوي المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الأورام وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل تبخر بعض الامراء وعنده اعرابي ففرطت من الامير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعته وقال الأحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أذكى من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك

* (وفيه فصول) *

(الفصل الاول في الشباب وفضله) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الاية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة

ابن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها اكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل للقلوب ولذلك قال الشاعر

تحلى الرجال مع النساء موافقا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب محمودا زمانه حسنا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شبابا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جردا مردا ابناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها (الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل ان يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الي اني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الأرض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيآت وقيل كان رجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب

قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره متهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

وقال ابو دلف فى بياض اللحية

تكوننى هم لبيضاء نابته * لها بغضة فى مضمر القلب ثابته
ومن عجب أنى اذا رمت قصها * فقصصت سواها وهى تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغوانى * بمبلغ شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظللت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بأن لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت قد القوس يا عماه فقال يا بنى ان أعطيتها بغير ثمن ومر رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال يا هذه اذ كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فأعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك أنى أكره منك مثل ما تكره منى فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فأعرضن عنى بالخدود النواضر

وقال آخر

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الأشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بدا * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت أرى الخضيب الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما أقبح التفريط فى زمن الصبى * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحاً في الرأس مني تراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

وقال في الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس
اذا ائتزع الشيب الشباب فأصبحا * بسيفيهما فالشيب لا شك غالب

وقال آخر
ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبي
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع
كبرت ودق العظم مني وعقني * بني وزالت عن فراشي القمائد
وأصبحت أعشي أخبط الارض بالعصا * يقودنني بين البيوت الولائد

وقال آخر
عريت من الشباب وكنت غضا * كما يعترا من الورق القضيب
وبكيت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب
وكم كان من عاين علي وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يتحفظوا واكتفوا بشيبي

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله ما شبهت الشباب الا كشيء كان في كمي فسقط قال الشاعر
شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الجاحظ
أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء في الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن ابي عامر الانصاري رضي الله عنه رأيت ابابكر الصديق رضي الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه (بيت)
نسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل دخل عبد المطلب بن هاشم على أبي سفيان فقال له لو خضبت شعرك فخضب ورجع الى مكة فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا الوداع فقال

ولودام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت يبينك أو هرم

وقال آخر

ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا انضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وماير يـ * ـد فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

فأمنك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الامانى يا صاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الأمن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يسأل الله العباد عن الأبدان والأسماع والابصار فيما استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والأمن والسرور وقالت عائشة رضى الله عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين هاهنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من ذلك العلف ما ينتاثر فقال لأمه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له

يا بني لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومي ان يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينخ ويهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقي فى خلال أسناني شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله اعلم بالصواب

(الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام)

قال الحسن رضي الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم اعمارا فى الاسلام اذا اسددوا وزعموا أن تبع الفزارى كان من المعمرين وأنه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى ابن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى اثر ليلة ويوم فى اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسة وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بني آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفي ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير ابن جنادة عاشا مائتى وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأى مؤلفه رحمه الله رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وأن امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه ما لم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من والده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

* (الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها) *

فأشرف الأسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الأرض مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يرن ابليس لعنة الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن ولخرج من ملكوت السموات والأرض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفي أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتي يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق في كفة لرجحت كفة الاسماء

وأما الاسماء والكنى ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب اسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغي أن تنادي من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شيء ان أجبتني عنه ابتدأ من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شيء له اسم ولا كنية له وعن شيء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رباح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذا النورين رضي الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين في الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتي نبي غيره وكان قتادة بن النعمان الانصاري رضي الله عنه أصيب في عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أي ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضي الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها في حجري فألعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبي رضي الله عنه كنية الدجال أبو يوسف ذو الشهرة أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال *

اليوم يوم المهرجان * هديتي فيه اللسان
لك دولتان حديثة * وقديمة ورياستان
لك في الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان

علم الخليفة كيف انت * نصرت وجد الكتاب

فأمر له بجميع الهدايا المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب
وتيم بن مرة والحارث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوق ثم تحالفوا شيبة الحمد عبد المطلب
لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا
الذى وراءك فيقول عبدلى سيدنا ابوبكر الصديق رضى الله عنه اسمه عبد الله ولقباه
العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء ولانه أول من صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيدنا عمر رضى الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا
فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل الكامل سعد بن عبادة رضى الله عنه لانه كان
يكتب ويحسن الرمى والعوم طلحة بن عبد الله رضى الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة
الفياض وطلحة الطلحات لسخائه رشح الحجر أبو الريان عبد الملك بن مروان لقب بذلك
لبخله ويخره عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله عنه الحبر عبد الله بن عباس رضى الله
عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له حبر الحبر وحبر البحر الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان
مائل الشدق الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى
قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة راح يكذب لقب به
المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب واصل
الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع النساء فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا
سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى أبو عمرو الشيبانى
لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى اليزيدى كان يعلم يزيد بن
منصور الحميرى فنسب اليه ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة
فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوءة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه السلام البحر ولم
ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
(وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف
الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل
من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات
والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من
تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف

سرًا واحدًا فمنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تغلب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتوى على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الإسلام وهى لعمر الله الفضيحة التى لا انصاغ ولا اتباع والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا الرجل يكنى باسم والده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه أبو تراب وذلك أنه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب اسمائه اليه وكقولهم ابى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب بما دون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرية يكنون بأسماء بناتهم كأبى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقدام بن معدى كرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينًا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدًا فاكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجهًا وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله سر ذلك المجلس فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف ومما جاء فى مدح الاسماء منظومًا قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضًا

لا زال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

وفيه أيضًا

يا سمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاسى أن قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

ولبعضهم في مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين

أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

وله أيضا

ما عليهم في الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا يا عمر

أبدلوا قافا بعين غلطا * كذبوا ما أنت إلا قمر

ولبعضهم في مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى إلي بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين

ناديته ما الاسم يا كل المنا * فأجابني عثمان ذو النورين

ولبعضهم في مليح اسمه يوسف

يا من سبى الشعراء نمل عذاره * النجم يشهد لي بأني مدنف

صيرت قلبي من صدودك فاطرا * فامنن علي بزورة يا يوسف

الصفي الحلي فيمن اسمه داود

ونعت بان قلبي من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد

فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خد * حوته صوارم الحدق المراض

فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سواد في بياض

فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله في الحقب المواضي

للقيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق في حسنه وتما

وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

ولمؤلفه رحمه الله في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الأنام إمامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح

فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلبيس لاجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال الخليل كلهن حميدة * وأوصافه تزري بكل جميل

فلا خير في بلبيس ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

وقال آخر في مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل يوم يسأل

من لی بیوم فیه تسمح باللقا * ویقال لی هذا حبیبك مقبل

ولبعضهم فی ملیح اسمه محسن

وأهیف یعلو علی عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبیب محسن * وكم دموع فی الهوی أسالها

صفی الدین الحلی فی اسم حسین

حبیبی وافر والشوق منی * طویل والهوی عندی مدید
وأعجب أننی أهوی حسینا * وشوقی فی محبته یزید

ومما قیل فی أسماء النساء فی فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجی الوصل لها فاطمه
وتنكر ما ألقاه من وجدها * وهی بشوقی والجوی عالمه

ابن مكانس فی اسم عائشة

یا دهر خبرنی بحقك واشفنی * فلهام فكری فی أموری طائشه
أیحل انی فی المحبة میت * وحبیبتی من بعد موتی عائشه

شمس الدین البدیری فی اسم حلیمه

ولما رأتنی فی هواها متیما * أكابد من حر الغرام ألیمه
أباحت لی طیب الوصل منها ولم تغر * وما تدری كیف الجور وهی حلیمه

ولبعضهم فی اسم بركة ذو بیت

لما نصب الهوی لقلبی شركه * نادیت وقلبی تارك من تركه
یا قلب تنبه ولا تمل للشركه * تعنیك سنینا ساعة من بركه

مردوف أیضا

لما نصب الهوی لقلبی شركه * فی ظل طریق
نادیت وقلبی تارك من تركه * لو كان یفیق
یا قلب تنبه ولا تمل للشركه * ما الشرك بلیق
تعنیك سنینا ساعة من بركه * عن كل صدیق

ولو تتبعت هذا المعنی لاحتجت الی مجلدات لكن فیما ذكرته كفایة والله الموفق وله العنایة وصلی الله علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه وسلم

الباب الخمسون فیما جاء فی الاسفار والاغتراب وما قیل فی الوداع والفراق والحث علی ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنین الیه

(أما ما جاء فی الاسفار والحث علی ترك الاقامة بدار الهوان) فقد قال الله تعالی هو الذی جعل لكم الارض ذلولا الآیة وفی الأثر سافروا تغنموا وعن أبی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لو یعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس علی ظهر

سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

الا خلني أمضي لشاني ولا اكن * على الأهل كلا ان ذا لشديد
تصيبني ريب المنون ولم اكن * لأهرب مما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في ركب فليؤمروا أحدهم وقيل أتانا حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسافة ثماني ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضي الله عنه من مكة الى المدينة في يوم وليلة وقال المأمون لا شئ ألذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل في ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفي الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هي الا بلدة مثل بلدتي * خيارهما ما كان عونا على دهري

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفي الحلي

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضلل

وقال عبد الله الجعدي

فان يحف عني أو تزر في اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * يسافيه من ماء الحديد كبول
قليل الموالي مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون أليل
يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ما إليه سبيل

وقال الشاعر

وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا
تهيم ولا تدري إلى أين تبتغي * مولهة حزنا تجوز الفيافيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا
إذا ابعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا
بأوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شوم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لأعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
اني خشيت على الاظعان من نفسي * ومن دموعي احراقا واغراقا

وقال عمر بن أحمد

أن الرحيل لجنبي جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومى بيده الى حجر يرمينا به وقال ألمثلي يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * ناديت لا حملت رجلاك يا جمل

يا حادى العيس عرج كى أودعهم * يا حادى العيس فى ترحالك الأجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد ما فعلوا
فقلنا له ما تواقفا قال واللّه وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه اللّه تعالى وقال آخر
لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * يا راهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يا فتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالأمس كانوا لنا والآن قد رحلوا
وقال الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه اللّه تعالى
ما رحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
أسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الأنوار ناموسا
وحشية ما لها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * يا حادى العيس لا تحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهم * والوجد فى القلب لا ينفك مغروسا
وقال آخر
ولما بدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت بأطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها واللّه ما من مسافر * يسير ويدرى ما به اللّه صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهى كن عليه خليفة * فيا رب ما خابت لديك الودائع
وقال آخر
يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق
وقال البغدادى
قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الأحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه

كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

وقال ابن البديري

فيا حاديا بليلى فاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق

وزما مطاياها قبيل مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق

ولا تزجرا بالسوق أظعانهم * فانجيبي للظعائن سائق

ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا في التفكر غارق

وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * يسارقني في نظرة وأسارق

فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا انا مشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خاليات بلقع

بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالي للمنايا تشرع

وخالفت لوامي عليها وعذلي * وحالفت سهدي والخليون هجع

ولم أستطع يوم النوى ردعبرة * فؤادي أسى من حرها يتقطع

فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتي ليس يدفع

لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي

فلا كان هذا آخر العهد منكم * ولا كان ذا التوديع آخر زادي

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق

بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

وللمؤلف رحمه الله تعالى

يا سادة في سويدا القلب سكنهم * وفي منامي أرى أني أعانقهم

أوحشتمونا وعز الصبر بعدكم * يا من يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذوي الهوى * ومحله من أضلع العشاق

ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا أغاثهم بفراق

وقال ابن الوردي

دهرنا أمسى ضنينا * باللقا حتى ضنينا

يا ليالي الوصل عودي * اجمعينا اجمعينا

وقال الشريف الرضي

علاني بذكرهم واسقياني * وامزجالي دمعي بكاس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا اترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري
ما حق طرف هداني نحو حسنكم * اني أعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلي

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل في البكاء قال الشاعر

ربوت طيف خياله * وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

وقال آخر

ارحم دموع الوعتي * وابعث خيالك في الكرى
* ودمع عيني لاتسل * عن حالها يا ماجرى *

وقال آخر

ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى
بدموع كانهن الغوادي * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

يا قلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبي سقطت من عيني

وقال آخر

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق اجري دموعي * حسرة اذ قضى الفراق ببيني
قيل كم ذا تجري دموعك قلنا * أوقفوا الدمع قلت من بعد عيني

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت وقف مدامعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال آخر

ولم أر مثلي غارما من طول لثامه * عليه كأن الليل يعشقه معي

وما زلت ابكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض ادمعى

وقال الموصلى

عين أفاضت دموعى * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى

وقال آخر

وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل ألف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفراق الأحبة (ومما جاء فى الحنين الى الوطن) أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى أن أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الأذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله عنه

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة (ومن حب الوطن ما حكى) أن سيدنا يوسف عليه السلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن يحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
وتستعذب الارض التى لا هواء بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان قد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومعسكرا وكان أبو اسحاق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام (ومما جاء فى ذم السفر)

قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فاردد ناعلى خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتي وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز بغنيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية * وأسال الله تعالى التوفيق والهداية * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه) *

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر راس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى اذا وقيت الاواقى * بالاواقى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يا بنى اكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصونك ولكن سل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضى الله عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السما وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطؤه صواب * وسيآته حسنات * وقوله مقبول يرفع مجلسه * ولا يمل حديثه * والمفلس عند الناس اكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسأل عنه ان غاب ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه * وان غضب صفعوه * مصافحته تنقض الوضوء * وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسى فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة

مرّ من قرين السوء وشهدت الزحوف وغلبت الاقران فلم ار قرينا اغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوي ويكسره فلم ار شيئا اذل له ولا اكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جروح الليالي ما لهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني أن قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك أن المال قد يجعل الفتى * سنيا وأن الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الأدنى فكيف الأباعد

وقال ابن الاحنف

يغدو الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه * اذا ابتلي بالفقر الا غريب

وقال آخر

ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي الكلام لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كذاب وقال الخفاجي

اصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذلك
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال الزمخشري

واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الأحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الي من أن أحتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا يا بخيل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل
واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء في الاحتراز على الأموال) فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز ويحفظ عليه من المطمعين والمبرطلين والمحترفين الموهمين والمتمنين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الأموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قصوا أما قد رواطيه من حوائجهم الى أن يألفوهم وتحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول اني فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك وتفضيلك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الأوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال فاتحه ورحل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا ما بقي فان روعي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال ونيمة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطاعليه البائعين والمشترين وحمل النفقة وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه أن مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد المشتري أو رخص أحال الأمر على الأقدار وقال ليس لي علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون للطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم

يبذلون لهم خيرا و يطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستميل و يحتجون بان
ما يلجئهم الى ذلك الا عدم الامكان و تعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل
الى مكان و يترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها و يذهب ومنهم من يشترط أن عمله
لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية و سبيله بعد ذلك ان كان معروفا
قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت و يقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان
حمله الطمع و وافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان
كان منكورا فاذا غفل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوما يجعلون في الجبال أمارات
من ردم و حجر و يأتون الى أصحاب الاموال و يقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت
وكيت ثم يوقفونهم على ورقة مصنعة و يقولون نريد أن تأخذ لنا عدة و تنفق علينا
ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا و لك فيوافقهم على ذلك و يوطن نفسه على أن المدة
تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا و يعتقد
الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى و يكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء
وان كانوا منكورين و رغبتهم الطمعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هناك لاجل
ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (واما المبرطون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر عذرا
و ذلك أنهم اذا انتدب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها
و توفير كيلها أو وزنها أو ذرعها و وضع من أصل ثمنها شيئا و زنه من عنده ستر لحتى يبيض
وجهه عند صاحب المال و يعتقد نصحه و أمانته و نجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ
يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقي مقاليد أموره اليه فيستعطفه
و يفوز به ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه وأما
المحترفون الموهمون فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية
و يباسطونهم مباسطة الاصدقاء و يتعمدون جودة اللباس و يستعملون كثرة الطيب
ثم ان أحدهم يذكر أمر ربح الارباح العظيمة فيما يعانيه و يذكر ذلك مع الغير ولا يزال
كذلك حتى يثبت و يستقر في ذهن صاحب المال أنه يكتسب في كل سنة الجمل الكثيرة من
المال وأنه لا يبالي اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له
على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وربما
فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا
تدري أنه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيئا واحتجت
الى أن تطعمه و الامان و أنا والله لو كان عندي علم أنك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا
كثيرا ولكن ما كان الا هكذا و ما كان لا كلام فيه و العمل في المستأنف فيتشكره صاحب المال
و يسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال
المطمع اذا صار المال تحت يده (واما المتمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف

والنسك ومجانبة المحارم ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام
ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك
على صفة التهاني بالأعياد وربما يأتي معه بأحد من الأولاد ويظهرون النزاهة والغنى
ويجعلون الدين سلما الى الدنيا واكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم
الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال
وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعوا الى الاحتراز
منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لأمر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقيرا فقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان
خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر
الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة
لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغني مدح الا وهي
للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا
وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير

الناس أتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه * حي كمن مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستتر عني ومحتشم
أبدوا لجفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا
من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان
عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي فأعطته درجا بخطه فلم يزل يحكيه حتى حاكا
خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان
ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت
يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم انكشفت القضية في اثناء النهار للخليفة
أنها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا
سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاود الزمان

ثم أقام

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى إليه الوفود

والاطباء يعملون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمساليق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

اشفق على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

واعلم ان القلب عامود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على فرفتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فيجب منه فاستحضره لحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيأن اذا أنت حفظتهما لا تبال بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروءة وفخرا فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما على بعض بساتينه فرأى النرجس وقد فتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد ابن ربيعة يوم القادسية أبريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأة خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الأخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدور ذهب يرتقى اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر

وقال له ابغ به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فأخذه زياد فرصعه بين
حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال
خراسان في ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الأكاسرة منسوجة من الذهب
والجوهر والياقوت الاحمر والأصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من
قومها فبلغت قيمتها ألفي ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك
فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا أدعوا الى عبد الله بن أبي دريد ودفعها
اليه ولما صار موجود عماد الدولة في قبضة أمير الجيوش وجد في جملته درج ذهب فيه
جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت
بتسعين ألف دينار ووجد في بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعد له من آلة التزين
يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر وترك
هشام بن عبد الملك بعد موته اثني عشر ألف قميص وشي وعشرة آلاف تكة حرير وحملت
كسوته للحاج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته احدى عشر ألف ألف ولم تأت دولة
بني العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة
هشام سبع سنين ولما قتل الأفضل بن أمير الجيوش في شهر رمضان سنة خمس عشرة
وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة
وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت
بمائتي ألف دينار وعشرة بيوت في كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار
عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من
الجوهر الفائق الذي لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة جسمه وخلف
من الزبادي الصيني والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة
وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور
ذهبا كل قدر وزنه مائة رطل وسبعمائة لجام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوءة
دراهم خارجا عن الأرادب في كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل
والبغال والجمال وحلي النساء ما لا يحصي عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا
وألفي حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة
ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة ثور ذهبا وأربعة آلاف ثور
فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرد
وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه في كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من
الحواصل المملوءة من الحبوب ما لا يحصى ولما احتوى الناصر على قصر العاضد وجد فيه
طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان
فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وتحرية

ولم

ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه انه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الأموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * اليس مصير ذلك للزوال

فضمنت انا هذا البيت وقلت

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * اليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثاني والخمسون في ذكر الفقر ومدحه) *

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الاية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا في المال وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الأغنياء وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالي ماله ولا لأهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وقال جابر رضي الله تعالى عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الاخرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الاخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختار الا أولياء الله تعالى وفي الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة ادنوا الى أحبائي فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين احبائي فيدنونهم منه فيقول يا عبادي الصالحين اني ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم علي ولكن لكرامتكم لتتمتعوا بالنظر الي وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم

والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء امتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء محاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى اسئلك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه به الذين اذا استأذنوا على الأمير لايؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتلجلج فى صدره لوقسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد ابن عبد العزيز انه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لودعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا فاخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت احسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال انفقها على عيالك فهبته والله أن أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا اكثر مني هما لأنى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاووس من أجل ريشه

وقال عبد الله بن طاهر

ألم ترأن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يبالى به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغناء وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيى سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله واحد

وقال هارون بن جعفر الطالبى

يوعدت همتى وفور بت مالى * ففعالى مقصر عن مقالى
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسواسر بالى
ولقد تعلم الحوادث أنى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغناء ومن ولد فى الغناء لم يزده الا تواضعا

فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضي به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

* (الباب الثالث والخمسون في التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد) *

روى الامام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس . وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابي الى علي رضي الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح في بيتي شئ فضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى علي رضي الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتني بدرعي الفلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرني أن لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك وانه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال علي رضي الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال حسبك لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسألة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضي الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتي أني أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما قدم المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

اني نذرت لئن رأيتك قادما * ارض العراق وأنت ذو وفرى

لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للأولى وأبطاك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الأيام

فأتيناكمو نمد أكفا * للتمام من زادكم والطعام

فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا ما دفعتم اليها صدقاتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابي بمكة وأحسن في سؤاله فقال أخ في الله وجار في بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسيني في الله قال الشاعر

ليس في كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان

فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصري

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال

فاطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن علي رضي الله عنه قال يا كميل مر اهلك أن يروحوا في كسب المكارم ، ويدلجوا في حاجة من هو نائم ، فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروءته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بني عقيل
طويل الباع أبلج جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية اني تركت قول الشعر فأجيبي الأمير عني فقالت

اذا هبت رياح بني عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمي * أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظني في ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا أنك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيي منهم في المسألة فقال والله لأنت في هذا أشعر مني ووفد رجل من بني ضبة على عبد الملك فأنشد

والله ما ندري اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا * أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى ليأبى عني وان الحياء يمنعني فأمر له بألف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لأعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها ثم عرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتني مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الأوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروي أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الايام فقال له سلني حاجتك فقال كلب صيد فقال أعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال

فان لم

فان لم يكن لهم ضيعة من أين يعيشون قال قد اقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غابرة فقال وما الغابرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد اقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غابرة من فيافي بني أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذاقته بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بما له بعد مسألة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكي) عن المأمون أنه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما في الطريق واذا بمعصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الارض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم بروبيتها ووحدة الأرب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتي لأحسنت مطالبتك ولأنت على رد ما لم تفعل أقدر من رد ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد علي ما قلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمي فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهي تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب فكان في السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفي السطر الثاني الضرورة والأمل أقدماني عليك وفي السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الأعداء وفي السطر الرابع اما نعم مثمرة واما لا مريحة فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر ألف دينار (وحكي) أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها متهيئا للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لي على ابن عبيد الله دينارا ومعي بها اشهاد عليه شرعي فخذي الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الأبيات يقول

قالت وقد رأت الاجمال خارجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكي

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك وما زال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكي) أن مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة

حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيى مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي * وما لي كالدراهم من دواء

فلما قرأهما معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير وقال آخر

حرزتك لا أني جعلتك ناسيا * لامري ولا أني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لي * ماذا لقيت من الجواد الأفضل
ان قلت أعطاني كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانني * لابد أخبرهم وان لم أسأل

وقال آخر

لنوائب الدنيا تأتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تريد لومة كربتي * أم في المعاد تجود بالانعام

ومما يحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غني قد نشأ في الفقر وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محكم السعدي

اذا ما رماك الدهر في الضيق فاتجع * قديم الغنى فالناس الك حامد
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن

يأتي

باتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عرضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال احمد الانبارى

لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

وقال سالم الخاسر

اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم

وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * يا ذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤال المخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فمقصودنا الذى * ترجينه باق فلوذى ببابه

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لصحبى ما وجدتهم * بحانت الله لبانى وأغنانى
واها على تبذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت الى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فرد ردا أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى أن لكل قوم شيئا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شئ أوجع للأحرار من الوقوف بباب الاشرار

وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملئ اهابه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائى منهم بذبابه
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه * ولا ذا يرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به

اذا ظالم استحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها * ستبدى له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته * أناخت صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزى بالأمر الذى كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

لا تسألن الى الصديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخ الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما فى كفه * ومتى علقت به فأنت ثقيل

وقال آخر

ليس جودا أعطيته بسؤال * قد هز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعى رضى الله عنه

قنعت بالقوت من زمانى * وصنت نفسى عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالى اذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص * رأيته بالتى رآنى
ومن رآنى بعين تم * رأيته كامل المعانى

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك) *

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا واعتابوا فانها تجلب المودة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها وفى الأثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر ومن الأمثال اذا قدمت من سفر فاهد لأهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا

استعطف السلطان ولا استليت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أتاه الله رزقا من غير مسألة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فأما اذا أتاك من غير مسألة فانما هو رزق الله ساقه اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر الهدايا طى المعاداة * ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت بهم قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها أهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الأضداد وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون اهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الأشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا منا رطل مسك ومشتا فروة سمور * وأهدت قطر الندا الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم وأهدت ثريا بنت الاوبارى ملكة افرنجة رما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير ملون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجلب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها تشبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما بجميع خلقها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة

تسع وثلاثين واربعمائة هدية عظيمة اشتملت فيما على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار مغربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار مغربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فأنفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

سُرَّ بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة بن الهذيل الى موسى بن عمر دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرؤ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب لا فى ثياب مصر فلا وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد بعث مواليها فقال

جعوا مواليك يا برهان وأعمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما حلوت به * ثنيتيك وما ردت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفى سودده ما يوجب

التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بأنه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبد ما قل فان رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله بإهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثيرا ما يهدي الكرم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة أن الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولي المظالم فأهدى اليه هدية فقال الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها * وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك) *

أما العمل فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال افضل العمل أدومه وان قل وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قليل مداوم عليه خير من كثير مملول وفي التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق وكان ابراهيم بن ادهم يسقي ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلي بالليل وعن علي رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفي عني حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وقال الاوزاعي اذا أراد الله بقوم سوءا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكما لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظني فقال له الولي بلغني رحمك الله أن أعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه وقيل من جد وجد وأنشدوا في المعنى

اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الغرض وقال بعضهم

واني اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضي الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله وقال بعضهم العمل سعي الأركان الى الله والنية سعي القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله

هباء الا مع الاخلاص هذا هو العمل * وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أي دروع من الحديد وذلك أن داود عليه السلام كان يدور في الصحاري فاذا رأى من لا يعرفه يتحدث معه في أمر داود فاذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول اني لا أجد في داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام في محرابه وتضرع بين يدي الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقي في تحت رمحي فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من كسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما اعلم من المسألة لما سأل رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان هاهنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا ارزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عيني واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم في السعي

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهين وعن أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق واني لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبني بمظلمة ظلمته بها في أهل ولا مال * واما ما جاء في العجز والتواني فقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما امكن مما تحمد عواقبه قال الشاعر

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضي الله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل لحذر مجالسة العاجز فان من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوزه

فله الصبر وبناه ما في العواقب وليس العجز عند الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الاماني ومن التوفيق بعض التواني وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعي رضي الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال علي رضي الله عنه التواني مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف وقيل من العجز والتواني تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقي هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التواني أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكي * فانكما لا بد أن تلد الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن في الامر كله * ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضي الله عنه سعيد بن العاصي عن المروءة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختياني يقول يا فتيان احترفوا فاني لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعني الامراء وقال رجل للحسن اني أنشر مصحفي فأقرأ بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشي وليكن يومك في صنعتك وما لا بد منه ومر رحمه الله باسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتي ما أخشن الليل مركبا * وأخشن منه في الملمات راكبه
ذريني وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد الغشمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر

فلا تركنن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابي العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للاماني المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التواني في صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بني اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال أبو العتاهية

اذا اوسع الراعي على الارض قدره * يحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف
والاحالة على المقادير وهذا من اقبح الافعال وأما التأنى فانه خلاف التوانى وهو الرفق
ورفض العجلة والنظر في العواقب وقد قيل من نظر في عواقب الامور سلم من آفات
الدهور ومما جاء في ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والاخرة
وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا
يفارق شيأ الا شانه وفى التوراة الرفق رأس الحكمة وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته
السلامة ووجد على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى
ادراك الأمل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا
يد الرفق يجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق
والتأنى فيما ذا يدرك وقال المهلب اناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت
وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها
تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر
ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة وأما
الصناعات والحرف وما يتعلق بها فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل وكان صلى الله
عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان
لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه
على خياط فقال له يا خياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودقق الدروز وقارب
الغرز فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه
قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ
بها الايادى وتطلب المكافاة وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع
من ليس بصانع وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون وكذب الدلال مثل
وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع
قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين
سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لأنهم اكلوا الربا وعطلوا
الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الأرذلون قيل هم

الحياكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربي ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذي يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الأحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه في بيته وكان أردشير بن بابك لا يرتضي لمنادمته بذي صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم قال أبو العتاهية

ألا انما التقوى هي العزم والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول

(الفصل الاول) في شكوى الزمان وانقلابه باهله روي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكي) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الأبيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها في بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ في صبحها * جرعته ممسيا كأس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

ومثله

وما من يوم أرتجي فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمس

ومن كلام ابن الاعرابي

عن الايام عذ فعن قليل * ترى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فالناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

وَدخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمري الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم في رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فمت مكاني فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كاماتني وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولي خراسان حاز من الاموال ما قدر لنفسه أن ان عاش مائة سنة ينفق في كل يوم ألف درهم على نفسه أن يكفيه فرأى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصفحة وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة في يوم شات وهو جالس في قبة مغشاة بالسمور وجميع فراشها سمور وبين يديه كانون فضة يجمر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك في رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسماعيل مروان بن محمد ونزل في داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ في عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار تأوي كل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخلها الحزن وذهب بأهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت في الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضي الله عنه بين يدي ابن زياد في قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤوس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت الشرورا

قد يبيت الفتى معافا فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر في قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش في وسط الماء وفي وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعى بها فاذا فيها مكتوب شعر وهو لمنافي رضوان عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير ما استعمله الحذر

أحسنت ظنك بالايام اذحسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد في السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع في بطانة جبة بغير ظهارة ومديده يسأل الناس بعد أن كان ملكه لأقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد المهلبي قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث الا أنه من أهل الأدب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبي الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذي كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسي * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أي الزمان أدركته أفضل وأي الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلي جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يا معرضا عني بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا * بشوا الي ورحبوا بالمقبل
وبقيت في خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت في المنزل

وقال آخر في معناه

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للكرام مـــرتع

ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقي الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي

وانى رأيت الدهر مذ صحبته * محاسنه مقرونة بمعايبه
اذا سرني في أول الأمر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتي الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كان بسمعه عن سماع المواعظ وقرا وقال آخر نحن في زمان اذا ذكرنا الموتى أحييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء أماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل بيت

فما من مسيئ وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

وقال الامين

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

قال بعضهم

وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتي من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللامير أبي علي بن منقذ

أما والذي لا يملك الأمر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندي أشد وأعظم
وبي كل ما يبكي العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأيم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم النقم ويزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل

الفاسد قال الشاعر

يعولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله أعلم (الفصل الثاني في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير جعل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله

عنه انه قال احفظوا عني خمساً اثنتين واثنتين وواحدة لا يخافن احدكم الا ذنبه ولا
يرجوا الا ربه ولا يستحي احد منكم اذا اسئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول لا اعلم واعلموا
أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد
واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلماً فمات وحبسه
مات شهيداً فان ضربه فمات فهو شهيد وروى في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل
سوأ يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر أليس تمرض أليس يصيبك
الأذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من
سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك أن العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر
على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس
فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلاء الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث
أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث
والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان
فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم اقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى
صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث
مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم
عليك بأبي جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وامية بن خلف فقال علي رضي الله عنه
والذي بعث محمداً بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون
بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيئات ورفع الدرجات وروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيري الدنيا والآخرة
الرضاء بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء في الرخاء (وحكى) أن امرأة من بني اسرائيل
لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه
فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم يقدر على ذلك الى
أن أتى حبراً من أحبار بني اسرائيل فشكى له فقال لا أجد لك دواء الا أن تدعو عليك
هذه المرأة فأرسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من
سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك في بيضها قالت هو كذلك فما زال
بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر
من أين علمت ذلك قال لأنها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها
ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من

الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا ومن أحسن ماقيل فى ذلك من المنظوم

واذا امسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصبر وانتظر بلوغ الأمانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتجلت

ولمحمد بن بشر الخارجى

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبى سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشم ناضرا * ويطرح فى البيدا اذا ما تغيرا

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

وقال أبو الأسود وأجاد

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ماجوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولاحفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال آخر

ويوم كان المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من قدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر
نفس يانفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لاتدفع الا بعزائم الصبر وكان

يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبني والصبر رباني * والقوت أقنعني واليأس أغناني

وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

وما أحسن ما قال محمود الوراق

اني رأيت الصبر خير معول * في النائبات لمن أراد معولا

ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرى الغنا فجعلتها لي معقلا

فاذا نبا بي منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لي منزلا

واذا غلا شئ علي تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا

فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وما مسني عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

وما أحسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة * لا بد أن يقبل أو يدبر

فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي أن تزهق وضاقت علي الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروي عن ابن عمه علي رضي الله عنه أنه قال الصبر مطية لا تكبو وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو

لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي أنه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوعظني ويؤدبني ويسليني وقيل ان رجلا

كان يضرب بالسياط ويجلد جلداً بليغاً ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال ثم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا لي صديقاً لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لأجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لأصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله عنه هم نوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولو العزم فأقول (ذكر ما صبروا عليه) أما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرنك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحاً عليه السلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال أنا على كل شئ قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكفوا عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال

وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين
ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل
التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره
على قومه وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها
لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائزا
كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم أن احتطبوا
لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرق فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك
أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كادوا الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك
الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهيبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهيبها
ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم
عليه السلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان
عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك
حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال
الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام
فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام
في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل اكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه
بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه السلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه
الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق
به ثم جاءت قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال
وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب
التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على
ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين
خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبيح
وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال اني أريد أن أقرب
قربانا فاخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك
يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقي كي لا اضطرب واجمع ثيابك حتى
لا يتصل اليها رشاش الدم فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقي ليكون
أهون للموت علي واذا اتيت أمي فاقرأ السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه السلام على ولده
يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين
على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدي جعل الله حلقه

كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيئا. فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودي أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم أن جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلي بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الاخرة وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ولنذكر شيئا مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بني اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له في مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطني على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها في البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلي فتمثل له في صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلي ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع فما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذي أعطاني ذلك كله ثم قبله مني ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يا رب سلطني على جسده فسلطه فنفخ في ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقي أمعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلت فنزرت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما في صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمي فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفاني الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة تأمريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وأنت ارحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهي على ما قيل ثمانية عشر سنة وقيل غير ذلك وأنه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر

وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا فأثنى عليه من نعمه ما أثناه به بلوى نفسه ومحنه من أقسام كرمه أن أفتاه في يمينه بحلة قسمه ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولو العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤلهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم ولن قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجزل الشيء من ساق القدر اليه جزعا ووزرا ومما شنف السمع من بحر هذه الاشارة وأتحف النفع في فحوى هذه العبادة ما روي عن الحسن البصري رضي الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال أكتم على أمري حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت في أضيق حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالأمس أخرج جماعة كانوا معي فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقي وأخذني حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني فقلت الهي أشتد الضر ونفد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شيء عن شيء يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ انت العالم بخفيات الأمور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف علي منه كلمة واحدة فأتممت القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانصرف يقصد الحجاز وفيما يروى عن الله تعالى أنه أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الأبيات

يا من ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل * عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

والمحبس

ولما حبس ابو ايوب في السجن خمسة عشر سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا ابا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها

ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها

صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتنى ووعظتنى وأنا لها * وستنجلى بل لا أقول لعلها

ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما وانشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر) قال الثورى رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكى وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم اوسع لنا في الرزق فقال ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لاهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال اى رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألنى درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن ابتليه لأبلغه تلك الدرجة وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى حكى أنه خرج الى الوليد ابن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الأطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى

فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضموها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده أنه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافر بن وسعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل ＊ فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما ＊ صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما في نبى الله يوسف أسوة ＊ لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة ＊ فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى ＊ حبسى وأى مهند لا يغمد
والشمس لولا أنها محجوبة ＊ عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوءة ＊ لا تصطلى ان لم تثرها الأزند
والحبس ما لم تغشه لدنية ＊ شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم كرامة ＊ ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن في الحبس الا أنه ＊ لا تستذلك بالحجاب الأعبد
غر الليالى باديات عود ＊ والمال عارية يعاد وينفد
ولكل حى معقب ولربما ＊ أجلى لك المكروه عما يحمد
لا ييأسنك من تفرج نكبة ＊ خطب رماك به الزمان الأنكد
كم من عليل قد تخطاه الردا ＊ فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد ＊ ويد الخلافة لا تطاول ولها يد

قال وأنشد اسحاق الموصلى ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى في أعنتها ＊ فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه ＊ الى العلاء ويوما تخفض العالى

فأمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدبر حين عزل

ليهن أبا اسحاق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لأنك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والخمسون فى ما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يتوهم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة (روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم ما لك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سحنة مظلوما أخروه وأنا اراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد ايام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي الى ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الاية وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا فعاهدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ما ذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما اصبح الا على الطريق وقال اسماعيل بن بشار

وكل حزن وان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فرأيت انسانا أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج أخفاف

فأرسلتها مع جاريتي لبعض معارفي فباعها بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل وإذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب وإذا بإنسان يقول قد أمنزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالحياط على ذلك فأخرج لي كتابا وقال هذا من الأمير يزيد بن مزيد فإذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم فتجمل بها القدوم علينا فأخذته إلى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيئا يشتري به هدية لأهله وتوجهنا إلى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استأذن لي عليه فدخلت فإذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الأبيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الأجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس إنعاما وإرغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت إليك فانهض بنا إلى الرشيد فسرنا إليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الأرض وسلمت فرد علي السلام فأنشدته ما لي فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر إلى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الأمن والخوف أيام مداولة * بين الأنام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتي به إليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد ابن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طال ما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طال ما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وإن سبقني ملك الموت إلى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما ركع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الأسير قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول لي أطلق القاتل فارتعت لذلك

ودعوت بالشموع ونظرت فى أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتنى أطلقتك فحدثنى أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءتهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشى عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله فى أمرى فان هذه العجوز غرتنى وقالت ان فى هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسين بن على فاحفظوهم فى فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة وقال لا بد منها وقاتلنى فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتنى وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدى فتكون وأتوابى اليك وهذا أمرى فقال اسحاق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتنى لهما لا أعود الى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير أخرنى الى غد قال وأى فرج لك فى تأخير يوم وأحدثم أمر بردّه الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه • له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وأتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال فما ذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فأخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للأعوان فأطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فأبوا وحبست أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فسدّ بابه فتفصل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجد والطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا • فأضيق الأمر أدناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة • فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

لعمرك

لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا • ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الأرزاق في القرب والنوى • عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى • ألا رب ضيق في عواقبه سعه

وقال الرياشي ما اعتراني هم فانشدت قول أبي العتاهية حيث قال

هي الأيام والغير • وأمر الله ينتظر
أتيأس أن ترى فرجا • فأين الله والقدر

الا سرى عني وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فأرسل الى قائد البحر وقال له أنفذ الآن مركبا الى افريقية يأتوني بأخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب في موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسجد ثم مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكرر ذلك مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت وما زلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر ابن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه في الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له أعطني بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه اياها فأخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الأشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولد لي ولد في هذه الليلة فاحتجنا لأمه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا

كبيرا الا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيأ من العطر فأطوف به صدر
النهار وعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به فاشتريت هذا
العطر فحين أتكب الطبق علمت أنه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال
أبو حفص وكان رجلا من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص
يا سيدى أريد أن تأتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا
الى منزله فأقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فأعاد عليه القصة فقال له الجندى
وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة
الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه
قال نعم فأخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله
وعلامة صحة قولى أن فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر
فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير
واكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا
وأبى أن يأخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعا فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من
الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم اغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى
أن الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه ولم
يجد واله شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر
وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعاء الذى
فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان وبعض هذا ما حكاه
أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة
بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار
واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع
فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فأبوا
الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فأصبحوا فى عافية
ورحلوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط
فمات لوقته قال وأخبرنى أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار
الى دار هناك قضية عجيبة قلت وما هى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن
يسافر الى الكوفة فى تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع ما معه من الخز فى خرج وحمله على حماره
وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك
فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه
من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى أأنس
بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك

وارغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على اثرك فظننا أنك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فغير اجانها عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك انحانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله ما لى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاء وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال ما لك قال أين مالى يا خائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (وليلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم

الى اخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا أكتب في الالواح وامتزج بالارواح وعدلت جملة البشائر العظام وجرى في العروق ومشى في العظام وكان خالد بن عبد الله القسري أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لأرى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولي أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الأحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدن أطيب الطيب طيبا * ان تمسه أين مثلك أينا

ودخل على المهدي اعرابي فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتاني آت في منامي فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم أرث الخلافة من قريش * تزف اليكم أبدا عروسا

الى هارون تهدى بعد موسى * تميس وما لها أن لا تميسا

فقال المهدي يا غلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد يتشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها في بخانق صبياننا وقال ابراهيم الموصلي في تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هارون أشرق نورها

تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهارون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألف ودخل عطاء ابن أبي صيفي على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهي تقول لا والذي أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان) *

(الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) عن على رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله عنها اشترى لها

بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ابوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن أبي مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثني أبو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما أخرجتك من يدي فأعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب في أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضي الله عنه أتي ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعوراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسين بن علي ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدي

نهيتكم أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فيعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعرهذه الابيات

فما انكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقي الأبطال يطعنهم شزرا

وياخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بني ذاك والله أنت وأمر له بمائتي ألف درهم مثل ما أمر للسابق والله أعلم (الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم) روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد إذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطلعها على ما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

وما لي غلام فادعو به * سوى من أبوه أخو عمتي

وقال أكثم

الحر حر وإن مسه الضر * والعبد عبد وإن ألبسته الدر

ودعا بعض أهل الكوفة إخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

إذا لم يكن في منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد

فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشتري له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة فجئتك بالطبيب فإن شفاك الله تعالى وإلا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الأعجمي يلي حكم السند فكتب إلى موسى الهادي أن رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فإذا هو على صدر مولاته فعمد إليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه إلى أن برئ من علته فأقام الغلام بعد ما مدة يطلب أن يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فمنعهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى إلى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابناي للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتني لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ما هي إلا نفسي وإني لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود إليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال إن جبك لنفسك

فارى وقتل أولاد الزنا دة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبر ملوسى الهادى فكتب موسى
لصاحب السند والى عمرو الاعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج
من مملكته كل أسود فما ترى أردى من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون
لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما يتصل بيدك اليه أنكره كأن لم ير منك شيأ وكلما أحسنت
اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته ۞ وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية
العبيد والمولدون منهم الأم من الزنوج وأردى لان المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف
الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس
فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا
أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله
دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون . قال أهل اللغة البحيرة
ناقة كانت اذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا
من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى . وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد
بينهما ولا ميراث . وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت
ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم
وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى
ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وقوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت
الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة كانت لهم تعبدونها وهى الاوثان واحدها
نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى
فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهمه ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته
واذا خرج النهى لم يمض . ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية
اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى
واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم
خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل
يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان

يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فانكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا وأما الرفادة في الحج فكانت تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف وخمسة دروع فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر في الكعبة واعلم وفقني الله واياك أنه لم يسمع بعجب أعظم من عجب ابن زرارة وعبيد الله بن زياد التميمي وابن سماك الاسدي الذين ضرب بهم المثل فا سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله وأما عبيد الله بن زياد التميمي فقيل انه خرج الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم راحلتي على لا أصلي له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا فصدا فانظر رحمك الله الى هذا كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصار واحدهم مستبشعا ومثلا بين العالم مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم (حكي) عن الحجاج بن يوسف الثقفي أنه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق ومنزل لو أن الله أظفرني بأناس بلغني الأمل فيهم وأعانني على الانتقام منهم فكنت اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنهم من عجائب الحجاج وان قلت في جنب سيآته والله أعلم (ذكر أديان العرب في الجاهلية) كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة والحارث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم منهم زرارة بن عدي وابنه وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن يحيى أبو خزاعة وهو أنه رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الاصنام

ذلك

ذلك فقال ما هذه الاصنام التي أراكم تعبدونها قالوا هذه اصنام نستمطرها فتمطرنا
ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطوني منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه
صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وقيل ان أول ما كان
عبادة الاحجار في بني اسماعيل وسبب ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت
عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما
نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوا
من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسماعيل فعبدوا الاوثان وصاروا
الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة
يقال له هبل أيضا واتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندها ويطعمون وكان
اساف ونائلة رجل وامرأة فوقع أساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل
كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر
ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب
الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبة وكانت
اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني معتب من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج
ومن دان بدينهم وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه السلام
وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن
يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه في
مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا
كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان
عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة في مصلاكم فعبدوها الى أن بعث
الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا ما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها
الشيطان لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في البسيط أن هذه أسماء قوم صالحين
كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا
صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال
بالاحوال فحسن لهم عبادتها وان من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم وقال
الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أي ذلك كان (ذكرا وابيهم)
الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا
منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال
لم تخني الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقة عند قبره وسدوا

عينيها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها التعمية والتفقية كان الرجل اذا
بلغت ابله ألفاً فقأ عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف
فقأ عينه الأخرى المعرّ داء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن
ذلك يبرئ داء المعر ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا
الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصد ون البقر عن الشرب الهامة كانوا يزعمون
أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة
فلا يزال يصيح على قبره اسقوني اسقوني الى أن يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب في الجاهلية
في النفس وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هي الدم وان الروح الهواء الذي
في باطن جسم الانسان الذي منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد
في الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته
وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينبسط من جسم الانسان
اذا مات أو قتل ولا يزال متصوّرا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له
وفي ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى
ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير
كضرب من البوم يتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع
القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت
الصفر زعموا أن الانسان اذا جاع عضّ على شرسوفه الصفر وهي حية تكون في البطن
تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت في أول ضربة فاذا ثنيت عاشت الغيلان
والتغوّل للعرب في الغيلان والتغوّل أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغوّل
لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن
الغول حيوان مشوّه وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه
الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل (وحكي) أن
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رآه في سفره الى الشام فضربه بالسيف وقال
الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه
خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم أنه أنثى وأما القطرب في قولهم فهو
نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر
في أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدوّد دبره فيموت وربما تراءى لانسان
ومسّه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه
أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا

عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه (ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه ليت شعري هل بعث علي فلما انصرفنا من مكة فالحافي بعض الطريق فأجابه صوت في الظلام نعم نعم وناكحها جحبة وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كية فسكت الرجل فلما صرنا إلى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي فإذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لأهلي من هذا فقالت رجل كان ألطف جيراننا بنا جزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت جحبة فقلت الحقي بأهلك وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فإذا أخذ بثاره بكينه. وأما رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام إذا ثغر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال أبدليني بأحسن منها فإنه يأمن على أسنانه العوج والفلج وأما خضاب النحر فكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة. وأما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها. وأما جز النواصي فكانوا إذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته وأما الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فإن التفت تطيروا له وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم تشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الأبكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمها فإنها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سننهم وهو أن الرجل إذا مات قام ولده الأكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فإن لم يكن له فيها حاجة زوجها لبعض إخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنجوم والرؤيا وما أشبه ذلك

أما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الإسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك

من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار فمنهم سطيح وردّ عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لأجله وذلك أن الموبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الإيوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلي رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فإن كان عندي علم منه وإلا أخبرته بمن يعلمه له فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتني بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه إلى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح إلى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملوكات بعدد الشرافات وكلما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح إلى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (ويحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك إلا شق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح الذي رأيت مناما هالني فإن عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيئا فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين إلى جرش فقال الملك إن هذا الغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال أرام ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من العلي قال وممن يكن هذا النبي قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر يكون في قومه الملك إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أحق ما تخبر قال والشفق والقمر إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح ومن ذلك ما حكى أن أمية بن

عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة
سود الحدق تنحر بمكة فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبآ له شيأ
وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكمنا
اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا صدقت
احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا
فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى
بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولأمية أواخر فأخذ هاشم الابل ونحرها
وأطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة
وقعت بين بني هاشم وبني أمية (وحكى) أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت
الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت
تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة
فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هند رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل
عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط
وما انتبهت حتى أنبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها
يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسست عليه من يقتله
لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو
على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن
فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم
هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند
فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله
ولكني أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بميسم يكون على سبة
فقال لها لا تخشي فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في احليله حبة حنطة
وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك
في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد أبين
من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل
واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير
رسحاء ولا زانية ولتلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت
يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها
أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه * وأما القيافة فهي على ضربين
قيافة البشر وقيافة الأثر فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان
وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا

فيلحقه بأحدهم (وحكى) عن بعض ابناء التجار انه كان في بعض اسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شئ فلما رجعت الى أمي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا أن هذا شئ ستعلمه غدا في الدار الاخرة لما أعلمتك به في الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب أنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في قطية وثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد وقفت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبني مدلج في أحياء مضر واختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الأثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل في الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر ابنته أن تخط لي في الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدري فيما قامت لاى شئ قلت لا قال قد علمت أنك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي غازيين فمرا بامرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى يموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت * وأما الزجر والعرافة فأحسنه ما روى أن كسرى أبرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عادا اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه وملى الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضع قدميه في الماء وعن يمينه

علي رضي الله عنه فلما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم قال له تحوّل فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليتملكن ما تحت قدمي فتفاءل بالنشر العلوي وبالماء الحياة وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أوّاه ما أظنني أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن منه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما مروان بن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فنيحه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهر بن حتى مضى ملك مروان (وروى) المدايني أن عليا رضي الله عنه بعث معقلا في ثلاثة الآف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لأحدهما على الآخر (وحكي) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بين يدي أدبر طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكي) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لأميره اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه أنف من مقاتلتهم على شيء من ذلك الاعلى حمار فلما أن استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك

(وحكى) انه كان عراف من المطرقيين ببغداد يخبر بما يسأل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأى شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك . وأما الفال فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه ابشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعى سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك وأما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن ابى هريرة رضى الله عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة فى دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب مما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب أقفال

وقال لبيد

لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم أنه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه أن دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

و العرب أعظم ما يتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا

وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صاح صاح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

واعترض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقال من ارتحل وفي ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والموذنات بفرقة الأحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة في ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن ابى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيئا فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هموقتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهى وغنى بما يسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء في هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكى فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومى الى لعنة الله فقالت والله يا مولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت الا انك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت الى وقال يا عمى أرى أن هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الأمر الذى فيه تستفتيان فقال لى أسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد ابن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فأنشد أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابى الشمقمق بعشرة الاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد

الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى
الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الأيدى وبؤتم بغضب من الله
اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى
لأنكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لأعجب من لوط وقوله لو أن لى
بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فأى ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التولى
أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى
عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد
أمرته أن يسئ الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم أنكم تقولون بعدى لا أحسن الله
له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا وأستغفر الله
العظيم لى ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه
وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالأعور فأمر له بمال
فقال لا حاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى
فضربتنى وحبستنى وتلقيتك فصدت وسلمت فأينا أشأم صاحبه فضحك
منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا ان صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن
تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفرد

هذى الليالى علمنا أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى
أن نور الدين محمود وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال
محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا
الشهر فان العام كثير قال فأجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الأزل فمات أحدهما
قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام

وأما الفراسة فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد
شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على
على رضى الله عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من
ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته
فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت
واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده
(وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن أنهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر
انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار (وحكى) أن شخصا من
أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر

فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل في دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئاً على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم علي وتمارتا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهي قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالي بني سليم ولم يكن في الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول في هذه الرمانة كذا كذا حبة وزنتها كذا كذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشيء ما عند الله خير وأبقى فاعلم أن في جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شيء فاعلم أن امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشي ويلتفت فاعلم أنه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم أنه في حاجة غني واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالي وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم أنه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي يطول تحديقها يدل على الحمق والتي يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر في الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت في الوحوش دل على ضيقة واذا فشا في الفار دل على الخصب واذا نعق غراب بجاوبه دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة بجاوبها غراب خرب العمار والله اعلم بكل شيء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين * وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وروي أن ام سليمان بن داود عليهما السلام قالت له يا بني لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة ابن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا استحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيثوا ثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى عند الصباح يحمد القوم السرى وأنشدوا

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفرد

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب انه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك اتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد او ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشيطان لا يقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطلح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثوري لطبيب دلني على شئ اذا أردت النوم جاءني فقال ادهن رأسك واكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لئن تختلف السياط على ظهري أحب الي من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتني النوم وأنشد وافي المعنى

غيرت موضع مرقدي * يوما ففارقني السكون
قل لي فاول ليلتي * في حفرتي أني أكون

وأنشد ابو دلف

أما لكرى ردي على رقاديا * ونومي فقد شردته عن وساديا
أما تتقين الله في قتل عاشق * أمت الكرى عنه فاحيي اللياليا

وأنشد ابو غانم الثقفي مفرد

رقدت رقاد الهيم حتى لوانني * يكون رقادي مغنما لغنيت

فقيل له لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبوني اذا أنا مت فبكي ونام وندب فاذا هو قد مات * واما الرؤيا فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم أن ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الأطبا الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفرا يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى أنه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى في منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة

ومن غلب

ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهي والثياب المصبغة ومن يقع عليه التحقيق أن الرؤيا الصالحة كما قدمنا جزء من ستين جزءا من النبوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجيء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الجنة عذقا فقال لمن هذه فقيل لأبي جهل بن هشام فقال ما لأبي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول في قتل الحسين لما رأى أن كلبا أبقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لأبي بكر رضي الله عنه إني رأيت كأني رقيت أنا وأنت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضي الله عنها سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبي صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضي الله عنهما ودفنهم في حجرتها فكان الأمر كذلك (وحكى) أن أم الشافعي رضي الله عنه لما حملت به رأت كأن المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكى) أيضا أن عاملا أتى عمر رضي الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليت لي عملا فعزله ثم اتفق أن عليا رضي الله عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية. وأما من مهر في تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأني أسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التي تحتك قال علجة اشتريتها وفي رواية بجارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رأيت كأن في يدي خاتم أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الأكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارة لي قد ذبحت في بيت من دارها فقال هي امرأة نكحت في ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه أن الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت في النوم كأني أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغي أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون في جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه إلى السلطان وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كأن القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي أن ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فأعادت عليه فقال لأخته هذه تزعم أني أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع

ومات بعد سبعة أيام وجاء رجل فقال رأيت كأني آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقي صفاره فقال ان صدق منامك فانت نباش الموتى فكان كذلك (وحكي) أن ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكي) أن رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال يا نبي الله صليبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عيسى يدعو على الرائي فكان كذلك ورأت ابنة مغيث آت في المنام فقال لها الك البشرى بولد أشبه شيء بالاسد اذا الرجال في كبده تمالوا على بلد كان له حظ الأسد فولدت المختار بن عبيد وذلك في عام الهجرة وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأني بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلي أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعي رضي الله عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي ناولني كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت آخذا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا انظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأي عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا فلست أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بما له عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تضرعت الى ربي سنة ان يريني أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألني عن عقال بعير الصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمترف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة ما لم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال قد علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب

خدعة ولما اراد عمر رضي الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فاتوه بقدح فيه ماء فامسكه
في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فالقى القدح من يده فأمر عمر
بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك
لا بأس عليك أمان ولم اشربه فقال عمر قاتلك الله لخذت مني أمانا ولم أشعر وقيل كان
دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن
شعبة والسائب بن الاقرع وكان يقال الحاجة تفتح ابواب الحيل وكان يقال ليس
العاقل الذي يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للامور ان لا يقع
فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصراني لو أسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام الا انه
يمنعني منه حبي للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد اسلمت فان شربتها حددناك
وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فاخذه بالحيلة
وقيل دليت من السماء سلسلة في أيام داود عليه السلام عند الصخرة التي في وسط
بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان
كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك أن رجلا أودع رجلا
جوهرة فخبأها في عكازه ثم ان صاحبها طلبها من الذي اودعها عنده فانكرها فتحاكما
عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها
فدفع المدعى عليه العكاز للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم أني رددت الجوهرة اليه فلتدن
مني السلسلة فدنت منه فمسها فقالت الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم
فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان احكم بين
الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي
من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب فقيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله
ابن زياد ثم ادعى برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر
عليكم فارسلها ثم قال للناس اني لاجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب ان الله
ممدكم بملائكة غضاب تأتي في صور الحمام تحت السحاب فلما كادت الدائرة تكون
على اصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا
فانتصروا وقتلوا ابن زياد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدى الذئب على صبي احداهما فأكله
فاختصمتا في الصبي الباقي الى داود عليه السلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة
فحكم به للكبرى منهما فاختصمتا الى سليمان عليه السلام فقال ائتوني بسكين أشق
الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبي الله قال نعم قالت
لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى
سليمان بن داود عليه السلام وقال يا نبي الله ان لي جيرانا يسرقون أوزي فلا أعرف

السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان احدكم ليسرق أوز
جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو
صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فارسلت
اليهما ان يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة
ذلك الشاب وعاين شبابه علم أنها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا
فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك
قال ما يخفى على منه شئ وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع
البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون فلا اعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها
فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال
الذرة فتزوجت المغيرة وبلغ عضد الدولة أن قوما من الاكراد يقطعون الطريق
ويقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه
صندوقين فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره
أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار
أمام القافلة فنزل القوم فاخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد
به الجبل فوجد به الحلوى فبخل على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا
على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ ارباب الاموال أموالهم وأتى لبعض الولاة برجلين
قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعى بشربة ماء فجئ له بكوز فرماه بين يديه
فارتاع أحدهما وثبت الاخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للاخر
أنت اخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب
والبرى يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا
فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فاخبر بذلك القاضى اياس فقال اعلم بانك جئتنى
قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياس بعث الى ذلك الرجل فاحضره ثم قال
له اعلم أنه قد تحصلت عندى اموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر
سفرا بعيدا وأريد ان اودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا
وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب
الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا اشكوك
للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فاخذه وأتى الى
القاضى اياس فاخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها
له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منك بدا لى ترك السفر امض لا شأنك
لا اكثر الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز للداخل
عليه ليقتله انى لادلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق

الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه واخبره الخبر فاخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة ابكار وكانت لشيرويه عزم فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز اول مقتول اخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال قاقتى عاقنى فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما اراد الرجل الا قيامه من المجلس وقال المغيرة ابن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحارث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال ايها الامير لاخير لك فيها فقلت ولم قال رايت رجلا يقبلها فاعرضت عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت الم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لى جعل على أن الطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبى وجهنى عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة انت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فاراد أن أقتلك فقلت انما كبر ذلك عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يبلغه ما بلغنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قال عبد الملك للشعبى فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا عزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لاهل المغرب الناعى

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك اخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر واصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر واعرس بصفية وفرح المسلمون جاء الحجاج بن علاط السلمى وكان أول ما اسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لى بمكة ما لا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق فى تجار مكة فائذن لى يا رسول الله فى المضى الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فائذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى احتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت

الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يستمعون الاخبار وقد بلغهم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا
يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه
قد سار الى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتفوا حول ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال
قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة
فيقتلونه بين اظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا
محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي
من غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فاغتنم من فل محمد واصحابه قبل أن يسبقني التجار
الى هناك فقاموا معي فجمعوا الي مالي كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب
الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا
الخبر الذي جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم
والله قال قلت استأخر عني حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني
حتى اذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له
احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم على ثلاثة ايام ثم قل ما شئت
قال لك على ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية
وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولاصحابه قال ما تقول يا حجاج قال قلت
اي والله ولقد أسلمت وما جئت الا لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت
ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة
له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا
يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر
وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز اموالهم وما فيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من
جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق
ليلحق بمحمد واصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله اما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن
قال ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه و
تحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق
وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل
العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه
الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا
جاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

أتى فقد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأي ثم أتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني أمر وأحببت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذي بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فنستأصلهم فأرسل يقول لهم نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بني غطفان الى بني قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بني قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذي ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا ان تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وارسل عليهم الريح تنفر فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن الهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة

وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها (واما ما جاء فى اليقظ والتبصر فى الامور
فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده وقطع عنه
أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينام وحاكم لا يرتشى
فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنوشروان
كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا
عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق
الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه
بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت
من القلوب هيبته وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا
من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا
فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لأصيب من
فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال
لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب
بنت فاطمة الزهراء رضى الله عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو
قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من
الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى
البيت فقال ادخلى الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها
والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله
عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع
وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب
من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها
مسئول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر
من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت
وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقى
فى البرمة وفى غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله
تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازالة أسباب
الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه
فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على
الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم
بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة

ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فتمسك الاسود فقال له
يا أمير المؤمنين قد أخطأت واني تائب فاقبل توبتي فقال أريد أن أضربك على
خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت في واحدة فأنت قد أخطأت
في ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت
من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى
على يديك أن لا أعود فاستتابه واستحسن كلامه وله رضي الله عنه وقائع كثيرة مثل
هذه وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل
عنه ان رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان
ابن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الي وأنا أعرف بك منك بنفسك والله اني
لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة
التي عليك وهي لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه
ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك
الطريق واقتفى آثار ذلك الطريق الا المنصور ثاني خلفاء بني العباس ولي الخلافة
بعد أخيه السفاح وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث في
البلاد والنواحي من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت
له الجهات ولقد ابتلي في خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا
فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له في الخلافة قدم ولا ارتفع له مع
قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فما يحه
بإتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤوس عنادهم بأسيافه وكان بكمال يقظته
يتلقى المجد ويدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له
الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار
يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الأزدي قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابني
فلما خرج الجند أدناني وقال لي من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين
قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال اني لأرى لك هيبة وفيك نجابة واني أريدك لأمر
وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت اني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في
فقال اخف نفسك واحضر في يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك
عنده أحدا ثم قال لي اعلم أن بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتيالا له ولهم شيعة
بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم والطاف بلادهم
فخذ معك عينا من عندي وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي

ابن ابي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة اهل تلك القرية والالطاف من
عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده
وقل له قد سبروني سرا وسبروا معي ألطافا وعينا وكلما جبهك وانكر اصبر عليه وعاوده
واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة
الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فانكرها ونهرني وقال ما أعرف
هؤلاء القوم قال عقبة فلم انصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية واسماء اولئك
القوم وان معي ألطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وماكان معي قال عقبة فتركته
ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما الكتاب فلا اكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم
فاقرئهم السلام وأخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة
فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لي المنصور اني أريد
الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني أعظمه واكرمه
وارفعه واحضر الطعام فاذا فرغ من اكله ونظرت اليك فتمثل بين يدي وقف وقفة
فانه سيصرف وجهه عنك وقد رحتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ
عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا
قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء
فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم اقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد
علمت أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق انك لا تريد لي بسوء ولا تكيد لي سلطانا
قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت حتى وقفت
بين يدي عبد الله بن الحسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلي
فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثى بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير
المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل
يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعا بي
المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها
ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتني لأصلن رحمه ولأتابعن
البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول
لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها امسك عنها فقال اكشفوا عنها فلما رأى
نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قال الواشم الطيب وصب الماء البارد على وجهها
وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالجها المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه
فقالت لا اعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلان الحجامة فلما سمعت
ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا امير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله
أمتي ابتعتها بمالي ورزقها يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سنة

وأمرتها

وأمرتها ان تدخل منازلكم وتجمعكم وتتعرف احوالكم واخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا امير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي ادفعي اليه ما لا وامريه أن يبتاع به ما تحتاج اليه من الامتعة وأخبرني أن أمه لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله عنا وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة واردنا هذا لينبذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول ازواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف واذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما اراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما اشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

* (حرف الهمزة) *

(الاسد) من السباع والانثى اسدة وله اسماء كثيرة فمن أشهرها اسامه والحارث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وابو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة ايام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلوقة سبعة ايام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا اكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفزع من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى وروي أنه لما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زار الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شيء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت

السماء من ذي لحية أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فأحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الأسد يتشمم رجلا رجلا حتى انتهى إليه فضغمه ضغمة كانت إياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الأسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جريء على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر
يدل بأنياب حداد كأنها * اذا قلص الأشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد وسبب ذلك على ما قيل أن بخت نصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بخت نصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام أن اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرميا فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فرد علي فقال من أرسلك الي قلت أرسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرميا من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكي) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء (وحكي) أن ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الأسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الأسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه الفأرة فأمر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد فعطس فخرج منه الهر فخبأ الفار عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه أن صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به بدنه لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة

واذا

واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي تعيش الف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط اسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت اثقلت وان سارت ابعدت وان حلبت اروت وان نحرت اشبعت وفي الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطة الناس وقد اطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دخل قرب نارة فجذبه فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبرية ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفي الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى اي مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذي يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال اصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة اضعاف عادته حمل ويقل اكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من اي شيء هي من اجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على امه ولا على اخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم ارسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فاكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شيء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل اكله بالنص والاجماع واما تحريم يعقوب عليه السلام اكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النساء فلم يجد ما يلائمه الا ترك اكل لحومها فلذلك حرمها واما انتقاض الوضوء باكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابي وابن عباس وابو الدرداء وابو طلحة وعامر بن ربيعة وابو امامة وجماهير التابعين وبه اخذ مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم وخالف في ذلك احمد واسحاق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهير وغيره اكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا احرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تاكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض اضيف اسمها اليها قال القزويني اذا اتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شأنها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من اسفله الى اعلاه وله في احد جوانبه باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس

لم تأمر والنمل تعدو وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحملها ويمضي بها الى جحره لانه اذا
أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان يشبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين
يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدة شبق وربما
تسفد وهي حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان
فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج
أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب امره
أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها
من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى أنها تخرب الجدران وتشد ولادتها
بتصل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه أنه أبله وفيه قوة وشدة
وفي سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع
على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدير له وجهها فاذا أملكها بعد ذلك فانها تجري به
وهو راكب عليها ويجري معها (فائدة) ذكر ابن الاثير في الكامل أن صديقا له اصطاد
أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها
فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت
أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني
وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت
فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال انتصر قالت فاقض بيننا قال قد قضيت
فذهبت أقواله أمثالا ومن ذلك ما حكي أن عدي بن أرطاة أتى شريحا القاضي في
مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع
جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من
بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب
قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك
قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب
أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ الارتعاش العارض من البرد وان شربت
المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت أنثى وان طلت
عليها زبلها لم تحمل والارنب البحري من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغ
اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة
عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر
فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات
والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع الاسود وهو أشر
الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا

في رجله فانقدت جبهته (وحكى) انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل امه
وقيل لما دخل شبيب بن شيبة على المنصور قال له يا شبيب اني دخلت سجستان فقال له نعم
قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هم دقاق الاعناق صغار الاذناب مفلطحة
الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن شيوف
وقيل انها تدفن في التراب اربعة اشهر في البرد ثم تخرج وقد اظلمت عينها فتحتك بشجر
الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها
ذلك وقال الزمخشري اذا عميت الافعى بعد الف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتي البستان
وتلقي نفسها على هذه الشجرة وتمسح عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان
واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أشد عدو للانسان وقال بعضهم رأيت
حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى
كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية
تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها اجنحة تطير بها وقيل ان جلدها
ينسلخ منها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد
وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد اضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها
النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريد
ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها اذا شربت
سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها
حتى تكتسب قوة فاذا قويت اخذتهم وانسابت فأي جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت
صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل
العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها
في جحر لا يستطيع اقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم
ولا اظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوي قال
كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق ان العرب سرقوا منا قطار جمال
على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعنا القادر فوجدناه قد برئ فسألناه عن
حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أول حربوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها
الموت وبينما انا كذلك اذا أتوا بأفاع اصطادوها وقطعوا رؤسها واذنابها وشووها
بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم ولعلي ان اكلت منها مت فاسترحت
فاستطعمتهم فأطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا
ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت
وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم
أياما فلما انشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة

(فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى
كان ذات يوم جالسا فى بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وهى عرعت وصار
تتقلق مثل الذى يشكى فاراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا امرها
فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فامرهم ان يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فوجدت
الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود
فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد
جاءت الحية للملك وفى فمها بذر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها ارادت
مكافاتنا اجعلوه فى الارض لننظر مايكون من امره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان
قال فلما انتهى امره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب
ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه اصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن
عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة
خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر
المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها
فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فامر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن
ألطف ما اتفق له أيضا أنه كان بتلك البلد خياط اطروش وكان الملك الذى قبله قد
أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط
للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة
قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فامر باحضارها
فاحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هذين القضيتين فكانت
هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر
ثلاث مرات وقيل ثلاثة ايام وأما سكان البيوت فالانذار فيها متعين وفى الحديث من قتل
حية فكانما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى الى فراشه فلينفضه (الخواص)
يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لايؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على
من به وجع الضرس سكن الأيمن للأيمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من اكله
أمن من الامراض الصعبة (الابنى) وتسميه الرماة الابنية لانه من طيور الولجب عن
وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن
كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى
جوفه حصاة تنفع للمبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب ودماء الثعلب اذا طلى به ولسانه
ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا أنه بطئ الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة
ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى
بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فاكل السرطانات

بشي (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك اكثر ما يكون بقرب
البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليرام السمك فيأتيهم وهو مولع
باكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة
ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى
بالبنزهير الحيواني واجوده الاصفر واكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا
وضع على لسعة الحيات ابرأها وان وضعه الملسوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت
قرناه الا بعد سنتين وينبتان في اول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب
ولا يزال يزيد الى ست سنين فيصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما في كل سنة
مرة ثم ينبتان قال ارسطوطاليس وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة
فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت
اذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان
الذي يزيد في السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل اكله
(الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التي فيه واذا احرق واستاك به الذي به حفرة
الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت
الحصاة التي بالمثانة شربا والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (حرف الباء الموحدة) *

(باز) كنيته ابو الاشعث وهو من اشد الحيوان تكبرا واضيقها خلقا قال القزويني
انها لا تكون الا انثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة والشواهين ولاجل ذلك
تختلف الوانها وهو اصناف منها البازي والباشق والشاهين والبيدق والصقر
والبازي احرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار الملتفة
والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر امراضه من كثرة طيرانه لانه كلما
طار اغتلظ لحمه وهزل واحسن انواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء في ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة ان يكون طويل
العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين
مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب امره ان الرشيد خرج ذات يوم للصيد فارسل بازا
فغاب قليلا ثم اتى وفي فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل
يا امير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الجو معمور بامم
مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها اجنحة ليست بذوات ريش
فاجاز مقاتلا على ذلك واكرمه (باله) سمكة عظيمة قال القزويني يقال ان طولها يبلغ
خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب

فاذا رأوها طلبوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتها الريح فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها اهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادي والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) أنه أهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من اكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن اكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوي اطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضي الله عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته ابو الاخطل لطول ذنبه وانشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطي
تمشي الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطي

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل ابدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) بفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وابو عدي وابو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكى) انه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله اولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أول الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحت أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيزعزع بها فيظن من لا علم له أنه يمشي تحت جنبه وكان ابو هريرة رضي الله عنه يفلي ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان واكر على الرجالة وأنشد اعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني * لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي اذ خلون به * أيتام سوء أغاروا في المواريث

وقال أبو الرماح الازدي

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن * بوادي الغضا ليلي على يطول

تؤرقني حدب قصار أذلة * وان الذي يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن في رجلي حيث أجول
اذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث علي سبيل

وقال ابن أيبك الصفدي

أشكو الى الرحمن ما نالني * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أني تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكى عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا آوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحاق الحيلة في دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به في البيت فانها تنفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق في البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انه اكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة ارجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى أنه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له في اخراج الدم وعنده شره في مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الا أن ينشق او يطار ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت في ذلك الجلد الغليظ تنفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلة شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم يسكني البعوض
يملله فليس له قرار * ويثخنه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدي بالأغاني * تكرر في مسامعك العروض

ومن الحكم التي أودعها الله تعالى اياها أن جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشري في تفسير سورة البقرة في ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أودلجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطى من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعى عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه يجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا اسحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع ينبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى اكثر ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر وأنثاه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا اطلع عليها الفحل الموت تحته اذا اخطاء المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت برى البقرة تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى فى الاحيا ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فمر عليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان بعض المياه التى كنا نجعلها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على كتفيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على اطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة الاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم امر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كوثاه له أربعة الاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهوى ثم جعل الهوى على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق

(الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فاكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلى به على الأثر الاسود فى البدن أزاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال تمّ ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتأكل أفراخه ولمعادات الطير لها يجعلها الصيادون فى أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن أنها حسناء وهى أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أن تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم ما دام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما فى الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع ما فعلته فى يومها (بوقير) طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة ويمسك منها شئ فان امسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم

* (حرف التاء) *

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغير وهى أنثى فى ذكر اذا أطبق على شئ لا يفلته حتى يقلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله فى الغالب ستة أذرع الى عشرة فى عرض ذراعين أو ذراع ويقيم فى البحر تحت الماء أربعة أشهر ولا يظهر وذلك فى زمن الشتاء ويتغوط من فيه فى الغالب ويحصل فى فمه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره

واذا اراد السفاد اخذ انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا اقضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلطخ بالطين ويتماوت فيأتى التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم أزاله (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه ايضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار ليعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن ابى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضرة

* (حرف الثاء) *

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته أنه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى ومن ظريف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفى الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى ابى منصور الساماني ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا ابعد لصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ وأبو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر أعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الأسد اين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعدة قال فضرب الأسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر بالذئب فناداه يا صاحب الخف الأحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان للمجالس بالامانات وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا

حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال
حمار الوحش لي والغزال لابي الحارث والضب للثعلب فضربه الاسد في رأسه فرضها
فقال الثعلب انا اقسم حمار الوحش لابي الحارث يتغدى به والغزال لابي الحارث يتعشى
به والضب لابي الحارث يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضي ما اعلمك
بالفرائض من علمك هذا قال علمني التاج الاحمر الذي البسته هذا واشار الى الذئب
(ويحكى) ان الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له اما تنزل نصلي جماعة
فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فولى هاربا
فناداه ما بالك لنصلي فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى اجدد لي وضوا وارجع ومن
العجيب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ
فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد
الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب
يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله
الذي اتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه
يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في انف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من
اللوقة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت اسنانه وفروه انفع شئ للمربوط وزبله
اذا جعل على رأس اقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال
يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان او انثى وهو عجيب الشان في هلاك بني
آدم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت
الثعابين اهل مصر (لطيفة) قيل ان يحيى بن عبد الله بن جدعان كان في ابتداء امره
صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان ابوه يعقل عنه فضجر من ذلك واراد قتله
فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيئا
كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني واستريح قال فدنا منه فوجده
مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية
على اسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا هم رجال من
جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ
فاخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فاغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان من
الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيئا قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين

• (حرف الجيم) •

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون غالبا قفارا واذا اراد
ان يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة

ارجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا اهلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا انقطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على اكل لحمه (ومن خواصه) أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير (عجيبة) حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو لم افعل في يوم كذا وصار يعددا فعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ لأخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ما الهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم احذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم في رجمها فتهرب منه وهو

أكبر من الخنفساء شديد السواد وفي بطنه لون حمرة وللذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر
والجواميس قيل انه يتولد من أخثائهم ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره
أنه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا
طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه انه يحرس النيام
فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

• (حرف الحاء) •

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان
نجدي وتهامي فالنجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا اقتتل ذكران تبعت
الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين
سنة واذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى أنه اذا أفرخ ذلك البيض
تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون
في أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتت
على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق
في عنفوان شبابي فمر بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقبل فلما علم أنه لا بد
لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا اني قاتلي ظلما
فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله
لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل
الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا استعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه
وقل نسيانه وقوي بصره (حداة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض
بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي
لا تصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهي أحسن الطير مجاورة لانها اذا
جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفي طبعها أنها لا تختطف من الجهة اليمنى
لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب (عجيبة) روى الحافظ النسفي في فضائل
الاعمال ان عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى
بعض اخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة
فصليت ما شاء الله ثم وضعت رأسي على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب
يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك واغنني
بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فاذا بحدأة قد
طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهر ملفوفة في قطن قال
فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف في الظل
وتنقع في اناء زجاج فمن لسع فقطر منها في ذلك الموضع واكتحل بها ألقاها جهة اللسع ثلاثة

أميال ابرانه وزن سمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع في بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على جبلة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رآت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت في كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوي في حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشري برديك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطاطئ رأسها وتكون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلي) معروف ليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ما هو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ما هو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق (لطيفة) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفور وقال له أتشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى بها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه ان أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له في ذلك فقال عير هني من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعني ان أكون جبارا في الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتقى وكان حمار أبي سيارة مثلا في الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا سيارة قدوة لهما وحجة ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب أنه قال لا تركبوا الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال أعرابي الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الغرارة بطيء في الغارة لا ترقى به الدما ولا تمهر به

النسا ولا يحلب في الاناء قال الزمخشري

ان الحمار ومن فوقه • حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو تبلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثقاله اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة في هلاك ما عندي لمن عرف لطف الله رضي بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام في الذي ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذي يوجد في القرى والآخر أهلي وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولأجل ذلك يحمل الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ في يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعتري الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفار اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الا ذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطيرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الأسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبله من الحمام فانه تؤخذ فراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو النادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو وجدت أن برذونا أو فرسا أبيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمس دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام في الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرى

حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه
واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة

* (حرف الخاء) *

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر
ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطاف ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال
ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الابابيل
ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير
يؤنسه فلأجل ذلك لايجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان فى البيت وتحكم
بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء وأتت فطينته
وهى لاتزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت
لايشارك أهلها فى أقواتهم ولايلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الأنام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه أنه لايفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه
بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده
وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه
ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب الى شجرة يقال
لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من عشوته وينفتح عينيه (لطيفة) قيل ان خطافا
وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمتنعين
منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فتبسم سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت
فقال يا نبى الله ان العشاق لايؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر
ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش)
طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لايبصر نهارا ولا فى ضوء
القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله
الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه
يطير الفرسخين فى ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى
عليه السلام لما سأله النصارى فى طير لاعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى
تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير)
حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين
البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع
الانثى وهى سائرة فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى أنه حيوان بستة أرجل وليس

كذلك

كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثل من غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمسة عشر سنة لا تحمل وهذا الجنس أشد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا ألقى ناباه من الطول مات لانها حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره أنه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يبرئ ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهر حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شيء من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسو لأن كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الأطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقي يقول من به جرح كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن في أخس المخلوقات أهم الأدوية فسبحان القادر على كل شيء (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت في برج الحمام كثر الحمام في ذلك البرج والاكتحال بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال في مشيها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبي عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروي عن ابن عباس أو علي رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال اني خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت فأتى جبريل فقبض منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أي الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفي الحديث ما من فرس الا ويقول في كل يوم اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاث فرس للرحمن وهي المغزو عليها وفرس لك وهي التي تسابق عليها وفرس للشيطان وهي التي جعلت للخيلاء وفي الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق

النبي صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل اقوى من الانثى ولا برد علينا ركوب جبريل في قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تتبعها أحصنتهم فاغرقوا الان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فاعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهي أصناف منها الصافنات وهي التي اذا ربطت في مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى في الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه السلام تعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها في الماء الكدر رفرحا به فانه يرى شخصه في الماء الصافي فيفزعه ولا يراه في الماء الكدر وقد قيل في الحث على حب الخيل

احبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها أناس * ربطناها فأشركت العيالا
تقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الأباعر والجمالا

* (حرف الدال) *

(دابة) اسم لكل ما دب على الارض واما التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لي رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وأن الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفا فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقي من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخي يا عزرائيل أمهلني حتى يفرغ قال ليس في أمر ربي مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع في التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتي فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكأ على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم انه مشرف عليها تعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصى الارضة فاكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصاة فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصى التي اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت واما الدابة التي من أشراط الساعة فاختلف في أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الالوان وذلك

فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى او سائرين الى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصى فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهوى واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق ويعتزل بأنثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهوى اياما حتى تنفرج اعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العبل الضخم الذى لا يقطع الا بالفاس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب احدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها ام ناصر الدين وام الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بمسك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من سكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها انها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى اوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرة فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان

من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر واذا أريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستي

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدي الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها أنه يساوي بين أزواجه في الطعم ويذكر الله تعالى في الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم في توقيته وفي الحديث اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالي عن ميمون بن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثاني ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه في الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثاني خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبي باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفي الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب في أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شيء يضحي عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهي تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا أما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبي اسحاق الى هذا القدر

فارسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء
ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله
فان اسماعيل نبي الله فدي بكبش واحد وهذا فدي بما أرى

* (حرف الذال) *

(ذباب) وكنيته ابو جعفر وهو اصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقي
رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفي الحديث اذا
وقع الذباب في اناء أحدكم فليغمسه فان في احدى جناحيه دواء وفي الاخرى داء وان من
طبعه أن يلقي نفسه بالجناح الذي فيه الداء (وحكى) ان المنصور كان جالسا فألح عليه
الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به
ثم قال له هل تعلم لأي حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه
ومن خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يقعد عليه ذباب قط وقال المأمون
قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعني زنبور فحككت على
موضعه اكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا
العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت
بها المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس
وقيل ان الذباب اذا مات وألقيت عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع
هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة
لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها
ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول في سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب
حوله فمن هرب منها اكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس في الارض أسد يعض
على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبري العظم بري السيف
ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه
وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما أن الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد
تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون في ذلك هلاكه
فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا في الكلب والذئب واذا هجم
الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

* (حرف الراء) *

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسي ذكر لي بعض
المسافرين في البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا في طرفها المعانا وبريقا فتقدموا
اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفؤوس الى أن كسروه فوجدوه

كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدر وروحوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مسرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل فى بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

* (حرف الزاى) *

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح أنها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله تعالى حكمة فى بنيان بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض وبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية * (حرف السين) * سعلاة نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفار قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بأرض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفار يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفار وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة (حكى) ان اعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القطيطة

آخر

آخر فقال ما تصنع بهذا الخداع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قيل له بكم قال بما تزد درهم فقال انه يساوي نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما اكثر اسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج في زمان الشتاء في شهرين منها وتراهن يترددن صارخات في طلب السفاد فكم من حرة تجلت وذي غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب في النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان في بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ ويبر ولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسرى في جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفار فاذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس اسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدي بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

* (حرف الشين) *

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شئ من شعبها فرآى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شياه يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنى عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الايام انه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منهم وانقض على صيد فأخذه فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد (شحرور) طير أسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة (حرف الصاد) (صرد) حيوان يسمى الصهر صار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الراس (حرف الضاد) (ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه

بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما اكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس ان خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها الية في صدره واليات في كتفيه والية على ذنبه وربما تكبر الية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب امرها انها اذا سافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت انثى والله أعلم (ومن خواصها) ان لحمها ينفع للسودا ويزيد في المني والباه واذا احتملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا اعطي اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره في الارض الصلدة وعنده بلم فربما لا يهتدي لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه أنه يصبر على الماء يقال انه لا يشرب فانه يبول في كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الارض وتتعاهدها في كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة في بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعي مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يا رسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابي عند ذلك يا ويلاه ضب اصطدته بيدي من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما

على وجه الارض أحد اكثر بغضا مني اليك ولقد صرت الآن اذهب من عندك وما على
وجه الارض أحد اكثر محبة مني اليك ولأنت الساعة أحب الي من اهلي وولدي وما
تملك يدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولكن
لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني يا حبيبي قال فعلمه سورة
الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكانما قرأ القرآن قال الهنا
يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال يا حبيبي ليس في بني سليم أفقر مني
فقال لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله عندي
ناقة عشارية اعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبرجد
الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تختطف من الصراط
كالبرق قال فخرج الاعرابي من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريد وقتل
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبي صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم
وابن عدي (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلي به الذكر يزيد في الباه
وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب
البرص والكلف طلاء ومن اكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن
كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر
تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب
وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة ايام ثم جعلها تحت
فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشربه زال سحره (ضفدع)
حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجري ومن العفونات وعقيب الامطار واول ما يظهر
مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل في الماء والاعلى
من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان اكثر ذكر الله تعالى من الضفدع
وفي الآثار ان داود عليه السلام قال لأسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته
ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي تسعون سنة ما جف لساني عن
ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان
سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن اقول وقال بعضهم انها
كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله اعلم (حرف الطاء)
(طاوس) طير مليح ذو الوان عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة
وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لها من العمر ثلاث سنين
وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل شهر

فى السنة اثنى عشر بيضة او اقل او اكثر ويسفد الذكر فى ايام الربيع ويرمى ريشه فى ايام الخريف كالشجرة فاذا ابدأ طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت اوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن اجل ذلك يجد شارب الخمر اول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا اقوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور وقيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير (حرف الظاء)

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهى ظباء الرمل ولونها ابيض وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها احمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبى يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة جحفلها فى الماء العذب فأى شئ اعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جحر والكلب منتنة الريح تزعم العرب أن من صادها وفست فى ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب (ويحكى) من شؤمها أنها تأتى بيت الظبى فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل من فيه وتأكله بعد ذلك (حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى اسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك ان موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بنى اسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا والقى عليه قبضة من التراب الذى كان اخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون انه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبى عن سيدى أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فأول من احدثه اصحاب

السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كانما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام ان يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك واحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل اولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا احملت تسلط عليها أولادها فاكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها انها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوي اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى ان جاء الى شاطئ البحر فظننت انه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم ايقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهد لك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جررنا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى ان مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع من غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهي سلام على نوح في العالمين وصلى الله على سيدنا محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربي آخذ بناصيتها كذلك يجزي عباده المحسنين ان ربي على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرني لا تلدغوه ان ربي بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول اشهد ان لا اله الا الله

وان محمدا رسول الله امن من العقرب والحية والسارق وفي البخاري ان رجلا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتني البارحة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات
من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذي ان من قال حين يمسي اعوذ بكلمات الله التامات
من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح في العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر
في ذكر نوح دون غيره هو انه لما ركب في السفينة سألته الحية والعقرب ان يحملهما معه
فشرط عليهما انهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك (الخواص) من
بخر البيت بزرنيخ احمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب
الاترج ابرأ من سمها ومن علق عليه شيء من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق)
طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه اكبر من جناحي الحمامة
وهو لا يأوي الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه
من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن والصق على موضع النصل
والشوكة الغائبة في البدن اخرجه (علق) دود احمر واسود يكون بالماء يعلق بالخيل
والآدمي فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها
تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه أن البيت اذا بخر به خرب ما فيه من البق والبعوض
واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلي به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال
بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو
طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه وسميت بذلك لانه كان في
عنقها طوق ابيض قال القزويني انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف
الحدأة الفأر قال وكانت في قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فدعا
أهلها الى نبي ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التي
خلف خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع
كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل
انه يعيش الفي سنة ويتزاوج اذا مضى عليه خمسمائة وحكى الزمخشري في ربيع الابرار
ان الله تعالى خلق في زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان واربعة
أجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم اوحى الله تعالى الى موسى اني خلقت خلقا كينة
الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التي حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر
نسلهما فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش
وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسي فشكوها له فدعا عليها فانقطعت
وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهي
من الحيوان الذي صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين

ويخرج اولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل
ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا
فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بالف رجل ويتزوجها
خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وانا اصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل
فصبر حتى قامت امها لتقضي بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب
قال فجاءت امها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت
قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هناك تبغى قال واما
الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك
اخطبي لي امرأة حسنة اتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا احسن منها ولكنها
تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فاني
قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا واقام معها اياما وكان يود ان يراها
متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان في بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت
هي الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له
هي في الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى في بطنها اثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت
له لا اعلم الا أن أمي أخبرتني انه كان لنا خادم وانه يوم ولادتي غافل أمي وشق بطني
بسكين وهرب وانها حين رأتني كذلك دعت بعض الاطبا فخاط بطني وعالجني حتى
اندمل جرحي وشفيت وبقي هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب
وأن ذلك السائل اخبرها انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسي البلدة
التي هم فيها وسألهم ان يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه
الا ان يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فامرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل
لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وامرها ان تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت
قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج في ذلك القصر فقام اليه فرآه وقال
لها هذا الذي يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذي
يقتلني فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل
الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاث مواضع على غار
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن انيس لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد
الهذلي فقتله وحمل رأسه ودخل به في غار خوفا من اهله ونسج على عورة زيد بن علي
ابن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين
على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها
ويجلو الفضة اذا دلكت به والذي يوجد من نسجها في بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به

(ابن عرس) حيوان معروف وهو بارض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار ومن
الحيل قيل انه عدا خلف فار فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وامر انثاه ان تقف تحت
الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفار فسقط فاخذته انثاه ومما يحكى عنه انه
يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا صاد فرخا من اولاده وحبسه
تحت طاسة فجاء ابوه فوجده فذهب واتى بدينار فوضعه فلم يطلقه ثم ذهب واتى باخر
وما زال كذلك حتى اتى بخمسة دنانير فلم يطلقه ثم اتى بخرقة فلم يطلقه فاراد ابن عرس
ان ياخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم انه لم يبق عنده شئ فاطلقه له (حرف الغين)
(غراب) وكنيته ابو حاتم وله كنى غير ذلك وهو انواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع
والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا
صاح مرتين شر واذا صاح ثلاثة خير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار
عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا او اربعا او خمسا وتحضن ذلك والابيض
في طعمها الى ان تفرخ فاذا فرخت خرجت افراخها قبيحة المنظر فتنفر منها وتتركها
وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش
فتاتيها ومنه قول الحريري يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض ومن
طبعه انه لا يتعانى الصيد بل ان وجد رمة اكل منها ويقيم من الارض ما وجد ويسمى
بالفاسق لانه لما ارسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه رمة فسقط
عليها وترك ما ارسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا ارتحل العرب من مكان نزل فيه وزعق
في اثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب الفة وذلك انه اذا راى الذئب
ينقر ببطن شاة سقط واكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) اذا غمس الغراب في الخل
ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا اعلق منقاره على انسان زالت عنه العين
وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر في خرقة على من به السعال
زال (غرغر) دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت
وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وغنمهم
الاراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينتفع بلحمه لرائحته
الكريهة وهذا ما نشاهده في زماننا هذا الآن على ما نقل والله اعلم (حرف الفاء)
(فاختة) طير اغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات
تهرب من صوتها وفي طبعها الانس فمن اجل ذلك تتخذ بيتها في البيوت وهي من الحيوان
الذي يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار
في العين من ضرب او قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها ام خراب وغير ذلك وتسمى
بالفويسقة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة
واحرقت طرف سجادته فقتلها وامر بقتلها وهي التي قطعت حبل سفينة نوح واذا لها

لا يكاد ينحصر ومنه انها تأتي الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا انقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت في فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشربه وإن وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن اراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبنا باقلا في اناء فان لم تشربه فهي منهم (الخواص) عينه تشد على الماشي تسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره (فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطوطاليس هو متولد من الأسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته ابو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر في مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يبلغ الابلاد واذا ارادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج في زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثدييه في صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان في نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل خفيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام او ماء اولجه في فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند يجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور (حكي) عن هارون مولى الأزد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم اني رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لي في رؤية الفيل
رأيت بيتا له شيء يحركه * فكدت أفعل شيئا في السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم وبمركوبه ومن عجيب أمره

أن سوطه الذى به يحث ويضرب محجن حديد لاحد طرفيه فى جبهته والآخر بيد راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به فى لحمه وأول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدقت به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الافيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضها الفيالون وتزعم اهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا مائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتناسل فى غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم طرح على ماء جارى وقال اللهم انت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساءنى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فاهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ثلاث مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له ما لم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس * (حرف القاف) * (قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه ابرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة ايام ويقال انما يمسك الله البحر فى هيجانه عن ان يفيض على الساحل الا اكراما له لانه يقال انه يبيض والديه (خواصه) انه يقيم للقعدة ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة واوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه اهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ واهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يحرز النعل ويبصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يغار واخلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما الى أبى الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيأ يا أبا الحسن للعدى * بلغت من الفضائل كل غايه

شركت القرد فى قبح وسمت * وما قصرت عنه فى الحكايه

(قسمذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى بالعنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به الى اولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه

واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول اذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل (حرف الكاف) (كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن ولحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تحمل ناباه شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وانواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الأسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة الاف او اكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها اذا قربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى اطراف الشجر فاذا شبع ادخل رأسه بطن أمه ويزعم اهل الهند انه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا ياكل منه شيأ. (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحمل المعاينة (كركى) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يتقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا أن انثى السلوقى اسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الاجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فانشد يقول

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) ابو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه اخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا ببئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فما زال يبحث فى التراب الى ان كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به أناس فتناولوه وردوه الى اهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب. وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك ما حكى) ان رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى فى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح ويبحث ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فاقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة ايام واكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة او ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به اليه فجوع اسدا واطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب القصاب يشبه الفقير المجاور للغنى لا يرى من نعمته ويؤس نفسه ما يفتت كبده * وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف ان يلوث ذراعيه قيل اوللكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى ان الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه سمع ان شخصا من وراء النهر يروى احاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام احمد فاخذت فى نفسى واضمرت ان ارجع اذ لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى ابو الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان ارضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان اقطع رجاءه * قال فقال الامام احمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى اهله (فائدة اخرى) قال الترمذى لما اهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان اشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وامره ان يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان اول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل يفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فامره الله ان يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا اتاه مفسد قام عليه فيستيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب اهل الكهف اسمر واسمه قطمير وقيل اصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسماعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة اخرى) اذا نبح عليك كلب فخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه * (حرف اللام) * (اللقلق) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى ارض مصر فى ايام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده * (حرف الميم) * (مالك الحزين)

طير يوجد بالصعصاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من ان ينقص الماء واذا انشف الصعصاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا اكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ * (حرف النون) * (نمل) قال عليه الصلاة والسلام الا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت في مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع في حرها لبردها وفي ورودها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت في مجاري اكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينيها واذنها لقضيت من خلقها عجبا وللقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها ان يعفن اخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من ان تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها اربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل ارباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من الهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على انفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا او كبريتا هجرتها والله اعلم (نحل) حيوان ليس له نظر في العواقب وله معرفة بفصول السنة واوقاتها واوقات المطر وفي طبعه الطاعة لاميره والانقياد له ومن شأنه في تدبيره معاشه انه يبني له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع في الهواء وحط على الاماكن النظيفة واكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافي وأتى فاخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفي طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية ومامات منه اخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتوني بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفي وروى أن شخصا شكا للنبي صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فامره بشربه ثم جاء في الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفي (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله

تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس اهل البيت فانهم النحل
والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج
من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته (الخواص) اذا خلط العسل الخالص
بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج
لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه
يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم
وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل اولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة
الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له
حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث أن اضعف
الناس لو اراد امساكه في تلك الحالة امسكه واذا باض ذهب فأتى بورق الدلب فجعله
في عشه خوفا من الخفاش ان يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما تبيض في الاماكن
العالية ويلقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه أنه لو شم
الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم
تشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شيء سيد فسيد البشر آدم
وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبشة بلال
وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي
وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) اذا أخذ قلب النسر
وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة واذا عسر على
المرأة الوضع يجعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى
بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طولا امتدا وبين العدد
وتجعلها اثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله في حضنها وثلثا تكسره وتفضه فيتعفن ويدوّد
فيكون منه غذاء اولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها
فتحضنه وتترك بيض نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضي الله عنه ان الله تعالى
لما خلق القمح وانزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق
أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاج
ثم الحمامة ثم البنق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله
مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى ان يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ
حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال
ان القناص اذا ادركها ادخلت رأسها في شيء اما شعب أو حجر تظن انها قد استترت منه
ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والحجر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف
الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وافراخه ما دام الابوان

حاضرين

حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى ان يسلمه الى الانثى فتركضه الى ان تسلمه
الى الذكر ولايزالان به حتى يقتلاه او يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا
استقبلت الريح ويقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعى
وسأل ابو عمرو الشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه
ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته ابو الصعب وهو صنفان صنف
عظيم الجثة صغير الذنب والاخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده
شراسة فى خلقه ويقال ان انثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره شيئا
وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض اكل الفار فيبرأ وفى طبعه عداوة الاسد
وعنده شرف فى نفسه يقال انه لا ياكل جيفة ولا ياكل من صيد غيره ولا يملك نفسه
عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا واكثرها اربعون (الخواص) من حمل من جلده
شيأ صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره (حرف الهاء)
(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل
انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه
ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ اخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره
فدخلت الشمس من مكانه فرأها سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال
يا نبى الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام
لما أراد تعذيبه يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا
الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت
على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت
حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا اكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام
لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل احبه الناس والله أعلم (حرف الواو)
(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل
نفسه اذا أمسك القناص اولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول فى صياحه
لدوا للموت وابنوا للخراب والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت
هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول
قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى والبازى يقول سبحان ربى
وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش
استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة
ويمد صوته فى الضالين كالقارى * (حرف الياء) * (ياجوج وماجوج) سموا بذلك
لكثرتهم وقيل بل هو اسم اعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه السلام
وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود

بعدم لجنلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث ياجوج وماجوج امة عظيمة
لا يموت احدهم حتى يرى من صلبه الف نسمة انتهى وهم اصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا
وما طوله ذراع واقل واكثر وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان لهم مخاليب الطير
وانياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا
في الارض كان اولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية فيمنعهم
الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس وياكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم
اكلوه ويقال ان صنفا منهم له اذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما
ويفترش الاخرى وفي الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال
عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة اسري بي فلم يجيبوا فهم خلق النار وفي الحديث ايضا
ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم ارسل بعث النار فيقول يا رب وما بعث
النار فيقول الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال
فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج
وماجوج الفا ومنكم واحد وفي الحديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر
بالردم فقال صفه فقال يا رسول الله انطلقت الى ارض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه
فدخلت في بيت فلما كان وقت الغروب سمعت صيحة عظيمة افزعتني فارتعدت منها
قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الصيحة اصوات قوم يذهبون هذه الساعة
من خلف هذا الردم اتريد ان تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع
النخل كله من حديد كانه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان
ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذي
بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجئ الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده
الله كما كان الى ان يقضي الله امره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع في حلوقهم
فيهلكهم الله به والاخبار في ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان
كانهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقي قرنيه في كل سنة وهما صامتان
وقال الجوهري هو الحمار الوحشي (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من
مدينة من المدن قال احدهما للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك
حاجة قال وما هي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها
ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وانا ايضا لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا
ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر في اذنيه
من ماء السداب في اليمنى اربعا وفي اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل
الانسي ففعل ما امره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد ايام الا وقد لحاطه
اهل صبية من تلك البلدة وقالوا له انت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية

عندنا

عند نا عقلها فلا نقلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بيسير من جلد السمور وقليل من ماء السداب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة (فصل في خواص الطير والحيوان على الاجمال) الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان اهداب عينه في الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا السنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضئ بالليل عين الأسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفار والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله احسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

* (الباب الثالث والستون في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم) *

ذكر للمسعودي في كتابه عن بعض العلماء ان الله سبحانه وتعالى خلق في الارض قبل آدم ثماني وعشرين امة على خلق مختلفة وهي انواع منها ذوات اجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له ابدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وارجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفي راسه قرن وكلامهم مثل عوى الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ما له انياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى افضل ولا احسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر واربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج جميع المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى في البشر اكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن احدهم طوله أربعة أشبار

وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية اخرجت لى من فك احدهم الاسفل
فكان نصف الثنية شبرين ووزنها الفى ومائتى مثقال وكان ذورعك ذلك العادى سبعة
عشر ذراعا وطول عظم عضد احدهم ثمانية اذرع وعرض كل ضلع من اضلاعهم ثلاثة
اشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا
طويلا طوله اكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى اودنقى كان يأخذ الفرس تحت
ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع
جلده واعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على
عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ فى يده شجرة من البلوط
كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقينى يسلم علىّ ويرحب
بى ويكرمنى وكان رأسى لا يصل الى ركبته رحمه الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام
يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له اخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال
لى قاضى بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم
وكان اقوى اهل بلغار قبل انها ضمته اليها فكسرت اضلاعه فمات من ساعته وروى
عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق انه كان من احسن الناس واجملهم الا انه كان لا يوصف
طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم تبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس
الجبال اربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى احدكم الجدول الصغير
وعمره الله دهرا طويلا حتى ادرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى افعاله يسير
فى الارض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل فى التيه ذهب واتى
بقطعة من جبل على قدرهم وحملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا فى منقاره
حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق فى عنقه واخبر
الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان
موسى عليه السلام كان طوله عشرة اذرع وعصاه عشرة اذرع وقفز فى الهواء عشرة اذرع
وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله احسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن امه عنق
بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير اخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفى
كل يد عشر اصابع ولكل اصبع ظفران كالمنجلين وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه
هى اول من بغى فى الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين وصرفهم
فى وجوه السحر وكان قد انزل الله تعالى على آدم عليه السلام اسماء عظيمة تطيعها
الشياطين وامره ان يدفعها الى حواء لتحرزها فاغفلتها عنق وسرقتها واستخدمت
بها الشياطين وتكلمت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم وامنت على ذلك حواء فارسل
الله عليها اسدا اعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين
ومن ذلك ما حكى عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد الحميدية فى جبل

من جبال الموصل انسانا طوله تسعة اذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فاراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه وروي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى اسفله بدن واحد ومن وسطه الى اعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين واربع أيد وهما ياكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي احسن الله عزاك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا ومنه ما ارسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فاحضر الاطباء وسالهم عن انفصال احدهما عن الآخر فسالوهما هل يجوعان معا ويعطشان معا قالا نعم فقالوا والله لا يمكن فصلهما ويقال انه احضر اباهما فساله عن حالهما فاخبر أنهما يختصمان في بعض الاحيان وانه يصلح بينهما ومن ذلك ما ذكر أنه اهدى الى ابي منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا ابعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور الدبركي وذكر انه ولد بالقاهرة غلام له أربعة ارجل ومثلها أيد وذكر انه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطوا فولاه قوص من اعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين واما كبش باربعة قرون ودجاجة باربع ارجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما انعم به علينا لا نحصي ثناء عليه ومن ذلك انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ ابي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار انه في سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال واخرجوها فشقت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فاخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فألقوها في البحر فتبارك الله احسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار

وانهارا فاقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة واصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فاخذ واحد منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فاما احدهما فوثق بصاحبته فاطلقها فوثبت في البحر واما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كانه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فاطلقها فاعقلته وألقت نفسها في البحر فتاسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد ايام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه درر وجوهر فباعه وصار من التجار ونظير هذه الحكاية ماذكره ابن زولاق في تاريخه ان رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كانها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فاقامت عنده سنين ولحبها حبا شديدا واولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر اربع سنين ثم انه اراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر اخذت ولدها والقت نفسها في البحر وكاد أن يلقي نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه اهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة ايام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما اكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به اكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم ان كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف نا قله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آيات شعر

فيا عجبا كيف يعصى الالـــــه * ام كيف يجحده الجاحد

وفي كل شئ له آيـــة * تدل على انه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الالماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم ان الذي أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان في بلاد السودان امة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في ارضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن في ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليماني وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وأن وله

تبع هذا كان اسمه افريقيش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادى
السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن ان يدخل فيه حيوان الا هلك
فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه اقام الى يوم السبت فسكن جريانه
فعبره الى ان وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التى لا رؤس لهم
اعينهم فى مناكبهم وافواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة
على أحد منهم واما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخا
والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند اعلم الناس بعلم الطب
وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر احد سواهم على امثالها وفى
بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع انواع الطيب كالقرنفل والسنبل
والدارصينى والكبابة والبسباسة وانواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك
وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور
يخرج منه عرق كالقطران اسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتعرب بحيث
تكون اذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت واكثرها فى جزيرة سرنديب
وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) انه كان ببابل سبع مدائن
كل مدينة فيها اعجوبة كان فى احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض اهل
مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق انهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق اهل تلك
الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض
اذا اراد الملك ان يجمعهم لطعامه اتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض
فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل
اذا ارادوا أن يعلموا حال الغائب عن اهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا
لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا ارادوا ان يعلموا حال الغائب نظروا فيها فابصروه
على اى حالة هو عليها كانهم يشاهدونه وفى الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل الغريب
صوتت الاوزة صوتا يسمعه اهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فياتى
الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة
شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد اظلته الى الف شخص فاذا زادوا على
الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال وقد
اقتصرت فى ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم) *

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب انه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة
المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد ان يخلق الجان خلق نار السموم

وخلق من مارج خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم
وقال تعالى في موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة
من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا
من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا
وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء
ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما في السماء وكثرت نعم الله عليهم الى ان بغوا
وطغوا وتركوا وصايا انبيائهم فارسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم
مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى اطراف البحار واسروا منهم امما كثيرة وذكر
المسعودي ان الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع
ومنهم من يسطع مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس
لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا واقاموا على ذلك مدة طويلة
ثم تحاسدوا على الملك واغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس
لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم
الجن وقتلهم وملك الارض مدة طويلة الى ان خلق آدم عليه السلام واتفق له معه
ما اتفق واهبط آدم الى الارض وعظم شانه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط
وسكن هناك ثم القى عليه قوة شهوة الفساد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ
قيل انه يخرج من كل بيضة سبعون الف شيطان فيسلطهم على الخلق واقربهم اليه
واد ناهم منه ومن مجلسه اكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يا رب
انزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق
قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال
فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا او قال مصائد قال النساء (فصل
في مكايده لعنه الله) منها انه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت
فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس
الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فامرك لو جعلتها
عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى ان تشفى من مرضها قال فلما
اتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت
فجاء له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء له ابليس لعنه الله وقال
له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى اهلها
واعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم اخذوه ومضوا ليقتلوه فلاقاه
ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ
منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا ارحم الراحمين ومن

ذلك ما اتفق ان بني اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشئ لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يفعل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة ايام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا اجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتعاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عني واخبرني كيف غلبتني فقال له لما غضبت لله غلبتني ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها اشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (فصل في المتشيطنة وهم أنواع كثيرة) منها الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين انه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من في المركب ومنها السعلاة يحكى ان صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى للرجال (وحكى) ان بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه اولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك اوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه * ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك ان يعجبوا بانفسهم (حكى) ان بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة ان المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتي والله اني لاعلم انه شيطان قال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدي الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لي غلام فخرجت في اثره فاذا أنا باربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما اعلمك بغلامي قال كعلمي بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأنا في بالغلام مقيدا فلما رأيته غشي علي فلما أفقت قال انفخ في يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا انفخ في شئ من ذلك ولا في وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة

اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما انا سائر واذ بى اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا انا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت انا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى هاهنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك انا وانت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع لقتلك ولا قتلى ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا انا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت هاهو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ

يا ذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وان تكن ذا خيرة فينا اصطبر

قال فأجبته

يا ذا الذى للحين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن باول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة اسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر احد منا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جز ناصيتى او احدى ثلاث خصال قلت وماهن قال مائتان من الابل أو اخدمك ايام حياتى او الف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاء لى منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام ناداهم جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى الوانها فاذا هى سود وشقر وبلق وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهى البسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص فى البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ويكفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤول وتيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب

الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول

(الفصل الاول في ذكر البحار) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما اراد الله تعالى
ان يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها
بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش
ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم ان بحر الظلمات لا يدخله
شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر
الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها اصلها من البحر الاسود
الذي يقال له البحر المحيط واما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر ارمينية والبحر الذي
عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة من البحر الاسود ولذلك
ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك
قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر
وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأي العين كالحبر الاسود فان اخذ منه الانسان
في يده شيئا رآه ابيض صافيا الا انه امر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك
الماء في بحر الروم تراه اخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاي شئ ذلك وكذلك يرى في بحر
الهند خليج احمر كالدم وبحر اصفر كالذهب وخليج ابيض كاللبن تتغير هذه الالوان
في هذه المواضع والماء في نفسه ابيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض واما
ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا ابا عبيدة رضي الله عنه
نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان ابو عبيدة يعطينا تمرة
تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا
شيئا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فاقمنا شهرا
ناكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذي في وقب عينيها
بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد اخذ منا ابو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم
في وقب عينها واخذ ضلعا من اضلاعها فاقامها ثم رحل اعظم بعير معنا فمر من تحتها
وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو
رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فارسلنا اليه منه فاكله وقيل يخرج
من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة اخرى أعظم منها لتاكلها فتهرب منها الى مجمع
البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود
وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين وقال صاحب تحفة الالباب
ركبت في سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل
العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم اسمع قط اهول منها ولا اقوى فكاد قلبي ينخلع

وسقطت على وجهي انا وغيري ثم التفت السمكة نفسها في البحر فاضطرب البحر اضطرابا
شديدا وعظمت امواجه وخفنا الغرق فنجانا الله بفضله وسمعت الملاحين يقولون
هذه السمكة تعرف بالبغل قال ورايت في البحر سمكة كالجبل العظيم ومن راسها الى ذنبها
عظام سود كأسنان المنشار كل عظم اطول من ذراعين وكان بيننا وبينها في البحر اكثر من
فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل
السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أناما يقول ان جماعة ركبوا سفينة في البحر
فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم اوقدوا النار للطبخ
فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا انها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا
معبود سواه وقيل ان في البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر
الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا احس بها أهل السفينة
صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونفروا الطسوت والسطول والاخشاب
لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته وقال
الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما في البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية
صفراء منقطة بسواد طولها مقدار ذراع فطلبت ان تقبض على رجلي فتباعدت عنها
فأخرجت رأسها كأنه رأس ارنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي
فطعنت به رأسها فتعارضه فلم اقدر على خلاصه منها فأمسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت
أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هي خمس حيات
في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه
تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الادمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله
وأنها تعظم حتى يكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من
قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد اشياء
قال ورأيت مرة في البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطري الذي كأنه قطع من
شجره فقلت في نفسي هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة
فاذا هي ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هي حيوان يتحرك ويضطرب في يدي فلففت يدي
بكم ثوبي وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر ان اقلعه
من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة
الا الفم والله سبحانه وتعالى اعلم لاى شئ يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب
البحر عنقود عنب أسود كبير الحب اخضر العرجون كانما قطف من كرمه فأخذته وكان
ذلك في ايام الشتاء وليس في تلك الارض التي كنت فيها عنب فرمت أن اكل منه فقبضت
على حبة منه وجذبتها فلم اقدر ان اقلعها من العنقود حتى كانها من الحديد قوة وصلابة
فجذبتها جذبة اقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها

بحجم كحجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك
وفى البحر ايضا حيوان رأسه يشبه راس العجل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر
كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف
بالسمك اليهودى وذلك أنه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البر
ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل
البحر ولا يلحقه السمن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له
ألما ما دام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول
السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل
الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش
عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه
ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرتاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر
تلك الشبكة أو وضع يده عليها او على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه
شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان اعادها عادت اليه
الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب
حدثنى الشيخ ابو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهاروني من ولد هارون
الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر
وأجمل الوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى
ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تدنو منه
حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله
بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف واحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا أن
السمك يبتهج بنحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين
يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك
ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وانواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت
الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل
التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رآى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء
النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون
فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى أن فيه
جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى كثيرة الامطار واهلها يحصدون زرعها قبل
جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه فى بيت ويوقدون حوله النيران حتى
يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات
مر بجزيرة بها امة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من افواههم مثل لهب النار وخرجوا

الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بالوان شتى وسمكا طوله
مائة ذراع واكثر واقل فسبحان الله تعالى ما اكثر عجائب خلقه ويقال انه رئي في بعض
الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قنا ديل لا تطفأ ومن
جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة
وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الأبدان يلتحفون بورق الشجر وهو
ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك واعرض وانعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب
من نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه
وهم في غاية اللطافة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب
والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها
العود القماري والابنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل
يقال له أصطفيون داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت تملكها امرأة
وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى
رأسها تاج من ذهب وحولها اربعمائة وصيفة كلهن ابكار وفي هذه الجزيرة من العجائب
شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت
يفهم منه واق واق ثم تسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم
ومقاود كلابهم واطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة
وبها سوى القرى والاطراف وابوابها اثنى عشر بابا وهي جبال في البحرين كل جبلين فرجة
وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة ايام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت
في ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذي تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار ما لا
يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء السد حمد الله
تعالى واثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من
حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال
ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط علي حيوانا
من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد
رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب في البحر فتبارك من له
هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة
بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها خمسة فراسخ وهي حصينة
ذات كروم ونخيل واشجار وغير ذلك واذا اراد انسان الدخول فيها حثي في وجهه
التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس
ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان
ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون اذا أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما

أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا مجير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقانص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتاً يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقي دعهما قال فلما وتفاما من لا هاربين فتبعها الكلبان وجدنا في الجري فأمسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لي مما به دهاني * دهري من الهموم والاحزان

فقا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى تجريان

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقي وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا إله إلا هو ولا معبود سواه (الفصل الثاني في ذكر الانهار والأبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الأرض وجعله عيونا ومسائل ومجاري كالعروق في الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهي الى البحار والبطائح وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر المالح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول النيل المبارك ليس في الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر ويختلف في زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الأثر ان الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتنشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور * نهر الفرات يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصعد في حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات * جيحون نهر عظيم متصل بأنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يتصل الى خوارزم ولا ينتفع بشيء من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا استجمد مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين * سيحون نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن * الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض

الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما يغرق غريقه (حكى) انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم انه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى في الآثار ان الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يستقوا منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدى قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه في بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذربيجا قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان في تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * نهر صقلاب يجرى فيه الماء يوما واحدا في كل أسبوع ثم ينقطع سنة أيام * نهر العاصى بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصد أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق في اكناف أذيالها العاصى

نهر العود بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محددة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فينقطع * نهر باليمن قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق * نهر ببلاد الحبشة والسودان يجرى الى المشرق يشبه النيل في زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالأراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه الفند في الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى في بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب في البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير واحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير *

(الفصل الثالث في ذكر الآبار) قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت في بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سربا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال

ففر اليهودي فنعلقت بر فقال اما امرتك ان لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك * بئر برهوت بقرب حضرموت وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار وقال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوي اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة * بئر عفان ماؤها يستشفى به قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها * بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه ما لم يجاوز الاربعين * وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لحظة واحدة ويجري فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول

(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كخردلة في كف أحدكم وقال رواة الآثار ان لله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثاني الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التي ضبطت عدتها في زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شيء فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس فمن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت

وفي أوديته الالماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي الى بحر الظلمات جبل أبي قبيس سمي بذلك لان آدم عليه السلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضيء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل اروند) بهمدان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة في السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والاخرى حارة والمسافة التي بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزيبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء في الصيف يصير جليدا وفي الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور بكرمان) يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين نائمين وقاعدين ومضطجعين واذا اسحق وطرح في الماء يرى كذلك (جبل الارجان بطبرستان) يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل حرمن) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان شيء جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير في كل سنة مرة ويدخل في كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب في تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن اراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان (الفصل الثالث في ذكر المباني العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بني على وجه الأرض الصرح الذي بناه نمرود الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وبقيته بكوثا من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخربه الله تعالى ذلك الصرح في ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التي لم يخلق مثلها في البلاد (حكي) الشعبي في كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة في الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وان الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالملك فماذا لي عنده قال يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر فقال شداد أنا أبني مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدني به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا في الأرض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الأرض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة

مربعة الجوانب دورها اربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم احاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرد واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادحة والمغردة وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذ والجميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب فقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضئ كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحاق هل بلغك أن فى الدنيا مدينة من ذهب

قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل في القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال ها هو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتي والله تعالى أعلم ومن المباني العجيبة (الخورنق) الذي بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه في عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشي أن يبني لغيره مثله فأمر أن يلقي بانيه من أعلاه فالقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما جوزي سنمار

ومن المباني العجيبة (حائط العجوز) واسمها دلوكا القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى اسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقي بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تحوط ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأدركه وأخذه الفزع والهم فضعف واتصل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى ومن المباني العجيبة (الاهرام) وهي بالجانب الغربي من مصر مشاهدة في زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة الف ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد وجه المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها فقيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا في عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقة ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهي من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها على الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم ويرجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد في أعلاه بيت وفي وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الارمة بالية فصد ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذي بناها اسمه سوريد بن سهراق

ابن سرياق لروبار رآها وهي آفة تنزل من السماء وهي الطوفان فقالوا انه بناها في ستة أشهر
وقال قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج
الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والأمر فيها عجيب جدا والله تعالى أعلم
ومن المباني العجيبة (منارة اسكندرية) التي بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية
بحجارة مهندسة مغموسة في الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها
الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها
تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع
له تصويت يعلم به أهل المدينة بمجئ العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل
ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها
سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج
من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت
الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء
الشمس على السفن فتحترق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا
بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك قال المسعودي فيقال ان
ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له
بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل
معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت
المنارة كنوزا لا تنفد وبأن بها خبيئة بها كذا كذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب
من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا
ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا
تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم
ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها
المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا
على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني
المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس
عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفي تلك الأعمدة عمود واحد يتحرك شرقا
وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص
مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء
الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة
يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر

المصموت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو ودخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب النجاة لانهم يلجاؤن اليها عند الخوف ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنوشروان بناه سابور ذو الاكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافيه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهب (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائه فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافه وحسب ما أنفق عليها فوجد الأمر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها) *

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فنقول طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته واللينونة من دهنيته والبراقة من صفائه ومن خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه فى الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزيبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها انها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزيبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صداه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لا دواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل ومن خواصه انه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل

الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصداه ينفع أمراض العين كحلا
والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه انه
اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه انه يكسر الماس ومن
خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأها
(الخارصينى) حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة
نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت (الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر
وهو الدر على ما قيل أن حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه ويلقط
بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا
أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت
الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر
كانت الدرة كدرة وان لم تكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير
قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن
الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد
الاحجار واصول الوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والأسمانجونى ويتولد منها
الوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه
الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى ثم العصفرى وأرداه الازرق الذى لونه
يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر
الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر
الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع
تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل
(البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف ومن خواصه أنه يورث
قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو الوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف
أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطموسة بزرقة خفيفة
ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يكون من معدن الياقوت والغالب عليه
البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سر اذا حرك يمينا
تحركت يسارا وبالعكس ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ما قيل
(الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك
الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفر من
ذلك الجانب فينزل فيأخذ ما له فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها
فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتخطف اللحم وتصعد به الى الجبال
فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر

في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها اخذ الحجر
في غيبتها والله اعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا اريد كسره جعل في أنبوبة قصب
وضرب فانه ينفتت وكذا اذا جعل في شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار
ذاب ومن خواصه ان الملوك يتخذ وشرعندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة
منه اذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء، ومن خواصه الجليلة انه يعرق
عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجاري
وصابوني ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح
القلب ويقوي البصر ويصفي الذهن ويبسط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقي
وخلنجي وأجوده الاسحاقي الازرق الصافي خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط
النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضي الله عنه
ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص
لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد
عليه غشاوة ويجيء عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمني أجود
خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأي ويسر النفس ويكسب
حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تختم بالعقيق لم يزل في بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه
كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء
الحوائج ويكثر بكاء الصبي وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع
بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف
من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا اريد قطع البلور في ذلك
الموضع قطع في الليل لانه في النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب
ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن
لانه يتشجر يشبه النبات ويتحجر يشبه المعدن ولا يزال لينا في معدنه فاذا فارقه
تحجر ويبس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب
بالداء المحتبس في العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالكحل تجلو قلح الاسنان واذا وضع
على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر
قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندي لا يعمل فيه الحديد
والبيت الذي يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله في
عسكره (الحجر الماهاني) من تختم به أمن الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر
ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع
حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته أنه اذا سقي انسان من حكه يفعل فعل السم

وانا

واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلبت عليه الباه (السبج) خواصه أنه يقوي النظر الضعيف من الكبر او نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحافته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد في بحر الهند وهنالك لا يتخذ في السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحافته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه في العنق يزيد في الذهن واذا سحق وشرب من سحافته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد في عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالأحمر اذا علق على من يفزع في نومه زال فزعه والأبيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزلج) اذا دخن البيت بسحافته هرب منه الفار والذباب *

(حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال وخاصيته أنه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته أنه يحسن الذهب ويزيد في صفرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علي ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر الاطرون) قال ارسطوطاليس ينفع الارحام التي غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى في العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال أرسطوطاليس من تختم به عظم في أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق في ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن والستون في الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه

وما ذكرت ذلك الا لاني كرهت ان يكون كتابي هذا بعد اشتماله على فنون الأدب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس (فصل في الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج في طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت

عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما يجتمع عليه الابل فاشتق الحداء
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما اعجبه حسن صوته لقد
أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود وقيل ان داوود عليه السلام كان يخرج الى صحراء
بيت المقدس يوما في الاسبوع ويجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة
وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا
خيفة أن تتخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته
قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة
عند ساق العرش فيقول يا داوود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام
الحادي للمنصور وكان يضرب المثل بحده امر يا أمير المؤمنين بأن يظمئوا الابل ثم
يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن
الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس
وترتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على
اثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر
اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر
عشقته النفس وحنت اليه الروح الا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة
والفتور على أيديهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان
الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن
الا أنه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد
الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن
ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيري الدنيا والاخرة فمن ذلك
انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض
والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في
ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم
ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل
مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير
والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن في البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ومحونا مستلذة يأخذ السامعين
الغشي من حلاوتها فاعتني بها واضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وما يقضي
على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب الا ترى الى الأم
كيف تناغي ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها

وقوتها

وتنوّمها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر في مشيها وزعموا أن السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حظائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك في الحظائر فيتصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعي اذا رفع صوته ونفخ في يراعته تلفته الغنم بآذانها وجدت في رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت في الشرب وليس شئ مما يستلذ به أعنف مؤثر من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد وما زالت ملوك فارس تلهي المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيباني

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكي مؤذن المنصور رجع في أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمارة في قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت في صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لافارقاني أبدا * في صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغني بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجي

الا استأنس وشجعت نفسه وقوي قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغني بقول حاتم الطائي

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى في ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه واختلف الناس في الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام واحتجوا في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل الا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم ولولا الحبة السمراء * لم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون في المسجد الحرام حتى أكون أنا الذي أسأمه ويدل عليه أيضا ما روى في الصحيحين من حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى يدففان ويضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنابغة الجعدي أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة له فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طال ما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمعته يغني بالركبانية يقول

فكيف ثوائي بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لي أسمعت ما قلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت في القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل في أصله وتأولوا في ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال رجل للحسن البصري ما تقول في الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسي به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم تسألني قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني يجعل الرجل يلوي شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخي ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويج

فيه

فمه فسمع ابن المبارك سكران يغني هذا البيت

أذلني الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذي أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة وكان لابي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه بقول العرجي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لابي حنيفة فأقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذي ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أذينة ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره ويحملها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهي تغني فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد يهلك فقالت له اني والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتي به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فأنزله في دار عياله وأظهر من اكرامه بتحفه

فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر
فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما فى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين
حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر
له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى
فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما اسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل
ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره
أنى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس
غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية
مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل
يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح
المغنى فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول
العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية
أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لأبليت ولو سئلت لأعطيت وكان معاوية قد خضب
قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت
تولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين
انك سألتنى عن تحريك رأسى فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال
كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن
جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بألف دينار
وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض
أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا بصوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا
مجلسه فأقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل
مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك
قال قينتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن
لنا وان كنا لئاما أخرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما

الامن اكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت وَدَعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علىّ ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرجرة الفحل فى الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصى (اصل الغناء ومعدنه) قال ابو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهى المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابين بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله اعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الرؤساء

قيل ان أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

الا يا قين ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن شريح والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادى ومن غنائه

أمدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع سابكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهارون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيث ما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال ألمثلي يقال له غن على عتق رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الايام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا لا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فأمسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم أنك مأسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغدادر عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الي فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبي عيسى قال لي ما بعثك من يحتشم اجلس فجلست فأوتينا بطعام كثير فلما انقضى أوتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودوبيس ورفيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء

الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا ديرحنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دبيس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو اشباح
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كأنها دمعة في جفن سياح

ثم سكت وغنى رفيق

لا تحفلن بقول اللائم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أغناه لألاؤها عن كل مصباح
ما زلت أسقي نديمي ثم ألثمه * والليل ملتحف في ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا ديرحنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لي شعري فغناه

يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع
لا والذي تلفت نفسي بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرق العين الا شب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال ابو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصي عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكي) عن الرشيد أنه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية

وأمير المؤمنين يشتهي سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات يا هاشم فغناه من
شعر جميل حيث يقول

اذا ما تراجعنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها * ويا ويح عقلي ما أصيب به أهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه
هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم فقال يا أمير المؤمنين ان
لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لي أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير
المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه فتيتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا
فلما وقفت بين يديه قال هذا اعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به لنسخر به فدعاني فضربت الله
ولم يعرفني فغنت احدى الجاريتين بصوت هولي فأخطأت الجارية فقلت لها أخطأت
يا جارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا
غناءنا فنظر الي كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتر كذا وتر كذا
ففعلت وغنت شيئا ما سمع منها الا في هذا اليوم فقامت الجارية مكبة علي وقالت أستاذي
هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت
عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين
أتأذن لي في بر أستاذي فقال الوليد ذلك اليك فخلعت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها
ووضعته في عنقي وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة
وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتي فأرادت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة
فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء
شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي يا هاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك
ولكن يجب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فبعني اياه فعوضني عنه ثلاثين ألف
درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد
لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان
الاشقر عند الرشيد يوما فأنشد

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بريّاك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
اذا ما طواك الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى العين
والمري وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير
المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل

الى ان يزداد ما اعطيت ولكن احتالوا فى شراثهما منه فسا وموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة الف دينار فرضى بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين فى الخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة الاف وثلاثة الاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ما حكى اسحاق الموصلى قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغنى بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر فى كل شئ فغننى شعرا ارتاح اليه وأطرب عليه يومى هذا قال اسحاق فغنيته هذه الابيات

ماكنت اعلم ما فى البين من حرق * حتى تنادوا بأن قد جئ بالسفن
قامت تودعنى والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الى وضمتنى لترشفنى * كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهى باكية * ياليت معرفتى اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لى بمائة الف درهم قال وغنيته يوما

فتى ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسى هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأفنيت علاتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بأرضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومى غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة ما أمر لى قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرنى فى الميعاد فما زلنا فى أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم ان داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا فى ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما فى أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه

موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء وانه ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضى عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته العالية قال وأحب أن تخفق الألوية على رأسه قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما نال من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لا نظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث أن دعي بأبي يوسف القاضي ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه الى بيت عبد الملك ابن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال اظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك فلما هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالأمس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته العالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الألوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جدد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قرى أقريكه لفعلت ولكني أجعله قراك فاني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى ازورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها لي فاذا هي كما ذكر والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السبعون في ذكر القينات والاغاني) *

حكى) علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله ابن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف وبرعت في الجمال والأدب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال علي بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هي جاريتك والرضاء والجفاء بيدك فوالله انا لفي حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمني

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاي رأيت في منامي هذه الليلة كأنك قد رضيت عني فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا علي هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب فرقد وترك ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغن واحد أظهر الرقاد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

اني رأيتك في المنام ضجيعتي * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدي وكأننا * بتنا جميعا في لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما * في راحتي وتحت خدك ساعدي
فظللت يومي كله متراقدا * لأراك في نومي ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله مني برغم الحاسد

وتبيت بين خلاخلي ودمالجي * ونحل بين ترائبي ونواهدي
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها الترى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له أنه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا أن العشق قد خامرهما قال فأعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربا بعد اليوم وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فلاعب عليها أبو نواس فتمت توقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من القصر فأمسكها فبكت وقالت له يا سيدي الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق أنه خرج يوما من القصر وقد ترفرق الدجا فوجدها نائمة في مدلة وهي سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها نادم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمري
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئا فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجري
فلما تمارضنا توسطت لجة * غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام بجانب * وقد زلقت رجلي وصرت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه * تداركني بالحبل صرت الى القعر
فأقسمت عمري لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير

ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد في مثل هذا الحين تصابحنا
فقلت أصلح الله الامير أو قامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه
وقال أبا زيد ما يطيب لي يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها
غادة هيفاء مضمومة الفاء أشربها من كفها وامسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد
جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع
رأسه فقال أبا زيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك
والله لاضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير
كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر
كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها
وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة
نعليها بذوائب تضربان الى حقويها الماصدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر
عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول
عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب
طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا
بجلد أو ماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم
أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت
أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها
لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند
ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج
في عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب
عني لشجو ما سمعت اعلم يا أبا زيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها
ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم أبا زيد في دعة الله
تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه
صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء
مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع
وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب
فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل سنان
يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه
فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب

وسماع قال أما الاكل والشرب فباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا ولحنا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

مجنونة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما مسها السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو خليت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها للمشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

الا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الأب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام علي بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت أن الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وأن الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وأن الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكي) أن الرشيد فصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الكاس يا سيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فأبطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها انا عندك الليلة وأهدى داود بن روح المهلبي الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لا تهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فأرسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمود بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * درا لبكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازدادها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدى * ابكى عليها آخر الابد
كانت هي الأنس اذا استوحشت * نفسي من الأقرب والأبعد
وروضة كان بها مرتعي * ومنهلا كان بها موردى
كانت يدى كان بها قوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

وللمتوكل فى قينة

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فأحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحاق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان فى المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمي اليه ذات يوم ليتحفه فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لفى لذتك ولا لذة لى قال وما لذتك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فأمر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر الى التبرز قال فى نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى فخليتني * أهيم من الحب فى كل وادى

فاندفعتا يغنيانه فقال فى نفسه والله ما أظنهما فهمتا منى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتي أين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعد ما * أقام المنادي بالعشي فأعتما

قال فنادته فغنيا نه فقال في نفسه لم يفهماعني وما أظنها الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتي أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبينا قالت يقول غنياني

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لم يفهماعني وما أظن الفتيين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتي أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خلاء على بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة استرعاني الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتي أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

أوحشوني وعز صبري فيهم * ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فاندفعتا يغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لها يا حبيبتي أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا ما رأيت أكثر فترا لها من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغني له

تكنفني الهوى طفلا * فشيبني وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لها يا زانيتان ان لم تعلماني به أنا أحلكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي أعز علي من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال للضحك هذه الأبيات

تكنفني اللاح وأحجروني * على ما بي بنيات الزوافي

فلما قل عن ذاك اصطباري * وذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله وقال علي بن الجهم قلت لقينة

هل تسلمين وراء الحجرة * تدني اليك فان الحب أقصاني

قالت نأتي من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا ما ليس بالداني

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة يجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك اذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابها علة فتغير حالها فكانت تنشد

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَن يَبِيعُنِي * بِهَا كَبِداً لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ
أَبَاهَا عَلَيَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا * وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ

وكان للمعتصم يحب تيمة من حظاياه فاتفق أنه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فأقلقني الشوق اليها فعسى أن تغنيني شيأ في معنى ما ذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحي طائر فأطير
فما لنعيم ليس فيه بشاشة * وما لسرور ليس فيه سرور
وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل ودل خير من كثير يمل وفيما ذكرته كفاية والله المسئول أن يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلى به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها في الحشا أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر

وفي المجليس الانيس لأبي العالية الشامي قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها

والمعقول وآراءها واعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها توارى عن الابصار مدخله وخفي في القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان ابن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداثة ونعم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكري فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس سيئ الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء في فلاحه قال وما ذاك الذي حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهذي الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبي الجارية فقال له اني مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فأعلمه أن ابنه قد عشق ابنته وأنه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجنت عليه وهجرته فان استعتبها أعلمته أنها لا تصلح الا للملك ثم لتعلمه خبرها وخبره ولا يطلعها على ما أسره اليه فقبل أبوها ذلك منه ثم قال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجني عليه وعلم الفتى السبب الذي كرهته لأجله أخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر في ذلك ثم رفع الى أبيه أنه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حب هذه المرأة لا يزرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الي ويسألني أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيئا حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بني لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست في حبالك فاني أمرتها بذلك وهي أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثاله ما أمره به وكان عبد الله بن عبيدة الريحاني يهوى جارية فزارته يوما

فأقام

فاقام يحدثها ويشكو اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية وفيه

شعر * لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانني قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المرّ بابها * وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمرو بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارّنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول

لو حز بالسيف رأسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها راسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا (الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى

تزود كل الناس زادا يقيهم * وما لى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الىّ فقال أنا الزاد فمضيت به اليها فما زادا على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت أن لقاءكما يقتصر على هذا فقالت امسك يا هذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلب

ان أكن طامح اللحاظ فانى * والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما فى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس

فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب فما كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فأنزله في منزله وتركه فيه ومضى لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى المرأة صاحبة ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد دخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الى بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيته في عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له * مالي بما تحت ذيلها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين في الجزء الاول فيما جاء في الكناية على سبيل الرمز وعن أبي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة فقلت اي والله فمن هو قال اني لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال اني في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسي بريبة قط وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة دعته تبغي الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان محجب * دعاني فلم أعرف الى ماد عا وجها

بخلت بنفسي عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

نواعم لا يعطين منه خردل * وهن دوان في الحديث أوانس

ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وكان الاصمعي يستحسن بيتي العباس بن الاحنف

أتاذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدي في هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها في الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة الف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهي قائمة على رأسه

يا غزالا لي اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي اليه فأعلميه أني قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفي فلست بخائن فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

وقال آخر

يقولون لا تنظر فذاك بلية * بلى كل ذي عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه ان لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا اتق الله أفي مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ما ذاك لخنا ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وان أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترط على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الي أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
فذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة ابيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحياك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت اني لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيري لاشد عليه فقال على رسلك اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسايرنا فقال لي أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فاذا التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد

ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت عندنا يقرنها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب لذة ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا

يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو يخطلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي أمتعني بحبها وأشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره ان ادنى اللئيم لم يلد في كريم ومر سيدنا عمر رضي الله عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

الا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبي خليل الاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يعفني * وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى الخمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتي بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه المرأة ابياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء وما لي جرمه فألام

بيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت ملحق * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دار بالبقر في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى اعلم (الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسماعيل ابن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استأذن لهم في الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكروا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلي الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها أن تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
أدعو الى هجرها قلبي فيسعدني * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود أراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجا بي بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر • حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا اسلوكمو أبدا • مالاح بدر أو بدا الفجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومى انظرى ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا اياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكر الغناء والجوارى المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثنى بأعجب ما مر لك فى هذه الاغانى وما رأيت من الجوارى قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى فى شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج منى ببيع ولا هبة فامسك عنى فكانت عندى على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما انا ذات ليلة اذ أتتنى عجوز من عجائزنا فذكرت لى أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وأنه يجئ كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكى شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذى قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه ووقف مستخفيا فلم أدع بها فى تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتابا ولم يزل الا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فاصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت بها الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى اذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيئا قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندى رأى أثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الهيثمى أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسير لى ثلاث جوار مولدات ابكارا يكونون النهاية المنتهى فى الجمال واكتب لى بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن

مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ويبلغ ثمنها فوجدهن لا يتام لهن بغية وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين أسعده الله تعالى يبقائه يذكر فيه انى اشترى له ثلاث جوار مولدات ابكارا وان اكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فاما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء امير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت ثديها والتف فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وفي كبد بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون ألف درهم واما الثانية فانها جارية فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم أطنب فى الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى أفتأذن لى فى ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا فى بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهى الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا فتعلق بها الساعة فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي بأسهام الأسى يترشق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل استلّ الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب فتفطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج بعض النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا

مقرا بالقبيح وسوء فعلي • ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبي • وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت أاستضعاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فأخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا السير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الأقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الأهوال ومارست الأبطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له أفد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني أتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوقفته على تعيير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الملك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاح

الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الأباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيئا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطرق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنماله الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستمينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطي وطعام غير بطي فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير فقال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي ففضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بي نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر قاما وتعنقا وتصعدا وبكى وبكيت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت اني أنتظر الواشين والرقبا حتى ينام وانم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الي فأكلت وأكل معي الا أنه أكل أكل من لا يريد الأكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا أنه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت وأعلمته أني أريد الهجوع لما مر بي من التعب بالامس فقال لي نم هنيأ فأظهرت النوم ولم أنم فقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا

شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فأوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى
هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة
عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد
منعنى ابوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت
تزورنى فى كل ليلة وقد جاء وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وحدثتنى نفسى
ان الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

ما بال مية لا تأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها
الاسد وأكل اعضاءها وشوه خلقها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى
ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

الا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جربت حقا لك الشرا
وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها قبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم ان المنية قد حضرت لامحالة فاذا
أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر
واحد وخذ شويهاتى هذه واجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى
فأعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت
عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى
صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصانى به
فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت ما فى جسدها الى جانبه وبت
تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى
هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان
من خبره فأخذت تصيح وتبكى وأنا الاطفها الى أن أقبل الليل وما زالت تبكى بحرقة
الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس
يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى
جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر فقدت فرسى وجمعت الغنم
وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فأخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة
فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريق

ومن ذلك ما حكى ان زوج عزة اراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لأحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت لحيت يا جمل فبادر ليلحقها فقاته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمى قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادى هائما مخبولا
لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا * حتى أودع قلبى المتبولا
ساروا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أنى بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام ابن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لأعرفن بذلك هشاما ثم تواد عا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو ينتف ريشه فنظر اليه ساقطا فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم انه مال الى حى من بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحى فقال له يا ابن أخى أرأيت فى طريقك شيئا فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتعلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتعلى فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف النهدى لا در دره * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف أعلا ريشه ويطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد وحكى الاصمعى قال بينما أنا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى * وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت انفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعي رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحي فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم في الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمي هويني فهويته فكان ان اباح عنفوه وان كتم لاموه فأنشد بيتي شعر وما زال يكررهما الى أن مات والله لأندبنه حتى أصير مثله في قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لي ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما لامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات في ذلك كثيرة وفي الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا في هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والسبعون في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقوما والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام

مرقص كقول أبي جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا من كؤوس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر إلى عشرة أبواب حسبما بوب أبو تمام في الحماسة وقال عبد العزيز بن أبي الإصبع الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهان ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب ولنذكر إن شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر

ابن نباته

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل
وبيض رقاق أم جفون فواتر * وسمر دقاق أم قدود قواتل
وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف مني الحشا والمقاتل
بروحي أفدي شادنا قد ألفته * غدوت وبي شغل من الوجد شاغل
أمير جمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل
له حاجب عن مقلتي حجب الكرى * وناظره الفتان في القلب عامل
رفعت إليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجري فهو في الخد سائل
شكوت له الذي وقلت فاصغي * وجد بقلبي حبه وهو هازل
طويل التواني دله متواتر * مديد التجني وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللإعراب فيه دلائل
ويرفع وصلي وهو مفعول لكي * وينصب هجري ما مدا وهو فاعل
تفقهت في عشقي له مثل ما غدا * خبيرا بأحكام الخلاف يجادل
فيا مالكي ما ضر لو كنت شافعي * بوصلك فاعذرني كما أنت قاتلي
فإني حنيفي الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغي وإن قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله أكبر كل الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في جنى فمه أو ريقه الشنب
كأنه حين يرمي عن حنيته * بدر رمى عن هلال الأفق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته * والحاجب الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الأيام يحرمها * فمي وتلثمها سهم من الخشب
من لي بأغيد قاسي القلب مبتسم * لا عن رضى معرض عني بلا غضب
فكم له في وجود الذنب من سبب * وليس لي في قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب

أشار نحوي وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * في حجرة الدن أو في قشرة العنب

البهاء زهير

يعاهدني لا خانني ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبي لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلني يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازئا بي ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارني * وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاي إني في هواك معذب * وحتام أبقى في الغرام وأمكث
فخذ مرة روحي ترحني ولا أرى * أموت مرارا في النهار وأبعث
فإني لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفا الذي بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظن الناس في فأكثروا * أحاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت في الحب مني شمائل * ويسأل عني من أراد ويبحث

النابلسي

ما كنت أعلم والضمائر تصدق * أن المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * إن لم يكن لي للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيوني أن ترى لك سيدي * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

أبو الحسن الجزار

في خده من بقايا اللثم تخميش * وبي لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبي من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
إذا تثنى فقلب الغصن منكسر * وإن تبدى فطرف البدر مدهوش
يا عاذلي إن تكن عن حسن صورته * أعمى فإني عما قلت أطروش
كم ليلة بات يسقيني المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت أرجاؤه طربا * لأنه ببديع الزهر مفروش

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد دق لي خصره المضني فناسبني * فقلت خير الأمور الأنسب الوسط
وقد خفي الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشطط

وصدره الرحب قد تانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانتاها فيه قلبي أمره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فأوقات الهنا فرط

القاضي مجد الدين بن مكانس

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا في سعده
بدرجرى ماء الحياة بثغره * وترددت قطراته في خده
أسكنته قلبي فأعدت خده * نيران أحشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل أهيف * روت العوالي عن مثقف قده
يا عاذلي في حبه لو أبصرته * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت أن ضلاله في رشده
فوحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده
ما جاد غيث الدمع الاعن هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يا رسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدي في الهوى * خبري فصف فعل الغرام وأبده

عز الدين الموصلي

نفس عن الحب ما اعفت وما غفلت * بأي ذنب وقال الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت * ما قدمت من أسى قلبي وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان في تلفي * والسحر يوهم طرفي أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلماء لا نفصلت
معسول بغاس في لواحظه * أما تراها الى كل القلوب حلت
من لي بأ لحاظ ظبي يدعي كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذي محاسنها تزهو وذي ذبلت
أماكفاني تكحيل الجفون أسى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
أستودع الله أعطافا فأشوت كبدي * وكلما رمت تجديد الوصال التت
ومهجة لي كم ألفت بسمعها * الى الملام ولا والله ما قبلت

غيره للفاضل

شرح الشباب بحبكم أفنيته * والعمر في كلف بكم قضيته
وأنا الذي لو مر بي من نحوكم * داع وكنت بحفرتي لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بأيام الشباب شريته
لله داء في الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك في التجني مسرف * قاس على العشاق قلت فديته

أأروم من كلفى عليه تخلصا * لا والذى بطلها مكة بينه
ولو استطعت بكل اسم في الورى * من لذة الذكرى به تسميته

للشيخ بدر الدين الدماميني

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا
منع عن جفنه حديث فتور * وهو ما زال من قديم عليلا
مر أبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدى * فيه يا عاذلى مديدا طويلا
فأتلك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولما * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لو أن قلبك لى يرق ويرحم * ما بت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أننى لا أسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم
يا جامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروءة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال آخر

تصدق بوعدان دمعى سائل * وزود فؤادى نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والأصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فمه * قد تعديت وأسرفت فمه

وقال آخر

بأبي غلام لست غير غلامه * مذجادلي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * ابدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجري مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
فخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ما ضل في شرع الغرام وما غوى
ويمهجتي رشأ اطالت عذلي * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أتيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتي سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا الغصن الرطيب الا التوى
يروي الاراك محاسنا عن ثغره * يا طيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله مستفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * ونراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

يا حسنا مالك لم تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه
رقمت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتني * منه وقد ألسعني عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسني * ويا لذاذ اللفظ ما أعذبه
قلت له كالك تندى سني * وكل الفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطئ * ومذ رأني ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبني * وحبه اياي قد أتعبه
يرحمه الله على أنني * قتلي له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن أكثم

دنا هاجري نحوي بمقلة أكحلا * فلما رأى ذلي ثنى عطفه ولا
فيمتي شوقا وأنحلني أسى * وأفقدني صبرا وأعدمني عقلا

شكوت

شكوت فالوى وولى ومالوى * وأعرض مزورا فسل الحسالا
اذا ماد تاه فرط سعى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بأبى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أراك مفارقى

وقال ابن نباتة

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن شنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا ابتدى * وجدت له من الالفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لانى * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبى الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتى * وأشكر من صنائعه الجمالا

القاضى فخر الدين بن مكانس

يا غصنا فى الرياض مالا * حملتنى فى هواك مالا
يا راحلا بعد أن سبانى * حسبك رب السماء تعالى

وله أيضا

أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد
وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تحذ سنا تبكى وعذد

ابن رفاعة

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومناكم المطلوب قلنا ضم سا
فقالوا الناغو صوا على قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

الشيخ برهان الدين القيراطى

ووردى خد نرجسى لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمرا تلوح بجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشاى على حبه انطووا

وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا

شبه السيف والسنان لعينى * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذا النعاس وكلا

وله أيضا

بأبى أهيف المعاطف لدن * حسد الأسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

وقال آخر

تملك رقى شادن قد هويته * عن الحسن معسول الثنى أهيف القد
أقول لصبى حين يرنو بطرفه * خذ واحذر كم قد سل صارم الحد

ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديري

خيال سلمى عن الأجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب
وذكرها أنس روحى وهى نائية * والقلب ما زال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلنى * ولا لواش غلى بات يلعب بى
عذابها في الهوى عذب لذى به * ومر هجرانها أحلى من الضرب
فإن نأت أو دنت وجدى كما علمت * تشيب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

وقال عفا الله عنه

سقى طلل الاحبة سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا بالمنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عنى ولم أزل * ويقظان طرف البين عنى راقد
وأياما بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد
وكم قد مرحنا فى مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجر ذيول اللهو فى خضر الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد

ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم تحسب الايام فينا تعاند
فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لى أوجاد بالقلب جائد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى * وقولك لا عاش المخون المعاهد
وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أهملت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقينى بالوفا منك شاهد
وانى ما بدلت عهدك فى الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا بعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود أصرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمرى وجدى بالمشاهدة وافد
وان أورد وايوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كونى اننى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندى الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقاد زمامى نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تتهددينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد
وجل مناى القرب منك وانما * اذا اعظم المطلوب قل المساعد

وقالت عفا الله عنه

تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد
وتحلف لى لتلبسنى سقاما * تهى جلدى به وتذيب جلدى
وترمينى بنبل من جفون * فتضنينى وتصمينى وتردى
وتحرقنى بنار الصد حتى * تذيب حشاشتى كمدا وكبدى
فقلت لها ودمعى فى انسكاب * يفيض دما على صفحات خدى
ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكر فى هواك ولو بعهد

وقالت عفا الله عنه

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميرى * وجدى فيك أيسره عذابى
وما لك عن سواد العين يوما * وما لسواد قلبى من حجاب
وما خطرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابى

وقال عفا الله عنه

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * واطلنا بعد البعاد اذكارها
وشوجا باطلال محتها يد النوى * فاظلم بالنائي المشت نهارها
فقدنا بها ريما من الانس ان رنت * بمقلتها يصمي القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
وتهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
وتلبس لبدر التم قامة قدها * وما دار الا حجلها وسوارها
منازلها مني الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها
يمثلها بالوهم فكري لناظري * واكثر ما يبقى النفوس افتكارها
وهيج دمعي حزنا رصابتي * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدني بالايك ليلا حمائم * تهاتف تشجو الا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

ولمؤلفه رحمه الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله سترما يراه من عيوب وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلي * بلطف وقل عن حال الصب سائلي
تقدم صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنا لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلي
ألا يا سليمى قد أضر بي الهوى * وهاجت بتبريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشا ومقاتلي
كتمت غرامي في هواك ولم أبح * بسري فباحت أدمعي برسائلي
سليمى سلي ما قد جرى لي من النوى * فقد عاد لي حال له رق عاذلي
لعل بجودي لتكذيب رقيبي * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلي
عسى تنطفي بالوعد ناري واشتفي * فبالسقم اعضائي وهت ومفاصلي
خفيت عن العواد لولا تأوهي * وعظم أنيني لا يراني سائلي
فرقي فقد رقت عداي لذلتي * وقامت على حالي عيون عواذلي
قطعت زماني في عسى ولعلها * وما فزت في الايام منك بطائل
فالآن ترضي علي وترحمي * ضنى جسدي فالوجد لا شك قاتلي
توسلت بالمختار في جمع شملنا * نبي له فضل على كل فاضل

وله رحمه الله تعالى

يا ربة الحسن من بالبعد أوصاكي * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكي

ويادماء

ويا فتاة بفتان القوام سبت * من في الورى يا ترى بالتيه فداكِ
لما جننت غراما مذ رأى نظري * في النوم طيف خيال من محياكِ
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلاً حزيناً لم يزل باكِ
عذبتني بالتجني وهو يعذب لي * فهل ترى تسمحي يوماً برؤياكِ
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكِ
ما آن أن تعطفي جوداً على دنف * أضحى فؤادي أسير اللحظ عيناكِ
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل أهواكِ
حتى تولع قلبي بالغرام فما * أمسى أسيراً سوى في حسن معناكِ
رقي لعبد لي جوداً وأعطفي وذري * ولا تطيلي بحق الله جفواكِ
يا هند رفقاً بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت يا هند ما أقساكِ
رقي العذول يكالي في الهوى ورثى * وأنت يا هند لا ترثي لمضناكِ
والله لومت ما أسلاك يا أملي * ولو فنيت غراماً لست أنساكِ

وقال آخر

كأن فؤادي يوم سرت دليل * يسير أمام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكي أرى * فؤادي سرى في الركب وهو عجول
وقائلة لي كيف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا إليه يؤول
فقلت لها قدمت قبل ترحلي * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلي طال همًّا فأنشدت * وما زال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمي لم يزل مترجما * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدري فراقنا * بيوم وداع ما إليه سبيل
قلعت لعيني في هواك بأصبعي * لكي لا أرى يوماً على تقيل

وقال الواو الدمشقي عفا الله عنه

يا من نفت عني لذيذ رقادي * ما لي ومالك قد أطلت سهادي
فبأي ذنب أم بأية حالة * أبعدتني ولقد سكنت فؤادي
وصددت عني حين قد ملك الهوى * روحي وقلبي والحشا وقيادي
ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا * قلبي أسيراً والهُ من فادي
لا غرو ان قتلت عيونك مغرماً * فلكم صرعت بها من الآساد
يا من حوت كل المحاسن في الورى * والحسن منها عاكف في نادي
رفقاً بمن أسرت عيونك قلبه * ودعي السيوف تقر في الأغماد
وتعطفي جوداً على بقبلة * فيهيم مبتسمي شفاء الصادي
مانت أطال الله عمرك سلوتي * ولقد فنيت سري وعاشر سهادي

ومن المنى لو دام لى فيك المنى * يا حبذا الأراك من عوادى
وأجيل منك نواظرى فى ناضر * من خدك المترقرق الوقاد
وأقول ما شئت اشتهى يا منيتى * ما لى سواك ولو حرمت مرادى
الا امدح المصطفى هو عمدتى * وبه سألقى الله يوم معادى

وقال البهاء زهير

اذا لجن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب يمطر الهم والأسى * وتحتى بحار بالهوى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففى القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

مجنون ليلى

وقد خبرونى أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا ستنقضى * فما للنوى ترمى بليلى المراميا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
أصلى فما أدرى اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلى لا والله لا أملك الهوى * اذا علم من أرض ليلى بدا ليا
خليلى لا والله لا أملك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واش باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبى الحياة لو انه * يزاد لها فى عمرها من حياتيا
على اننى راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتنى * فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق شيمته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

كمال الدين بن النبيه

أما وبياض مبسمك السنى * وسمرة منكة اللعس الشهى

ورمان من الكافور تعلو * عليه طوالع الند الندى

وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى

لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ري

الى كم أكتم البلوى ودمعى * يبوح بمضمر السر الخفى

وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

صفى الدين الحلى

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء

أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء

أحيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء

أمت بليل والنجوم كأنها * در بباطن خيمة زرقاء

أمست تعاطينى المدام وبيننا * عتب غنيت به عن الصهباء

آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من سقمه فيه يد البرحاء

ألفت بروقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى

أمصيبة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته أسنة الاعداء

أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء

أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

وله رحمه الله تعالى

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيى الى حين نلتقى

قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وما حل البياض بمفرقى

قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المنعم والشقى

قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق

قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق

قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى

قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذممى أفعاله وترفقى

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج

جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنانا عن السرج

جورية الخد يحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج

جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غض لها يغنى عن الحجج

جادت لعرفانها أن المريض بها * فما على اذا أذنبت من حرج

جنت يدى لترى ما بى فقلت لها * كفى فذا الجرى لولاك لم يهج

جننوني فرأيت الصبر أجمل بي * والصمت في الحب أولى بي من الضجيج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

وقال ابن نباتة

رفت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت في الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسي لجادلنا * وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبي ولم تذر
رشيقة لو تراها عندما سفرت * والبدر تاه اليها وهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * في ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت دون الحميا من مقبلها * اذ نبهتني اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوي فانظر * من يرشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وأبدت لي سرائرها * في ليلة الوصل بل في غرة العمر

وقال ابن الساعاتي

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الوأواء الدمشقي تضمين

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * أما غداً زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت * ورداً وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

عذولي لست أسمع منه قولا * على غيد امثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولي أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال في هواها سهرتها * أراعي نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثي عال في السما لانني * رويت أحاديث السها عن الزهر

السراج الوراق

يا لائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت أن تزور ليلا فالوت * وأتت في النهار تسحب ذيلا

قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلي

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا * سادبغيها على الاراك
سواى ما ذاق طعم ريقى * قلت لما ذاقه سواكى

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه يهذو
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

ومملولة في الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمي المتهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال أبو الطيب المتنبي

بأبي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلابيا
الناهبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسي فكنت الذائبا
يا حبذا المتحملون وحبذا * وادلثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن أنشبن في مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلي ميتا يتكلم

الشريف الرضي

وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر وممسك ومصندل
هيفاء إن قال الشباب لها انهضي * قالت روادفها اقعدي وتمهلي
وإذا سألت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوف * حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة خصباء منهل ثغرها * درود ريقتها سلاف قرقف

وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس بالنسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
يا بانة قد أطلعت أغصانها * وردا جنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكى الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالى الى أحد سواك تشوف

ولنذكران شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن البديوى

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت انى بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلافيا * ليطفى ضرام فى الحشا ولهيب
وكان حيامى والهوى وصبابتى * لمن حوى الاولى الى حبيب

وله فى المعنى

تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقلت فاها مبرد الصبابتى * فأضرمت نارا فى الحشى تلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

وقال أيضا

سألت القلب هل سيل للسلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن ستأتى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى * وتمطلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذى أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا ابغ حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف آتمن الجديدا

وقال آخر

لم أنس اذ قلت من وجد كلما غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم

سلوت

سلوت عنك فقالت وهي ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

وقال آخر

أمن المروءة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

وقال آخر

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وتعت فالى من يد به خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون لحساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

وقال آخر

يا من سقامي من سقام جفونه * وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صبحته عند المساء فقال لي * تهزأ بقدري أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

أبو عبد الله الغواص

من عذيري من عذولي في رشا * قام القلب هواه فقعد
قمر لم يبق مني حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

وقال آخر

جاذبتها والريح يجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

وقال آخر

لو مت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا ولا نظرت * عيني لغير محيا وجهك القمري

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصدع قلبي اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلي

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كأسا مذ علقتحبها * فأشربها الا ودمعي مزاجها

وقال آخر رحمه الله تعالى

يا ذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من تيهه * ما ضره لو دخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فوا لعصران العاشقين لفى خسر

أمين الدين بن أبى الوفا

يا نازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

الحاجبى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائع
وقلت لقلبى قم لنعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظماء وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر

ما اعترت ترك ودادكم يوم النوى * والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة * فيقال انت قتلته فتعاقب

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا الوداع مراقبة الثريا * وتم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

وقال آخر

ولى فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شئ فداك به

وقال آخر

وما هجرتك النفس يا مى انها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

وقال المحاربى

اذا أنت لم تعرف بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بأنضج من كى العصى المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

أقول لمقت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أما تأثم التى * أضر بجسمى منذ دهر غيالها
فقال بلى والله أو سيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

وقال آخر

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
فان تبسم قولا من ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن أبى الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأنى قد قتلت لها قتيلا * فأمسى بغير الهجر ترضى

وقال الحسين بن الضحاك

بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا

لم يشك عشقاً عاشق فيمته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

وقال آخر

وأجيل فكري في هوا * ك بلا لسان ناطق
أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

وقال آخر

يا ويح من خبل الأحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا وما ل به الهوى فأذله * ان العزيز على الذليل يتيه
أنظر الى جسد أضر به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلواً من تباريح الهوى * فأنا الهوى وحليفه وأخوه

وقال أحمد بن طاهر

تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاساً * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحاق مولى المهلب

حبيبي يا معذبتي أسات * وبالهجران فيكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي * علي اذا أسأت كما أسأت

وقال ابو العتاهيه

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موشح * ونوم على عيني قليل مفوت
اذا اشتد ما بي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدي وأسكت

وقال بشار

يا قرة العين اني لا اسميك * أكني بأخرى اسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم غيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غاديه * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمي يا أحسن الناس أنني * أحبك حباً مستكناً وباديا
أحبك ما لو كان بين قبائل * من الناس أعداء لجر التصافيا

وقال آخر

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فأد زكاة منظرك البهي

وذاك :

وذاك بأن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لا زكاة على الصبي

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهوى فى روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

وقال آخر

ألم تعلمى يا عذبة الماء أننى * أظل اذا لم أسق ماءك صاديا
وما زلت بى يا بين حتى لواننى * من الوجد أستبكى الحمام بكى ليا

أبو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

الوزير ظهير الدين الملقب بأبى شجاع

لأعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هى أوقعتنى فى حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلأسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

وقال العتبى

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

الزقاق الاندلسى

ومهفهف كالغصن الا أنه * تتحير الألباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف
كأن تشرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ مصنف

وقال آخر

ما زال يهل من صرف الطلا قمرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والأرداف تقعده * طورا وحاول أن يمشى فلم يطق
فعاثل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق

وقال لي بعض من لو اعطه * ان العشاق حرام قلت في عتقي

وقال آخر

بأركان هذا البيت أي لطائف * وفي الكون أسرار وفيه لطائف
رعى الله اياما وتاساعهدتهم * جيادا ولكن الليالي صيارف
وبي ذهبي اللون صيغ لمحنتي * يريد امتحاناتي وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فيا ذهبي اللون انك حائف

وقال آخر

أسنى ليالي الدهر عندي ليلة * لم اخل فيها الكاس من اعمال
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل في الرقباء

لو أن لي في الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر في التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال اعرابي

بسهم الحب كلم في فؤادي * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
ولولاه نشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

وقال آخر

من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرفت في بحر العمى * لاأنت لابل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبي سلمة

يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بأمر عجيب
أظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل ألف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا علو هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عندما شاب مفرقي
وعاقليني لادموع ولادما * ولم يبق الا لوعتي وتحرقي

وقال آخر

رجوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

يا زائر الطيف من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفرط النار بين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها يا ما جرى

وقال آخر

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم ما لا أرى
وعلمت أن فراقكم لا بد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أرملك جمر قلت لا تعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

وقال البدر الذهبى

قالوا أتبكى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الأنام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام الصبا والتصابي
ذاك الزمان من حلو الجنى * فلذت فيه بحبيب ورابي

الشريف الرضي

علّلا بي بذكركم واسقياني * وامزجا لي دمعي بكأس دهاق
وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا أترقد عنا قلت لهم * نعم وأشفق من دمعي من بصري
تاسي طرفي فداني من جسكم * انى أعذبه بالدمع والسهر

عز الدين الموصلي

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعتولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * يا حبذا لو صحت الاحلام

ومما قيل في السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

ورُبّ ليل سهرناه وقد طلعت * بغية البدر في أولى تباشيره
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقال آخر

ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمّر الذيل منسوب الى القصر
ما ذاك الا لأن الصبح نم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال غيره

فلم أر مثل ليل ذوي التصابي * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافي * ويشكو قصره أهل الوصال

وقال آخر

ليلى وليلى نفى نومي اختلافهما * قد صيرانى جميعا في الهوى مثلا
يجود بالطول ليلي كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال آخر

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وقال غيره

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عيني فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلي حرقي * صحت يا ليلي أما فيك سحر

وقال آخر

يا ليل طل أولا تطل * لا بدّ لي من سهرك

لو بات عندي ثرى * ما بت أرعى قمرك

وقال بشار بن برد

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل الصباح المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال آخر

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليلى تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال ابن منقذ

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وقال آخر في ليلة ممطرة

أقول والليل في امتداد * وأدمع الغيث في انسفاح
أظن ليلي بغير شك * قد بات يبكي على الصباح

ومما جاء في الأشعار الخمرية قول صفي الدين الحلي

بدت لنا الراح في تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
بكر إذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح إذا * لاحت جلت ظلم الأحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما في سالف الحقب
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والأدب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كأن في لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا في الأفق غدت * تنقض فيه كؤوس الراح كالشهب
بذلت عقلي صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

وقال أيضا

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
ثم السرور رفقم بنا يا صاحبي * نسترد الماضي بنهب الآتي
نوح بكاسات الطلا هام الربا * في روضة مطلولة الزهرات
تغدو وسلاف القطر دائرة بها * والكأس دائرة بكف سقاة
ملقا النضار على العقار غنيمتي * وفراغ راحاتي على الراحات

ترکی لأکیاس النّضار جهالة * من ذا أحق بها من الکاسات
تبّت یدا من تائب عن رشف الطلا * والکاس متقد کخد فتاة
تایع الی أوقاتها داعی الصّبا * واعجب لما فیها من الایات
تمّم بها نقص السرور فانها * عند الکرام تتمة اللذات

وقال أیضا

حیّ الرفاق وطف بکاس الراح * واطرز بکاسك حلة الافراح
حث الکؤس علی جسوم أصبحت * فیها المدام شریکة الارواح
حاشی الأنام وعاطنی مشمولة * ظلت تنادی وهی تین صلاحی
حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنی تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الکؤس کانها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح
حجب الحباب شعاعها فکانه * شفق تلهب تحت ذیل صباح
حکم الزمان وغض عنا طرفه * یا صاح لا تقنع بأنك صاح

وقال آخر

قد قلت اذ أضحی یعبس کلما * دارت علیه بالمدام الاکؤس
تالله ما أنصفتها یا سیدی * تأتیك باسمة وأنت تعبس

عز الدین الموصلی

لئن شبه الساقی المدام بعسجد * فقد مال بالتشبیه عن صیغة الادب
ولکن رآها جوهرا سمیت طلا * فمیّز ما قد حلت الکاس بالذهب

یزید بن معاویة

وشمسة کرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقی ومغربها فمی
مدام کتبر فی اناء کفضة * وساق کبدر مع ندامی کانجم

وقال آخر

کأن الندامی والسقاة ودننا * وکاساتنا فی الروض تملی وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوّار وشرق ومغرب

وقال آخر

فکانها وکأن حامل کاسها * اذ قام یجلوها علی الندماء
شمس الضحی رقصت فنقط وجهها * بدر الدجا فی کوکب الجوزاء

وقال کشاجم

صدح الدیك فی الدجا فاسقنیها * خمرة تترك الحلیم سفیها
لست أدری من رقة وصفاء * هی فی الکاس أم هو الکاس فیها

کمال الدین ابن النبیه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجا بالمصطبح
خفيت تباشير الصباح فاسقني * ما ضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فما سرت * سراؤها في باخل الا سمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار وافتضح

وقال غيره

وليلة اوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
ما زلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكأس يرينا آية الصبح في الدجا * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقي من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
ما زلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن مكانس

. نزل الطل بكرة * ودنوا الي بجد دا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسي على الندا

الشيخ شهاب الدين الحجازي

كاسنا يا صاح صرفا * جليت بين الندامى
لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

صفي الدين الحلي

كيف لا تخضع العقول لديها * وهي سلطان سائر المسكرات
ألفوا في الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحياة وماء الممات

غيره

صبها في الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها في الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

مجد الدين بن تميم

نديمي لا تسقني * سوى الصرف فهو لي
ودع كاسها أطلسا * ولا تسقني مع ذيل

تقي الدين بن حجة

حيا بها عاصرها في كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذي تحفة في عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

أبو الطيب المتنبي

يا صاحبي امزجا كاس المدام لنا * كيما يضيء لنا من أفقها الغسق
خمر اذا ما نديمي هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو رام يحلف أن الشمس ما غربت * في فيه كذبه في وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

وقال آخر

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا اعصرت بدا في الكاس منها * دوالي قد تربت في دوالي

برهان الدين بن المعمار

باكر لكرم العنب المجتنى * واسبحه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكي تزيل الهم عنا به

جولان الهمذاني

اذا ما الخمر في الكاسات صبت * رأيت لها شموسا في بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

وقال في الشراب المطبوخ

يا من يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار في أي شيء تظلم العنبا
ان التي طبختها الشمس اقنع لي * ولست لخمر لا قدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وصبيعة رقت وراق مزاجها * لطفا وأعلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم يخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقا بتصريح
هذا من الحي للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا على مداما * أعرقنا الصبوحي

واستنكروها وقالوا • تحللت قلت روحي

وقال آخر في الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى • والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى • أضحك وجه الروض لما بكا
وانظر لماء السيل في مده • كأنه مستدل أو مصطكا

وقال آخر

يا ليلة جمعت لنا الاحبابا • لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقي سلافا قرقفا • يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها • من فضة قد قمعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالباكي بأدمعه • والارض تضحك والازهار في فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده • من الزمان وما نلقى الى القدح

ابن نباتة

أما ترى الليل قد ولت غياهبه • وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية ودنت • كأنها خد ريم ريم فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح • وشرب الراح والغرر الملاح
وكانت الثلج كالكافور نثرا • وناري بين نارنجي وراحي
فشمومي ومشروبي وناري • وثلجي والصباح مع الصباح
لهيب في لهيب في لهيب • صباح في صباح في صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها • فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها • كواكب در في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت • قميص بهار من قميص شقيق

وقال آخر

وحمراء قبل المزج صفراء بعده • أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا • عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال • وحل البدر في برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب • تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشابهتها • قدود شقاتنا في كل حال

فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

وقال آخر فى الشراب على الغيم

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى أن تدعو برطل * فنشربه وتدعو لى برطل

وقال آخر

فيا بكر باكر بكرة بكر كيرمة * تفز بكبور باكرتك بها بكر
وداوى خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبرى

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبر ناعن سالف الزمن
حمراء رقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسقى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج يمنى الى اليمن
فى ريقه عسل قلبى به خبل * فى مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * فى طرفه حور يرنو فيجرحنى
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
فى روضة زهرت بالنبت فى حسن * كأنها فرشت من وجهه الحسن
يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهاك الزهرات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب موات
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فتحيت للنيران فى الحانات
يسل فى قار الظروف حبابها * والدر يجتلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاتى
يسقى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل فاتر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأنها ورا الحيات
لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

وقال ايضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الأيك طائره

والليل

والليل يجري الدراري في مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقي لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدي حبه ترفا * مختصر الخصر عبل الردف وافره
تعلمت بانة الوادي شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـكبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مجت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالبواطي ثم رحنا * نعلل بالكؤوس وبالقناني
ولولا ضيعة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

برهان الدين القيراطي

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالي عجيب
جئنا لخمار وقلنا له * احمل الينا جرة كي نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل مني قريب
قلنا له خمرا فنادى زدنوا * في جرة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب لصرف همي * نص على نفعه طبيبي
آها على سكرة لعلي * أن أخلط الهم بالزبيب

وقال

قالوا اترك الخمر ولجتنبها * لا استعد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

ومما قيل في شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سنه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الاباريق

[illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

وقال ايضا

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

وقال في شرب الثلاثة

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

وقيل في شرب الاربعة

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

وقيل في شرب ستة

خير المجالس خمسة او ستة • [illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

وقيل في الشرب مع النجار

شربت مع النجار [illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

[illegible] • [illegible]

فيمن اكثر من الشراب

[illegible] [illegible]

نديم دأبه في السكر أكل * فلا يبقي على شيء يراه

وقيل في نديم

غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى * مهانا فأضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار بجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصاري يستدعي بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشي أو حرير
وقد صفي الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهي نور
ومن برد السرور بعيش هنيا * اذ العيش الهني هو السرور
وعندي اليوم فتيان كرام * وجوههم شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لأمر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك في الحضور فحق يومي * عليك وقد دنا الله الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن في كأسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لا صاحبتني يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندي من اللوم

سيف الدولة بن حمدان في ساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فما بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا * على الجود كنا والحواشي على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ابن نباتة

سقي وواعدني وصلا الذ به * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر في ساق

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيى بالثريا

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده مذ سودت * عبثا بلام عذاره وبنونه

يجد الذي بيمينه في خده * ويجري الذي في خده بيمينه

في جارية ساقية

نديمتي جارية ساقيه * ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس في يده

قالوا الذي تهواه يحبس كاسه * في كفه من غير ذنب موجب
فأجبتهم كفوا الملام فإنه * قمر يديره طرفه في كوكب

وقال آخر في مجلس انس

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفي الدين الحلي في عود

وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرد في تغريده فكأنه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم

وقال آخر في زامر

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل في فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكأنما الفانوس في غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم في شمعة

حكتني وقد أودى بي السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغنني * هذا الهوى وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذي طله الندا * سحيرا وأوداج الأباريق تسفك

قلم

فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجري دمعه وهو يضحك

وقال آخر

اما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شيء من الزهر
والارض لا تنجلي أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

أيا حسنها من رياض غدا * جنوني فنونا بأفنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

وقال ابن تميم

وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي بروني حسنها مدهوش
بيد وحبان غصونها في مائه * نكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

وقال آخر

قد سحبنا نبغي زيارة دوح * تدحيانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

وما قيل في الازهار والثمار قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب
الورد ضيف فلا تجهل كرامته * نهاهنا قهوة في الكاس تلتهب
سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * ما دام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت للئام الناس أعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعده عددا

واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تامن صرف الحادثات غدا

وقال آخر

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب

ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق

لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

ومما قيل في البنفسج قال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت

كأنها فوق طاقات ضعفن بها * أوائل النار في اطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد

فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن بإثمد

ولبعضهم في الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * أن البنفسج أزكى منه في المهج

كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص بدا في خد ذي غنج

وقال آخر

يا مهديا لي بنفسجا أرجا * يرتاح صدري له وينشرح

بشرني عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

وقال غيره في النرجس

وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض

توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر

أنشأ بالنرجس روض * لزهور الارض ست

ودليل القول فيك * أن أوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي المام

أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

وقال أيضا فيه

لما تمادى الورد في زهره * وتاه من اعجابه برأس

تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

وممّا قيل في الينوفر لابن المعز المصرى

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتّح الاجفان فى نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خدّه * وغاص فى البركة خوفا الرقيب

وقال تميم بن المعز المصرى

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصاد فى ظبى الفلا بالشرك
فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذى غيّرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفّرك

وممّا قيل فى البان

قد أقبل الصيف وولّى الشتا * وعن قليل تسأم المحترا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برّا

وقال آخر فيه

أما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقدّه المياس
وفى يبشّر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وقال فى الشقيق

حبيته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمرّ من خجل فانبت خدّه * أضعاف ما حملت يدى اليه

وقال آخر

لولم أعانق من أحبّ بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثّر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فانشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق
فارقته ولزمته * فأنا الشقيق الصادق

وممّا قيل فى المنثور

تخال منثورها فى الروح منتثرا * كأنما صيغ من درّ وعقيان
والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فانى

وقال آخر

قد أقبل المنثور يا سيدى * كالدرّ والياقوت فى نظمه
ثناك لا زال كأنفاسه * ومخ من يشناك مثل اسمه

ولبعضهم فيه

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع أقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر ذا يضحك

وما قيل في الياسمين

والأرض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال آخر

رأيت الفال بشرني بخير * وقد أهدى الي الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

وما قيل في السوسن للخطل الاقوازي

سقيا الارض اذا ماغت نبهني * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

وما قيل في الاقحوان لعبد القادر بن مهنا العلوي

أندي الذي زارني سرا فاتحفني * باقحوان يحاكي ثغر مبتسم
فبت من فرحي أفني مقبله * لثما وأرشف من ريقي له شيم

ولبعضهم فيه

ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

وما قيل في الجلنار

وجلنار مشرق * على أعالي شجره
كأنه في غصنه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

وما قيل في الآس

أهديت مشبه قد الميّاس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الأنفاس

وما قيل في الريحان

وغصن من الريحان أخضر ناضر * غما بين غصني نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

وفيه أيضا

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا مستجعدا * عذار تبدى في سوالف أغيد

(ومما قيل في الفواكه والثمار على اختلافهما) في الاترج قال ابن الرومي

كل الخلال التي فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حياك من تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
بجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

وقال آخر

يا حبذا الاترجة * تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

في الليمون قول أبي الحسن رئيس الرؤساء

يا حسن ليمونة حيانا بها قمر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

وفيه أيضا

وصاحب ناديته * والطير لم يغرد
انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد
واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون في * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * مملوءة من عسجد

في النارنج لعبد الله بن المعتز

نظرت الى نارنجة في يمينه * كجمرة نار وهي باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ في دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا في صولجان زبرجد

وقال آخر

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ما ترى كالصولجان

أشبهها ثداء ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
تطالعها بين الغصون كأنها * خدود عذارى في ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق برياحينه * فهاجت له الأشجان من حيث لا يدري

في التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكاسي وهي ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فإننا * خدود الأغاني قد جمعن على طبق

وقال آخر في تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق إلى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدا محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وقال آخر

وتفاحة وردية ذهبية * تجلي عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بحمرة جاءت باحمرار أديمه
تذكرني شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

وقال آخر

حمرة التفاح في خضرته * أشبه الألوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

وفيه أيضا

أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل في السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل النهد تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكي بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق
إذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق قطعها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال آخر

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

وقيل في الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتتلنا * مغبرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى تبادى منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر في معنى ترفد

ومما قيل في المشمش

بدا المشمش الاشجار يذكو شبابه * على غض أغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره في اخضرار * جلاجل تبر في قباب زبرجد

ما قيل في الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الأوراق مستترا * كما احتبى الزنج في خضر من الأزر

ما قيل في الخوخ

أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه في مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعار * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ما قيل في الفستق

تفكرت في معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجني فإنه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ما قيل في البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
نتنقل الظبي البهي ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

ومما قيل في النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها في فنون
كأنما النبق فيها * وقد حلا في العيون

جلاجل من نضار * قد علقت في الغصون

وبما قيل في اللوز

ومهد إلينا اللوزة قد تضمنت * لبصر حاقلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة * على رقبة في مجلس فتعانقا

في العنب لبعضهم

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية إذ وافتك من يده
نوعان من عنب جاءا على طبق * كأن طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكي لون أبيضه * وأسود العين يحكي لون أسوده

في قصب السكر

ورماح لغير طعن وضرب * بل لأكل ومص لب ورشف
كملت في استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

وبما قيل في البطيخ الاصفر

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم ببارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * إلينا غلام فاق كل غلام
تخيل لي شمس الأصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

وبما قيل في البطيخ الاخضر

وظبي أتى في الكف منه بمدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت في أكفهم * وقد علت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

وقال آخر

وبطيخة خضراء في كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجي القلوب مع المهج

وبما قيل في القثاء

انظر اليها أنابيبا مبيضة * من الزمرد خضرا ما لها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار في عكسه اني بكم أثق

وبما قيل في الباذنجان

وكأنما الاباذنج سود حمائم * أوكاره خضل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرد سمسما * فاستود عنه حواصلا من عنبر

وما قيل في الانهار والبرك والنواعير

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نوراً من الشمس في حافاتها طلعا
والنهر من فوقه بلهيك منطلق * شهب سماوية فارتع والقما
كأنه السيف مصقول لا يقلبه * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى

وقال آخر في بركة

يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت مغانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقال آخر

وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * في الأرض جزء من السماء

وقال محمد بن سارة المغربي

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الأمواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الأعجاز

وقال آخر

يوم لقا بالنيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر

وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم في المجره

وقال آخر في النيل

النيل قال وقوله * اذ قال ملئ مسامعي
في غيظ من طلب العلا * عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا * فلعتها بأصابعي

وقال آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقال آخر فيه

وفت أصابع نيلنا * وطمت وطاف في البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذي أصابع ذي أياد

وقال آخر

شد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواثبت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

ونهر خالف الأهواء حتى * غدت طوعا له في كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجري

وقال آخر في ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وأنة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لأني فقدته * وأما دموعي فهي تجري على جسمي

وفيها أيضا

وجنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكي اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكي بغير صبابة * وأبكي بأقراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مشتفا * ودمعي من عيني يفيض على خدي

وفيها أيضا قال الخطيري

رب ناعورة كان حبيبا * فارقته فقد غدت لي تحكي
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكي

ابن تميم

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجري وذاك يدور

* (فصل في ذكر أرباب الصنائع والحرف والأسماء وما أشبه ذلك) *

لابن عفيف في قاض مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لي بسهم لحظ * قلنا له ذا اسم النفوذ

وقال في فقيه مليح

وبمهجتي ظبيا غدا مستضعفا * وهو المهذب والرشاقة والحور

أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

وقال في محدث مليح

سلفته محدثا * شرد عن جفني الوسن
حديثه ووجهه * كلاهما عندي حسن

وقال في امام

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر في ليالي السعود
فتمنيت أن وجهي أرض * حين يوي بوجهه للسجود

ابن الرومي ولجاد

بي عروضي مليح * موتتي فيه حياة
عاذلاتي في هواه * فاعلات فاعلات

في مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اي شحيح
أبدا أموت بهجره لكنني * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

لابن عربي

وبنفسي مؤذن قد سباني * لم يفد في شكوى الغرام اليه
كيف أصغى لما يقول حبيب * واضع اصبعيه في أذنيه

وقال آخر في مريد

مراد قلبي مريد * مخبأ في الزوايا
وليس ذا بعجيب * ففي الزوايا خبايا

وفي فقير مليح

بي فقير يتغنى * بسنا وجه منير
لا تلمني في افتضاحي * فغرامي بالفقير

في أمير شكار لابن دانيال

بي من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

في مليح مغن

أضحى يخجل وجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكانما هو يوسف * واذا شدا فكانه داود

في مليح عواد

غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنى الي وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

في مليح كاتب

بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * يوجنته غدا دمعي مسلسل

غيره

وراقنا المفدى * فيه تزايد عشقي
فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

وفيه أيضا

يا حسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان أعطافه * ما أحسن الأغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الأسيوطي فيه أيضا

فديتك أيها الوراق قلبي * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

في مليح صيرفي

يا سائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد ألفه
في صيرفي لا يرق لحالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

في مليح بجانقي

تسلطن في الملاح بجانقي * ولا يرضى بغير التم نائب
وقد صفت له الأتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

في مليح فراء

قلت لفراء أدمي * وزاد صدا وطال هجرا
قد فرتوني وزهبر * فقال لما عنفت فرا

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفا في مزين

حبي المزين وافى * بعد البعاد بمشطه
ومس دمل قلبي * بكاس راح وبطه

في مليح قصاص

أشكو إلى الله قصاصا يجرعني * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص يمناه فمقلته * أيضا تقص علينا أحسن القصص

في مليح صياد

ومولع بفخاخ * يصيدها وشراك
قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكي

في مليح رامي بندق

واحيف لعذ ذي دلال • حائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كنه هلال • يرى الى البدر بالكواكب

وقال آخر في راع

أفديه من راع كبدر الدجى • قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفني بالجدي ناديته • ما القصد يا مولاي الا الشاق

القيراطي في مليح طحان

حسن طحان سباني • بلحاظ وبقامه
خاف من واش فأضحى • يجعل الغمز علامه

القاضي بدر الدين البلقيني في ترّاب

رُبَّ ترّاب مليح • أورث القلب عذابا
قلت لما أن بدا لي • ليتني كنت ترابا

وقال آخر في مليح عوّام

يا حسن عوّام كغصن النقا • يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن • يريهم الارداف ان عاما

ابن نباتة في مليح حبشي

بروحي مشروطا على الخذ أسمرا • دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد • فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا • ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد • وخلقك ريحان ولفظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه • فقلت ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثار من قتلت • فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر في مليح اسمه زائد

وزائد قال قلبي • للطرف يا طرف شاهد
مدحته فتجنى • تيها على بزائد

وقال آخر في مليح ارمد

شكا رمدا فقلت الآن كلت • لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى • فقلت نعم لقتل العاشقينا

مجد الدين بن مكانس فيه

توزمت مقلة المحبوب من رمد • وبات يشكو لهيب القلب والألما

وبات يرى محبيه بأسمه * فيا له من حبيب قد شكا ورما

لابن حجلة في أعور

ما شان من أهواه عين صبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده

لولا استخف العالمين بأسرهم * ما ظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر في مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس

وقلت للنفس أي الضرب يؤلمكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

القيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق في حسنه وتما

وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

آخر في مليح اسمه حمزة

متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثي لي وينظر في بلائي

وأشفي بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائي

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادي * غزال قد تحكم في قيادي

فتصحيف اسمه في وجنتيه * وفي معشوقه وفي فؤادي

في مليح سروجي

فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجي

اذا اجتذب الغرام له عناني * يلذ لي الركوب على السروج

وقال آخر في مليح مجوسي

قالوا حبيبك مجوسي فقلت لهم * أنا الذي كنت في عشاقه السببا

تأنقته ولهيب النار في كبدي * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

لأبي نواس في مليح ألثغ

ومهفهف دنف الصبا ذي لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح

قبلت نله تعالى في تحوفا * من كاشح متدللا بالثاء شحي

وقال في مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى * في حشا الصب من جفاه كلوم

فلك دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال في مليح حائك

وحائك يا صاح أبصرته * كالبدر في كفيه مأسوره

لم أرح الا وروحي لما * عاينت في كفيه مأسوره

وقال في

وقال في مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف • رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره • وألثم الشامات من خده

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه • فنادمني حتى سكرت من الوجد
وأنشدني مالي أراك مفكرا • تدور على الشامات وهي على الخد

في مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى • بديع حسن فريد شكل
فصل لجسمي ثوب سقم • لما جفاني وكف وصلي

وقال غيره

فتنت بخياط بديع ملاحة • له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسي للثوب خائطا • فتقسم حقا أنه آية الكرسي

الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدى • وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتي يديه • وسلط كلبتين على غزال

وقال في مليح سلم عليه

تنبأ فيك قلبي فاسترابت • به قوم وعمهم الضلال
وصدقه الهوى ان يؤمنوا بي • وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا • الي وقيل كلمه الغزال

وقال في مليح يرمي بالسهام

وظبي بشعر فوق طرف مفوق • بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه • هلال رمى في الليل جانا بأنجم

وقال في مليح يضرب بالعود

فاق الانام بجوده وبشدوه • شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه • وكأن ما بيمينه في فيه

وقال أيضا فيه

وأغن قد أبدى لنا من عوده • نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد اذا سخطت على أوتاره • نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال في مليح مشبب

يا نافخ الدر بل يا باعث الصور • من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا • فكان فيك مراد السمع والبصر

ضمنت للصب أقبال السرور كما * ضمنت نائيك نأي الهم والفكر
صوت بسيطه أو لفانسطه * انجمت في اللفظ والمعنى على قدر

وقال في مليح ساق

وساق من بني الأتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

وقال أيضاً في رسول مليح أتاه من عند من يحبه

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
يا طلعة الشمس الذي * جاء الصباح دليله
لم تبد وجهك قبله * الا ارتقبت وصوله
فلذا اذا ولجهتني * بل الفؤاد غليله

في مليح قاري

نفسي الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئاً في المصحف
فتن الأنام ببهجة وبلهجة * تسبي وتضني كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر في مليح مكمل العذار

وكامل العارض قبلته * فصدني وازور من قبلتي
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر في لحيتي

وقال آخر في مليح حجام

كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواطي
أضحى كثير الاشتطاط ولم يكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

* (فصـــــل في الالغاز) *

في غزال

إسم من قد حويته * ظاهر في صروفه
فاذا زال ربعه * زال باقي حروفه

في كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه * له في السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعاً * يقبل فاك من فرح الخلاص

في زرموزة

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تأكل

وقال في طاحون

ومسرعة في سيرها طول دهرها • تراها مدى الأيام تمشي ولا تعب
تدب سريعاً ما انقطع الأكل سعيها • وتأكل مع طول المدى وهي لا تشرب
وما قطعت في السير خمسة أذرع • ولا ملك تمن من ذراع ولا أقرب

في دواة

ومرضعة أولادها بعد ذبحهم • لها لبن ما لذ قط لشارب
وفي بطنها السكين والمدى لها • وأولادها مذخورة للنوائب

في دواة أيضاً

وما أم يجامعها بنوها • وليس عليهم يجب الحدود
كأنهم إذا ولجوا حشاها • أفاعي في أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره • يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيراً كلما طال عمره • ويضحي بليغاً وهو لا يتكلم

وفيه أيضاً

بصير بما يوحى إليه وما له • لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره • إليه إذا ما حركته الأصابع

وفيه أيضاً

وأصفر عار ناحل الجسم جسمه • يشتت شمل الخطب وهو مجموع
حمى الجيش مفلولاً كما كان يحتمي • به الأسد في الغابات وهو رضيع

وفيه أيضاً

وذي نحول راكع ساجد • أعمى بصير دمعه جاري
ملازم الخمس لأوقاتها • مجتهد في طاعة الباري

في مرسلة

معشوقة لذوات العز قد صنعت • حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة • تبكي دماً على ما سطر القلم

في كتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح • بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه • فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

في سلطان حسن لابن أبي حجلة

ما اسم يحبب للقلوب لأنه • حسن الحروف يجود بالإحسان
تصحيفه أمسى حبيباً كلما • صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جاد لي يوماً برؤية وجهه • نلت المراد وعشت بالسلطان

في شبابة

وما صفراء ناحلة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتنة وليس لها بنان * مثقبة وليس لها انتقاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لا سعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

ومقروحة الأجفان مثلي شجية * تناءت عن الأهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذالك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها التما ويبطرها شربا
وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا ثلثت في اليمنى وان ثلثت في اليسرى

في دملج

الى النساء يلتجي * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جلد

في خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الغضب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

في شعر اللحية

وذي شدة كالرمل تام جميله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفي قلب هارون له الملك والمحق

في التين

أي شيء لذ طعما * ناعم اللمس ولين
كيف لا يبدو وضوحا * وهو في التصحيف بين

في الموز

ما اسم لشيء حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه مدودا فان زدته * واوا ونونا صار مزمونا

في حمزة

من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لين قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

وفيه أيضا

اسم الذى أنا أهواه وأعشقه ٭ ومثول دهرى أخشى من تجنبه
تصحيفه فى فؤادى دائما أبدا ٭ يبدو وفى خده أيضا ورقيه

فى سانية

وجارية لولا الحوافر ما جرت ٭ أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى أمهم ٭ وليس لها ثدى وليس لها بعل

وفيه أيضا

وجارية تبكى اذا الليل جنها ٭ بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شمروا بعد حزمهم ٭ وما كان شق القوم الا بواجب

فى زر وعروة

وما أخت يجامعها أخوها ٭ وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا ٭ وفى أعناقهم ذاك النكاح

فى راوية

وسوداء تشرب من رأسها ٭ وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون أختها ٭ ونتناهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها ٭ وفى ساعة يضعان الولد

فى شطرنج

يا ذا النهى ما اسم له حالة ٭ يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما ٭ ثلاثة منها له شطر

فى فيل

أيما اسم تركيبه من ثلاث ٭ وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات ٭ لم يكن عند جوعه برقاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما ٭ رمت عكسا يكون لى ثلثاه

فى بجع

ما طائر فى قلبه ٭ يلوح للناس عجب
منقاره فى بطنه ٭ والعين منه فى الذنب

فى نار

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر ٭ له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا ٭ وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يختشى الرمح بأسه ٭ ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قمت تسقيه عامدا ٭ ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الأبيات دونك شرحها ٭ والا فنم عنها ونبه لها عمر

وفيها ايضا

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

في يد الهاون

فما لي فاشئ يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع في القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

وفيه أيضا

خبروني أي شئ * أوسع ما فيه فمه
وابنه في بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

في خشخاش

وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكي الملاحة بالظرف
وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا أو يزيد وتتن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

في كوز زير

وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

في اسم علي

اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره
ان فاتني أوله * فان لي في آخره

في موسى للصفدي

وما شئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت راس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

في حلب لابن الفارض

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم

وقال في سمرقند

وما اسم سداسي اذا ما لمحته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتي به للموت نجاة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله يا صاحبي له * على مدد الأيام نشر معطر

وفي

وفى نصفه لما تحرك بعضه • حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذا ما اعدته • الى النار تحليل والمقدسكر
فعسر لذاذ الاله ان كنت ابحى • فليس على ذى العقل لغز معسر

وقال فى كمون

يا ايها العطار اعرب لنا • عن اسم شئ قل فى سومك
تراه بالعين فى يقظة • كما ترى بالقلب فى نومك

وقال فى قالب الطوب

وما آكل فى قعدة الف لقمة • ولقمته اضعاف اضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم • سوى لحظة او لحظتين ببطنه

فى العين

وباسطة بلا عصب جناحا • وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا القمتها الحجر اطمأنت • وتجزع ان يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ما اشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة ابدا لا يغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة ابدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض الفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من اقبح العيوب التى لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد اوضح قاعدة الجميع وامثلتها صفى الدين ابو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى • والمرخص الغالى • ولو بسطت للقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال • (فصل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح)

لابن المبارك

قد اثخن الجسم اسمر اكحل • وارحل القلب فيه مدخل

دور

اميل له فلا يميل
يحول وعنه لا احول
اقول اذا زادنى النحول

أما حل عقد الصدو ديخل * ويرحل عن مجنى المرحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد
ويعتمد بهجره لأنفد
وأجهد لارتصاد من قد

تحمل والحاسدون زحل * تحل والوعد منه ماحل

دور

متوج بالحسن هذا الأبلج
مدبج عذاره البنفسج
مفلج وطرفه ذا الأدعج

مكحل وثغره مفلج * تخجل بجنبه معجل

دور

برغمي من يستحل خلى
ويرى مجر به لسلى
وجسمى من الترلم سقمى

مستعمل وقد غدا مرحل * لمن حل سفك دمي وماحل

دور

قلاني واشتط ذا الفلاني
عز اني بطرفه اليماني
تراني أنشد لمن يراني

قد أنحل الجسم أسمر كحل * وأوحل القلب فيه مدحل

* لابن سناء الملك *

كللي يا سحب تيجان الربا بالحلي * واجعلي سوارك المنعطف الجدول

دور

يا سماء فيك وفي الارض نجوم وما
كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهي ما تهطل الا بالطلا والدما

فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

نتعقد كالكوكب الدري للمرتصد
يعتقد فيها المجوسي بما يعتقده

فاشدیا ساقی الراح بها واجتهد

واصل لی حتی ترانی منک فی معزل * قل لی فالراح کالعشاق بزدیقل

دور

لا ألیم فی شرب صهبا وفی عشق ریم

فالنعیم عیش جدید ومدام قدیم

لا أهیم الا بهذین فقم یا ندیم

واجل لی من اکوس صیرت من قرنفل * ألذ لی من نکهة العنبر والمندل

دور

خذهنی واعطنی کاسی بشل کملاهنی

واسقنی علی رضاب الفطن اللمس

والهنی ببعض ما صیغ من الالسن

لو تلی مدح سناه مع رشا الکحل * لذکی علی سنا الصهباء فی السلسل

دور

أزهرت لیلتنا بالوصل مذ أسفرت

أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت

أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولی یا لیلة الوصل ولا تنجلی * واسبلی سترک فالمحبوب فی منزلی

دور

من ظلم فی دولة الحسن اذا ما حکم

فالالم یجول فی باطنه والندم

والقلم یکتب فیه من لسان الامم

من ولی فی دولة الحسن ولم یعدل * یعزی لالحاظ الرشا الاکحل

وله أیضا

تری هل یشتفی منک الغلیل * ویشفی من صبابته العلیل

دور

لقد أسرفت فی هجری وصدی

بلا سبب سوی کلفی ووجدی

وماذا فی سلوی عنک یجدی

خضاب الوجد لیس له نصول * وأسیاف الهوی فینا تصول

دور

لئن شنعت عنی بالسلام

وطيفك قد جفاجفا المنام
فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أسف به النحول
دور
لقد أرسلت في طي النسيم
حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهي عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * ببدار لا يلم لها نزيل
دور
تلقته الموالي والموالي
بألحاظ وزرق من نصال
وأعطاف وسمر من عوالي
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل
وله أيضا
شمس المحيا لم القمر * أم بارق الثغر الأشر
أم البهاحقه الخفر * ببطرز خديك مستطر
سلسله
قم تباها بماتياها ولالالاها
قفلة
فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر
الدور
أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا في دجى الشعر * قد لذ في حبه سهرى
سلسلة
اذا تجلى وقد تحلى حليك الحلي
قفلة
تحيرفي وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر
الدور
فيها لك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأنواع الرتب
سلسلة

في ظل بان على المثاني من غير ثاني

نفلة

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

والنسيم السحر عليك غبر * عن نسيب هموا بالمحنا
فارقوني ولم اقض الوطر * من لثام ولا لثم المنا
قلت يا قلب صبرا ما صبر * والنبي ما الهوى الا انا
ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنا

دور

ليش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسيمه في هواك
لست القى لدائي من طبيب * غير رشف حبيبي من لماك
لو رأى حالي العاذل عذر * حين ما ينظر جمالك والسنا

دور

يا قمر فوق غصن من نقا * انحلتنا مطالك والصدود
يا رعى الله لو نلت اللقا * ليتها يا خل يوما لي تعود
ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات واوقات الهنا

غيره

حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقي

دور

ساروا وسار الفؤاد لكن
جسمي مقيم على المساكن
وعيني الحب صار ظاعن
ما لي الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا
والورد والياسمين خدا
كأنها البدر اذ تبدى
وشعرها اسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هويا أتتنا تميل ميلا
سحابة كالسحاب ذيلا
فقلت شمس تزور ليلا
وما درى كاشح عذولى * فذاك من أعجب اتفاق

دور

وشدتها ساعدى لسعدى
وبت أرعى رياض ورد
وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح في التراقى

دور

لما رأتنى أذوب سقما
ومن ورود الرضاب أظما
قالت كلمت الخدود لثما
ما يشتفى منك ذا الغليل * بغير فومى وشيل ساق

* (فصل في الفن الثالث وهو الدوبيت) *

لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله

أهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق
تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثناياه وبينى فرق

وقال أيضا

أهوى رشأ كل الأسالى بعثا * مذ عاينه تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت في خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا

عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

وقال أيضا

روحى لك يا زائرا في الليل فدا * يا مؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ما تواكمدا ويالهوى ما باحوا

وقال آخر

أحوا، مهفهفغا نثيل الرُّب * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن وأرسد غصين بدّ * يارب عسى يكون وارالعطف

وقال التلعفرى

قلبى ذهب لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فترفّق لما به شامته * لاكان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احبابك طول الدهر لانسا * لا أذكر بعد خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى عليك عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربى الحمى ولاح نجد * فاذكر ولهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصدحتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

* (فصل فى الفن الرابع وهو الزجل) *

جمل للغبارى

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا ذا النفار
لهم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفا ر

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لوعيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قد وقد الاغصان جهار
وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

دور

قد رىالله ايش قالت ملاح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القد و د
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم ياعشاق كم قلنا والحسود دلح بنا ر
أنتم النصاح وما نقصد منكم الا الحيا د

دور

وملاح مصر قالت احنا اصحاب الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح
احنا أقمار ولحنا بدور الليل وشموس الصباح

وفي الالفاظ والظرف والمعنى ليس لها صادد
وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

دور

حسن جي الفرارجي فرجه بدر في السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشر فاق ملاح الملاح
كلما اعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضه قد خرج نافر دجفني بنار
وجفاني وخدبياض جسمي خلطو بالصفار

دور

وقع الطل خط بالابيض في اخضرار الطروس
قم ياساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف للما وابتهاج الثمار
قد جلوها في كاس زجاج ابيض فاكتسى باحمرار

دور

خمر فيه سر لو جعل أشياف رد الأعمى بصير
اقطع القطف اسود يحاكي الليل شفق أحمر تصير
يا ترى ذا السر في كرمه او يكون في العصير
وترى النور ذا عليه يلمع ذا الذي من ايش استنار
وكذا الكاس يحاكي ياسمين من كساه جلنار

دور

فهو عطار عند وشراب عندي وبراني بجفاه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقي فيه شفاه
ورد خد وحبة سودا شبه خالي في صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبي والكبار والصغار
في المحبا غاروا على حسنو وكل من حب غار

دور

دوروني الملاح على كعبي وتصوا نصوص
بلاد عوى النف لف السير فهو امر خصوص
وعلى بساط ريشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وبين ما رأوا خلف له هيه ولو اصطبار

قمروني في عشق هذا القمر   والمحبة قار

دور

لحبيبي ثغر من جوهر   والشفيفات عقيق
وعوارض ما ضرهم   عارض غير نبات الشيق
وخد ورد ورده من غير نمش   ووصفنا من حقيق
يحرس الورد خال عنبر   تحت أهداب غزار
في قمصا وجهوا نزه طرفي   عند خلع العذار

دور

في رياض صنوف من الازهار   قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول   وورقها دفوف
واعجب من النهر اذ صفق   لو من الموج كفوف
والنجوم نقطت وحين جا النسيم   طار أعلى مطار
باختلاف الالحان سحر في الروض   صاح تمي عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام   والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل   والحرام والحلال
نبي من بين أصابعه تحقق   نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام   والمداد البحار
والخلايق تكتب مديحه تاه   كل كاتب وحار

دور

خلف استاد في الفن ما ينطاق   ذاق عداه المنون
ما يعبر في الفن غير نا قص   عقل زايد جنون
شيخ مصمد رليب قيم   في جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار مرفوع   فوق روس الكبار
وأهل الفنون بجري وما تلحق   للغبارى غبار

غيره لناصر الغيطي

كنز روضي طالبو يسعد   يا خليع قم في دجى الاسحار
تلتقي در الندا ابرهج   فوق فصوص من غرايب النوار

دور

كنز روضي نزهة الطالب   جوهر وبين الندا برهج
ويحين الما يتكسر   بلخليع هيا تعا اتفرج

بين عنا بر تلتقي الخلع كل حدّ مع الفويدزج
وامش في عرض الرياض وارتع بين اغصان وما واطيار
فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده لمكت لنا دينار

دور

وترى الياسمين بحال فضه ضربت لأهل النزه صلبان
ولشحارير لابسين اسود وقلانس كنهم رهبان
وكذا الكتان وهو أصفر بعمايم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس في الحان وعلينا دارها الخمار
والمطيع الراهبي يحكى لشماس لابس الزنار

دور

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
ياحبيب قلبو عليه راضي وداه محبوبو عليه يشفق
وحبيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندي وانا مطمئن وسط روضا زهرها معطار
في نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح في نار

دور

وعمل في الروض سمع باكر بين الاغصان والزهور انغام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجد وهام
والنخيل باكمامها ترقص واقبل الريحان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق لو طريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغنا يشجي فكانو ناي أو مزمار

دور ناصر الغيطي

صحبت انسان انكر الصحبة وعاداني
وبغضني حين بقيت مسي والاله بالفضل أسماني
في بلاد قبلي وارض الشام بيذكروني ساير اقراني
والشجيع الشاطر المذكور في جميع الارض لو تذكار
والبلطي يوقع لو اتعلق ما يحصل شي مع الشطار

للغباري

جا رحبيبي فعلت دا الحجاج جا يجور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

دور

املح

أقلع القلب في هوى العشاق والدموع في انحدار
وبحور الهوى اذا اهاجت ليس لها من قرار
كنت احسب قلبي معور ابني غرتو ذا البحار
صحت لما وحلت يا محبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

دور

أنا يوم في الفبرق بأتفرج على شط الغدير
اذ رأيت عالشط ولحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتي الى منظر تا محسنو نظير
قلت يا عين ان غرك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك في فخاخ شبك عشقو وكراكي بصيد

دور

من غيو لجديد حبيب قلبي يوم صدفتو اصدف
قلت لين يا قاسي لمن دمعوا سال وجا لو وقف
دار وقال لي ما الاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع دا الكلام يستفيد
في الحقيقه من لا يكون دارد قايلين لو الجديد

دور

لك عوارض في الخدم قومه ليس لها من مثال
وجمالك مهار جماق وباب رملك كان وكان يا غزال
وانت دوبيت موشح القاما يا عزيز الدلال
ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القاما وانت بيت القصيد

دور

عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان يذهب لاصفرار
وغنا الطير بالجمار يطرب وكذا الجلنار
في ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تماليق عقيد
حسب الروض الغض من شعبان صار يعيد فيه وقيد

دور

من لهيب قد معي جرى الطوفان للهيب ما طفي

وأنا هو الخبارى فى العشاق ماجرى لى كونى
حين عليا بالصدّ والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبى فقلت دا انجاج جا يجورا ويزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب يا عيسى أمسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدّس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

دور

عارضو للعشق خدو غرت من وجدى بقيت حاير
جيت الى طرفو ناديت لو احرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت فى خدو التوى العارض وهو دائر
وعليه قد دب بالسرقه جيت لطرفو وقلت يا كسلان
هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى أنا نعسان

دور

بدر سبحان منشيتى لما فى بروج السعد لاح نجمو
قلت لو أفضى بفيض دمعى اطلقو واجراه على رسمو
قلت لو دوام الله اطلاقك فالحزين تلبو المتيم قسمو
ايش قد اذنب حين قطرتو دا يخلط قول بالهتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت ليش أصوم يا بدر فى شعبان

دور

حين تدبج احمرار خدّو باخضرار العارض اسبانى
ضحك فابيض وابتسم واسوداد شعرى وابكانى
وحين أضحيت باصفرار لونى أشعث أغبر فى هواه عانى
قال لى لونك قد صح حايل وقد أبصر مدمعى طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت فى هواك ذقت الهوان الوان

دور

قلت لو حين عنى تخلف لله كن لى يا رشيد مهدى
قد تلون دمعى من بعدك وتجرى اليوم على خدى
دار الى انسان مقلتى قال لو أنت ما عندك نظر بعدى
ماترى ما قد جرى منك على الخدود قال يا فتان
جرى الما تحت من بعدك راقب الله فيا يا انسان

دور

ذا الغزال الناظر الانسى للغزاله قد أعار النور
كسر قلبى كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
وبخمر الدن قد عربد وادعى انى انا المخمور
وابتسم لى عن نقا ثغرو وخطر والبشر قيا بان
صحت يا قلبى صفا وردك انت ما بين النقا والبان

للصفى الحلى

أنت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

أنت شاما بين الأنام الله يحرس شما يللك
ويزيدك بالدوام كى نعيش فى فواضلك
ما ينطوى ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
دنهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
قد بقينا بك فى أمان الله يحييك طول السنين

دور

ما رأينا تحت ذا الفلك من ندا كفك أعم
كل من جا ليسألك ليس تقول له سوى نعم
أملك انت أو ملك ضاعف الله لك النعم
أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين
دم غيثك فى انسجام عم كل السائلين

دور

لا عدمنا كل صوم ذا السرور فيك والهنا
كل ليله وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ المقصد والمنا
حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين
وتعيش يا ذا الهمام بين ولدان وعين

غيره

خالى عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوق الغشان نون وعين وميم
شال البتغد فوق راسوا عين ولام وميم

دالي قد حواه قلبي صاد وباء ويا
مليح ما رأيت مثله ظا وباء ويا
ما أحلاه عند ما يلبس قاف وباء ويا
ذقت من صد ودجي غين وصاد وضا
لما رأيت صبري نون وقاف وصاد
النوم من جفون عيني خاء ولام وصاد
وأصبحت وجود فكري عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لي سين ونون ودال
اعدل في الذي صبر وانون وفاء ودال
ولا تهجر العشاق باء وعين ودال
ما أفلح قط يا ناس من ظا ولام وميم

حمل في الالغاز * للطلع في العين

وما طير أكلوا المجرى باكرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح
ولبس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين بو كيفين الصفاح

دور في الشرايج

وما بحر ما هو ما وفي الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شي صفات حيه بلا ذكر لستفيد * لها جوهرة في فيها يا رفيق
بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم من حقيق
يغيب في النهار لكن اذا ما الظلام * تشوفو يضي بين الوجوه الصباح
ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور في جوزة الكنافه

وما هي التي تركب على ستين الف * وما مثل ذاك فسر لنا يا خبير
مليحه وقصيفه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم في السرير
لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا اوردها الكبير والصغير
لها نخل يخدمها عليه السلام * يحادي سراها في المجي والرواح
وأكثر تعبها في ليالي الصيام * وذا اللغز فلته ومن غير مزاح

دور في الغربال

وما هو الذي يا سعد كله عيون * ولا يعلم ضو الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيي أصول الحيا
اذا غاب عن أهله فرد يوم ما يهون * ولا احد يعوض موضعه لو عيا
وكم من رقيص في صنعته باهتمام * مكابد تجاجه في المسا والصباح

ويجاح

و يحتاج له الناس كل يوم في الدوام * على شأن فنونه دول فنونه ملاح
(الفن الخامس في المواليا وله وزن واحد وأربع قوافي من تلك الاربعة واحدة)
لصفي الدين الحلي
يا طاعن الخيل والابطال قد غارت * والخضب الربع والامواه قد غارت
هو اطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت اضوائك قد غار
وقال أيضا
سل مقلتيك الكحال عن سلاسلها * ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التي مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى في سلاسلها
وقال آخر
قد أوعدونا العضا بأننا نخلو * في ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بللنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو
وقال آخر
تسماو بالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجد ها وجامعها
لو حل مع بعينى عابد وجامعها * كان افتتن في محاسنها وجامعها
ومن اثنين واثنين قال آخر
قوم اسقنى ماتبقى في أباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقه * سقى المداما وان عزت سقى ريقو
وقال
البارحه ريت بعينى في الدجاجين * اثنين مثل البدور في الدجاجين
ناديتهم فاين كنتم ياخفاجيين * قالوا المنى قد وعدنا في الخفاجيين
وقال
قد زدت هجرك لجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف في قلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب محبك * ماظن في الناس أقسى قلب من قلبك
غيره خمرى عاطل
كاس العلا لا لطالاها طال لماسر * وصار لما حواحمرا مكلل در
مدام لو طعمه كله حلو ما هو مر * ماحل مملوك الاصارما لك حر
غيره حربى
لك يا امام الوغى في كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا وتلك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تغنى وكفك لا يمل الضرب
الصفى الحلى في المدح
أعنت وأقنت كفوفك في الندا والحرب * في القرب والبعد من في شرقها والغرب

وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وذا رمى فى القلوب الكرب

وقال أيضا

من قال جودة كفونك والحيا مثلين * أخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ما جدت الا وثغرك مبتسم يا زين * وذاك ما جاد الا وهو باكى العين

وقال فى التهنئة

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * ورميت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
ودبت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل اول مبتدا عمرك

فى المعاتبة

عنى تسليت وأسباب الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقال أيضا

يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

وقال آخر

حلف عليا جكاره أن يقاطعنى * وصدعنى وأقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعنى * ان كنت أنا هو المطلق لا يراجعنى

وقال آخر هجو

قطع قفا ابن أخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن أمك
وان تكلمت تصفع تا يسيل دمك * وان كت تسكت يبول الكلب فى فمك

وقال آخر

ان زوت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأس ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك فكر فى ألم نشرح

وقال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

وقال آخر

يا قلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عنو وقصتك بالسلوان لا تخبر
واستعمل الصبر دايم للعدا تقهر * فات والله ما خاب الذى يصبر

الفن السادس كان وكان وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى فمنه هذه الوعيظات

يا قاسى القلب مالك تسمع وما عندك خبر * ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار

افنيت مالك وحالك فى كل ما لا ينفعك * ليتك على ذى الحالة تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل * فكيف يا متخلف تحتسب من الحضار
ويحك تنبه يا فتى وافهم مقالى واستمع * نقى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
تجمى دقايق فعلك وغمز لحظك بعلة * وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع * ما فى النصيحة فضيحة كلا ولا انكار

وقال ايضا

صرح بذكر الحبيب ما فى المحبة فائده * وقل نعم انا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر * انا عاشق لحبيب كل المعانى فيه
من اين للبدر حسن يحكيه او شمس الضحى * حاشا لذاك المنظر من مشبه يحكيه
ان غبت فهو انيسى وان حضرت نديمى * وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى * وفيه عزى وذلى بمهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر * هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

الصفى الحلى

شردت طيرى فى يدى وقفت حتى نصب شرك * ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى لو ورد مثله ما حصل * وهو على معود وانا عليه معتاد
قد كان شرطى وخلقى لبرج غيرى ما عرف * كاننا فى الصحبة جئنا على ميعاد
من قبل ما ابصبص لو يجى ويدخل مصورى * وانا ارصد وفى مطاره خائف عليه يصطاد

وقال آخر

ما ذقت عمرى جرعة امر من طعم الهوى * الله يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلادة والقوى * وما اطيق التجلد على اليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لو لون وطعم وريحه * ما اكثر معاين حبيبى وما اقل وفاه
انا اعرف تو حظى وكل ما احسن لو نبى * لو كنت اعشق ظلى ما كنت قط اراه

وله فى القرايات

يا سادة هجرونى وهم نزول بخاطرى * لا اوحش الله منكم فى سائر الاوقات
اوحشتم العين منى وانتم فى خاطرى * والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قد انتهى الصبر منى وما بقى فيا رمق * هيهات انى احيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى * اعد بين الاحياء وانا مع الاموات
وزعمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم * ايش ضر لو كان جسمى من جملة التبعات
ما مر ما ريت ضدى يقول لى بن فرحتو * هنا تشق المرائر وتسكب العبرات
لو لم اسلى روحى واروض نفسى بالمنا * لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اخصامكم * اخفض جناح الذلة وارفع الاصوات

طول الليالي أسهركني أريد الكيميا * أقطر الدمع مني وصعب ترقات
يا أطول ليالي جفاكم تاناها مثل أنه * وما أقصر أيام وصلي كأنها ساعات
مالي أرى عشاقي بالنيات تبدلت * وصبابات الأعادي انبدلت حسنات
خالفتموني وعمري ما زلت أتبع أمركم * كذا العبيد تتابع أوامر سادات
أسكت وأصبر عنكم ويفعل الله ما يشا * والدهر من عاداته يقلب الحالات

الفن السابع في القوما قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر وقيل إنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر إلى دخول شهر رمضان ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة إليه وطرب له فلما وصل إلى القوما كان أول ما قاله قوله

يا سيد السادات * لك بالكرم عادات
أنا بني ابن نقطه * تعيش أبويا مات

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لأبيه

ومنها للصفي الحلي

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يجود * وقد جلس في الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
يسمح والا فسبق * من بينهم مهدور
كم بين بيض الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور
اشراقها في المعاجر * وغروبها في الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
مصرت أحمد من أبصر * خيامهم والخدور
توثب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضي بضيق الصدور
غيري يلزم الصدور * وأنا عليكم أدور
واصطلى الصد وأنا * من بينهم مهدور

وقال أيضا

خان الهوى مجبور * يريد جماله مصور

بصونون سره والا * يبقى من أهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سرحبو * يمحى من الدستور
ابذل لبيض الثغور * أموال مثل البحور
ان ردت تملك وتظفر * ولذا تهم والحور
قم فابذل المذخور * وفى العطا لا تجور
تشريد هذى المحبة * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق معذور
مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو فى الهوى معذور
يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب أعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبة وعور * كم تبتنا مذعور
من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور
بنار قلبه ولكن * مدامعه ما تغور
كم بينهم نعفور * كالظبى آنس نفور
من أهل بدر فديته * ايش ما عمل مغفور

ومن ذلك ما نظمه بعضهم ليحضر بعض الخلفاء فى رمضان

لا زال سعدك الجديد * دائم وجدك سعيد
ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يا من جنابه شديد * ولطف رأيه سديد
ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لا زلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد
ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد
وتبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
أظلك علينا مديد * ما فوق جودك مزيد

وكم عمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لا زلت في كل عيد * تحظى بجد سعيد
عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لا زال قدرك مجيد * وظل جودك مديد
ولا برحت موقى * كما يوقى الوليد
ما زال برك يزيد * على أقل العبيد
وما برح جود كفك * منا كحبل الوريد
لا زال برك مزيد * دائم وبأسك شديد
ولا عدمنا نوالك * في صوم فطر وعيد

وما قيل في فن الحماق

أنا ما عبوري الحمام * بجسمي حتى ينظف
الا لدمع جاري * على الما ولا يوقف
وديك المجاري بجري * ودمعي ينابيعها
نموت الانام في الحمام * لو أحبابنا فارقتها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفو
فما سلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفو
وان زاد على عشقو * وزادني الهوى والذل
نتركنو ولو يجي * أهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون ولخصرت ذلك الى الغاية بجا بتوفيق الله في الحسن نهايه واسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والسبعون في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول

(الفصل الاول في النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار

عندكم

عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يتزوج ابنة فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لا بد أن تشير على قال ان رئيسا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى ان أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواها وانتق أرحاما وقالوا أشهى المطى مالم يركب وأحب اللآلى مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فاجابته امرأة

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والأعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى جوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الأحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الأحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاتب يوما على أولاده وانهم ليسوا

كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة ولما الجأ
فارغت منهن نطفك ثم تريد أن يجبن وانما نحن كمهلجات الحمار فلا فعلت فى ولدك
ما فعل أبوك فيك حين لتختارك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يبتغى الشرع خطبتها * جلوتها لأولى الألباب مختصرا
صبية ذات دين زانها أدب * بكر ولو حكت فى حسنها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلو لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الأربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك العجوز ووطأها * فما هو الا مثل سم الأراقم

واعلم ان العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى
لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه
السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر
أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه
بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل
وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش
الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق
حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى
كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندى
الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة
دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه
خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة
ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فأما الأولى والثانية فالرضى
بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه
فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة
فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة
وأما السابعة والثامنة فالاحتراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة
والعاشرة فلا تعصين له أمرا ولا تفشين له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره

وان أفشيت سره لم تأمني غدره واياك والغم اياك والمرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فنجبت وولدت له الحارث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر وعن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال لقيني شريح فقال لي يا شعبي عليك بنساء بني تميم فاني رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري فعدلت اليها واستسقيت وما بي عطش فقالت لي أي الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فاني أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هي زينب بنت جرير احدى نساء بني حنظلة قلت هي فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفأ ولم تقل كفوا وهي لغة بني تميم فتركتها ومضيت الى منزلي لأقيل فيه فامتنعت مني القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخواني من العرب الاشراف علقمة والأسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت في حبالي ندمت وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي تتوضأ بوضوئي وصليت فاذا هي تصلي بصلاتي فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فاني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتني والله يا شعبي الى الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لي وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الأهل قلت ما أحب أن يملني أصهاري قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها يا شعبي بأنعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت

العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى أسوأ حالا منها في حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ما شاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي أربعين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد ابن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكن أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لأنك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع أعمى وأعور وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

رضى الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو فى غرفة له فقال يا بنى انى أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبى بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع فى الشمس ويقول هذه الأبيات

فوالله لا أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمرى الحمام المطوق
فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بنى فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فتى طول عمرى ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الأسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا انى لأحسبنى انى لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحارث ابن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أنى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحارث بن عوف قال

مرحبا بك يا حارث قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم
يكلمه فدخل اوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه
الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحارث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله
قال انه استحمقنى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم
قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان
منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فترده. قال وكيف وقد فرط منى اليه ما فرط قالت
تقول له انك لقيتنى وأنا مغضب لأمر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع ولك عندى كل
ما طلبت قال فركب فى اثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت منى التفاتة
فرأيته فقلت للحارث وهو ما يكلمنى هذا اوس فى اثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال
يا حارث اربع على فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغنى
أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة اكبر بناته فأتته فقال لها أى بنية هذا
الحارث بن عوف سيد من سادات العرب جاءنى خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما
تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لأن فى خلقى رداءة وفى لسانى حدة ولست بابنة
عمه فيراعى رحمى ولا هو بجارك فى البلد فيستحيى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره
فيطلقنى فيكون على بذلك مسبة قال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا ابنته الاخرى
فقال لها مثل قوله لأختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومى بارك الله فيك ثم دعا
بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال
لها انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه. ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله انى الجميلة
وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك
ثم خرج اليه فقال له زوجتك يا حارث بهيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن
تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه
لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما
مددت يدى اليها قالت مه أعند أبى واخوتى هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا
بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث أن لحقنى
فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت أتفعل بى كما يفعل بالأمة السبية
الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلى فقلت والله
انى لأرى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى
بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الى فقلت أفرغت من شأنك
قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد أحضرت من المال ما ترين
قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتتفرغ لنكاح النساء
والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك فى أيام حرب عبس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت

أخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله انى لأرى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فأقامت عنده فى ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبى قال حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بنى سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتى قلت حرفتى * مقارعة الابطال فى كل شارق

اذا عرضت خيل لخيل رأيتنى * أمام رعيل الخيل أحمى حقائقى

أصبر نفسى حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

الا انما أبغى جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق

فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها فى الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعى رضى الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما تستوى الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى * وثوب بأيدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأول

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بأدواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الأقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من أن يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فإنما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللأنساب آباء

وقال الأصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي إذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فإياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسلك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب إليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بأننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد
بعيد مناط المنكبين إذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لأيام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره مني السلام وقل له * غنينا وأغنتنا غطارفة المرد
إذا شئت أغناني غلام مرجل * ونازعته في ماء معتصر الورد
وإن شاء منهم ناشئ مد كفه * إلى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأي والبعد
فعجل إلينا بالسراح فإنه * منانا ولا ندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذي أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة قالت فقالت له الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف إلى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثاني في صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها مواتية لبعلها فكتب إليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى تعظم ثدياها فتدفئ الضجيع وتروي الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لي أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها في خالص العرب وفي خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت في النعيم ثم أصابتها فاقة فأترفها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لي امرأة لا تؤنس

جار او لا توطن دارا يعني لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفي مثل هذه قال الآخر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عجزاء غامضة الكعبين معطار
خود من المخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الأعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك في الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لأني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة وقال بعضهم رأيت في طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجي قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخود يجري وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال
دعاني اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحي فان مدائحي * نوافق عند الأكرمين نوام
نوافق عند المشتري الحمد بالندى * نفاق بنات الحارث بن هشام

فقال يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحارث بن هشام قال كانوا من أجمل الناس وجوها وكان أكثرهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخي لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

فضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الأطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زيد في وصفه

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال علي بن عبد ربه

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن يحب وتلد فاغضبها ثم قم عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به في ليلة مزؤدة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) في حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده * وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة المشؤمة العسرة المبسوطة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء وأست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالأصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك ان تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمير

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خرقها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك ترنى دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) في حكمة داود عليه السلام وجدت في الرجال واحدا في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء وقيل ان عيسى عليه السلام لقي ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب

مشترين

مشتريين فقال ما أحدهما قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثاني
قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها
قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء
شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر
بمال وان كثر وقالوا النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تفي لك انها * على قدم الأيام سوف تخون
وان هي أعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذلك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذي * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شيء قط الا فعلته وقال الغنوي

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع
نفسه وقال علي رضي الله عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن
الى وهن واكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس
خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك
فافعل قال التيماني

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين
ان الأمين وان تحفظ جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ء ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن جميعهن * معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن
الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير
ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله عنه
ذل من أسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها
وسمنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخطأته شيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت
له اذا جاءك فقل له اذكر كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الأنثى وان قال لك

أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال التني بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال أكثموا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ما شئت وقال عمر رضي الله عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسألة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل في الباه) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فأنشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملأه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الي وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فأجابها يقول

أنا شيخ ولي امرأة عجوز * تراودني على ما لا يجوز
وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بل قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمني تأتيني بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها بهذه القتلة وعلي اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك أنه ليس في الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهي أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب (الفصل الخامس في الطلاق وما جاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد بن أخي الأصمعي قال قال عمي للرشيد في بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغني أن رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبي فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت

الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نسائك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة فقال وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازني بعلك فأجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعي وليسمع من حضرني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك في الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضي الله عنه ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

(ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدي كانت تحت ابن العريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول
وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفي الليالي وفي أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال اقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا أن يواتي * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها أشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب فقال يا سيدتي أرسلني اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتي انه دفع الي عشرة آلاف درهم فهي لك وأعتقيني لوجه الله فقالت والله لا أعتقك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال يا سيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت

أتبكي على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لأشعب اختر مني احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدي ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر

طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

فأصبحت الغداة ألوم نفسي * بأمر ليس لي فيه اختيار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت بها يميني * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك وأنشد يقول

فني صبري وعاودني رداعي * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفني الوشاة فأزعجوني * فيا للناس للواشي المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسي * على أمر وليس بمستطاع

كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه يشجيني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاي غير متعودة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا يقوى بدني على القصاص فقال للرجل على م تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاي ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الأربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وأنشأ يقول

يا شيخ يا شيخ من دلاك بالغزل * قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها) *

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ لحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام

أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا * وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي

ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال ومن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالأمس فقال أو بلغ مني الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا ومن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أو ما علمت ما صنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه ومن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال ما لي هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه فقال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتمكينني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني ذلك الا عقلي وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد ابن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم عن شئ ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال أما يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فاني رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينا أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم وما أحسن قول القائل فيه

ونحن أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائى

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

وقال الصفدى

دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كأسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى مشربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف أنها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هارون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها الا لضعف الاسناد ومن المجون فى ذلك ما يحكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حار أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الأسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلى عقال
قرنت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

الباب الخامس والسبعون فى المزح والنهى عنه وما جاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول

(الفصل الاول في النهي عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد عسر وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي أمي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابي بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الأحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ومما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الأشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا (الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم) لا بأس بالمزح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه السلام فقال ما لي أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى ما لي أراك عابسا كأنك آيس فقال لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله اليهما ان أحبكما الي أحسنكما ظنا بي ويروى ان أحبكما الي الطلق البسام وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال لها عمر لا بأس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن أنه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملني على جمل فقال عليه السلام لا أحملك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقني فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقي زوجك فني عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز انصارية فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكي فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن

أبكاراً عرباً أتراباً وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وعنها أيضاً
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي
وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان
في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح والضحك
قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه أنه مر يوماً بمخرمة بن نوفل الزهري وهو ضرير
فقال له قدني حتى أبول فأخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فأجلسه في مؤخره فصاح به الناس
انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيمان قال لله علي نذر أن أضربه بعصاي هذه ان
وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المسور هل لك في نعيمان قال نعم قال
ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان
فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله
لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا
وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الواعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى
يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه أنه حكى يوماً بعدما فرغ
من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه
فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتاباً في التصحيف فأول ما تصفحته وجدت فيه
سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت أني لا أشتغل به أبداً فضحك
الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال
يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك لاسترحت فقال
لست بصاحب هزل فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي
هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بديحاً مولاي أرقى الخلق منه فأمر باحضاره فلما مثل بين
يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده
عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية ابن فلانة
ائتوني بها نكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا
بتعجيل جائزتي فأمر له بأربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها
حتى يحمل جائزتي الى بيتي قال يحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت
رجلك الا باسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها علي فقال كيف
وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط
وروي أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أبثت أن فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضيق حتى يسيل لعابه (ومما جاء في الشطرنج واللعب بها والنهي عنه والترخيص فيه أما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروي يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا من الشطرنج ولحضر شطرنجي فمار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبي عن اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك قمار وتبادل وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتي ويقول ارفع الفرس ادفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق في بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلي بن الجهم في الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حرين معروفين بالكرم

تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم

فانظر الى همم جاشت بمعركة * في عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان في كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء في لعب الغلمان) ما حكي أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضي الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا أصغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الأسقف والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السادس والسبعون في النوادر وفيه فصول) *

(الفصل الاول من هذا الباب في نوادر العرب) خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء اعرابي فقال يا اعرابي هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدري من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك في موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا أعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير

المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك
ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين
قال لا ولكني أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابي الركوة فوكاها وقال اليك عني فوالله
لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به
الخيل ونزلت اليه الملوك والأشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف
ثم أمر له بكسوة ومال جزيل وجد اعرابي يأكل ويتغوط ويصلي لقوم فقيل له في ذلك
فقال نخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب انشهر رمضان
قدم فقال والله لأبددنه بالأسفار وسمع أعرابي قاريا يقرأ القرآن حتى أتى على
قوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن
الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجانا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

وحضر أعرابي على مائدة يزيد بن مزيد فقال لأصحابه أفرجوا لأخيكم فقال الأعرابي
لا حاجة لي بافراجكم ان أطنابي طوال يعني سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد
فقال يا أخا العرب أظن ان طنبا من أطنابك قد انقطع ورؤي اعرابي يغطس في البحر
ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها
في الصيف وسرق أعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل أتاك
حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال
خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر اعرابي
مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا أمامة أتقوم بالليل فقال نعم قالوا فما تصنع
قال أبول وأرجع أنام وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى
فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الأعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج
(وحكى) الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حي من
احياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي أعلم
فان كنت يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الأصمعي فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير
فأنشد يقول

أيطمع ربي أن أصلي عاريا * ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا علي ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتي
فما لي ببرد الماء يا رب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يا رب في وجه صيفتي
وان أنا لم أفعل فأنت محكم * بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى أعرابي مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فقال الاعرابي أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا أختاه ما زال الامام يأمرهم أن ينكحوا حتى خشيت أن يقعوا علي وصلى أعرابي خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان في الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجد بعض الاعراب فقال له ما لك يا مجرم فقال ان الامام أهلك الأولين والآخرين وأراد أن يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فقال

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبح الكلاب وعوي الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك في أنه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوي الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فانقضوا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب علي الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * وروح في تعطيه الشبابا
أما في مال رفدك من زكاة * فيدخل فيه لي قدر النصابا

(وحكى) الأصمعي أن عجوزا من الاعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا

وسقوها قدحا فدارت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها
ثالثا فقالت تخبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب
الكعبة وإنه إن صدقتم ما فيكم من يعرف أباه . وصلى أعرابي خلف إمام فقرأ إنا أرسلنا
نوحا إلى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الأعرابي أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح
نفسك . وصلى آخر خلف إمام فقرأ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي ووقف وجعل
يرددها فقال الأعرابي يا فقيه إذا لم يأذن لك أبوك في هذا الليل نظل نحن وقوفا إلى
الصباح ثم تركه وانصرف . ولزم أعرابي سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما
أن جاء ليسافر قال له سفيان يا أعرابي ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث
عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه
الصلاة والسلام إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالصلاة وحديث ثالث عنه
أيضا ليس من البر الصوم في السفر . وقيل لأعرابية ما صفة الإبل عندكم قالت عصية ينفخ
فيها الشيطان فلا يرد أمرها . وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فإذا هو
بشيخ من الأعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك
قال ما أحوجني إلى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره في قشر بيض الذر واكتحل
به ينفعك فاتكأ الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه في لحيتك أجرة وصفتك وإن
زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته . وخرج معن بن زائدة في جماعة
من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى
انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه
واستقبله فسلم عليه فقال من أين وإلى أين قال أتيت من أرض لي لها عشرون سنة مجدبة
وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها مقثاة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته
وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور وإحسانه
الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فإن قال لك كثير قال خمسمائة قال فإن
قال لك كثير قال ثلثمائة قال فإن قال لك كثير قال مائة قال فإن قال لك كثير قال
خمسين قال فإن قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فإن قال لك كثير قال أدخل
قوائم حماري في حرامه وأرجع إلى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق
بأصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شيخ على حمار بمقثاة فأدخله علي فأتى
بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في
دسته والخدمة والحفدة قيام عن يمينه وعن شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له ما الذي
أتى بك يا أخا العرب قال أملت الأمير وأتيته بمقثاة في غير أوان فقال كم أملت فينا قال ألف
دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما علي ثم قال خمسمائة دينار قال كثير
فما زال إلى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فلم

الأعرابي

الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف (الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان بن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم في اي سورة ومر بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك في ادنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم اعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى ابي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال انا عالم به فقيل له هذه الاية في اي سورة الحمد لله لا شريك له فقال في سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال افطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت واتيت اهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي اليها فاكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت واتيت اهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال ارى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له انا اعبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما انا في الصلاة اذ احسست ببلل في سراويلي يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة فقال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب وجاء رجل الى فقيه قال انا رجل افسو في ثيابي حتى تفوح رائحتي فهل يجوز لي ان اصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض اصحابه من الفقهاء ان يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان ابا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد اريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاء صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا عليك فانه يسبح الله تعالى قال اخشى ان تدركه رقة فيسجد (الفصل الثالث في نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما في المصحف وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم اجرة حملها وقالوا ليس لنا شيء نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غني وله اشياء كثيرة العدا والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم واجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضي للتي بقال هذا وانتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والحلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرث النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وما تروحوا من هذه البغلة بلا شيء جلدها الله باعين وذنبها الغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقها للبيطار وقال فتقدم احدهم اليه وقال بحق من تاب عليك وردعا قلبك الى الخير وارحنا من هذا المعاش

تهتدى علينا بشئ ولا تدعنا نروح بلاشئ تنغير هذه الا العلة الزفر النار ريا والوسخ المراحيض والملح جباية الاسواق والولع التمار وبيت النبذ بمل المزر وشركة النفوس كل من حمل نبيا و يحفوه قبل ان يخرج من باب البلد كانوا شركاء وسلب السطار كل من شقوه لهم ثيابه وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا و فعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثنى على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل وأحضر رجل ولده الى القاضى فقال يا مولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فأنكر الولد ذلك فقال أبوه يا سيدى أتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا

ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر احفظ آية منه وهى

فارحمى صبى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يتعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى أبى ضمضم القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فانكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان واحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدى عن صناعتهما فأخبر أحدهما أنه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما اردت أن احكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال يا سيدى ان امرأتى مجانا فقال له القاضي طلقها فقال عشقها فقال فودعها وادعى رجل عند قاضى على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حتى أرجع من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أرجع من النهار نعم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفى خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتى خيرا فقد

أو هيئتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عالي وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطي برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عيانا (وحكي) ان تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين الى الامام وأسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين الى القاضي وأخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صبيا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فلوث رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء بجماعة شهد وادعى أنه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا (الفصل الرابع في نوادر النحاة) وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالاعسل والابقل بالاخل فقال بالاصفع في الاروس والاضرط في الاذقن ووقع نحوي في كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا وشدني شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وأفلوذج فصاح أبوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال له كيف وجدت أباك قال يا عم

ورمت رجليه قال لا تخف قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتيه قال لا تخف
قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بطن عيالك وعيال سيبويه ونفطويه و
وجحشويه وتعاد بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية
منها الأعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية ياليتها كانت القاضية
(الفصل الخامس في نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا
طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار
أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر
فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه
فتقوم الى الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل
وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم (وحكى)
الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر
اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني
خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب
به فاذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فأمسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها
تشكوه فقال له اما أن تنتهي والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبي ما يسمع في الكلام
فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها وقال الجاحظ رأيت
معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار دخلوا الدرب يتصارعون فقلت أحب
أن أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف
رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاءه صغيران
يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن
نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما
وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال
يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى)
عن الجاحظ أنه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت
عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما
في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في
القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب
فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت
أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه
فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب
فخرجت الى جارية وقالت ما تريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله

فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا قلت وما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن أني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم أني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادي أينما كانا

لا تأخذين فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت يا هذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي على ابقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله (الفصل السادس في نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فأي شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال اريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة ملتحي فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد ملتحي وأغير هذه الصور الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت قالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه وتنبأ رجل في أيام المعتصم فلما احضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشيء وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى أنه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الأولى قال فبراهين عيسى قال له

وماهى قال لبياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال للمأمون أريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ما يخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبى قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبى فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر فى زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبى قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتى فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمى نصر الله قال فما معجزتك قال ائتونى بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم فى الساعة ويؤمن بى فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبى الله وانما يعطى زوجته من لا يؤمن فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك ألا تعود وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتى أنى أعلم ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال فى نفسك أنى كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى اليك بشئ قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت فى أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبى بعدى قالت فهل قال لا نبية بعدى فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب ومر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصارى (الفصل الرابع فى نوادر السؤال) وقف أعرابى بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلم الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال يا أهل المنزل فبادره صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر لعلى جئت أدعوك الى وليمة وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقال الولد كذبت فقال جربونى بر طلين من الخبز ورطلين من اللحم ووقف

سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق مني بالسؤال

(الفصل الثامن في نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال اني أسمع صوتي من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم عدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب أن أسمع أذاني أين بلغ واختصم رجلان في جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الأمانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا في أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الأذان فقال سلوا القاضي فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن ردي الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين (الفصل التاسع في نوادر النواتية)

حكي أن بعض النواتية تولى أحد الكراسي السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته اني أسمع غاغة في البرحل فلوعي واعملي أسفيرتي على جاموري وقدمي الى اسقالة الرجل وقميني بمدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقف الجبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالي فقال له تعال يا شيخ مالي أرى أرطونك في حلقك وشابورتك مكسورة وأنت بترلع ماء متغير وتقيم الهيلا في الساحل دخل عليك شردغرتي والا دخلت على بوابجي فقال الشيخ والله يا سيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا أولاد جيبوا عز بموا بغنسوا اعدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذي قطعت القلس وخرجت في الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت محظمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك في بدراوة وعلقتك في الصاري فلما سمع الرجل كلام الوالي علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله يا خوند هو كان رزني في معاشي احصطلن على الوحسة وأنا عائم في الليل الاوشرد جاني من الشرق كابس هز أطرافي وكسر شابورتي وقطع لباني وها هو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شئ فانا بمرسوم الامير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيد له وسقه وأخليه يروح في طريقه فقال له الوالي

أنت تقذف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى تعبر على البحر يا رجالة الصوارى سلسلوا
أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شينية اللبان وانزلوا عليه ولو سقوه الجنبين والظهر
حتى تلعب اللبة على بطونه تسته هيا فرامك خلوا جنب برا وجنب جوا فقدام الخن وراء
الصوارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية يا خوند أهو تعنت عليه الطبيه
البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال يا خوند سألتك
بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بحر اللبان فى الحلاقى وأنت حافى وى الشباك
ويكفيك شر الأربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلم بالنبا
المقلفاعد بجنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجه
وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهد اسقالتك وأقعد فى زوائدك
حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله يا خوند ما بقى جنبى بحمل هذا الوسق العظيم ولكن
ان عدت أعبر لهذا الوجه احسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقائم فقال له الامير
احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطايبة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس
البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على أيوب (الفصل العاشر فى نوادر جامعة)
سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت
وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل
عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى
يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله
لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سائر القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم
يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف
الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر
لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنه فقال لا أدرى الا أن أمها تذكر
أنها ولدتها فى أيام البراغيث وقيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال
فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها
بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما
كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك
فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا
قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا
لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك
قال من الغيرة من المضيفين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة
تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء

فقال ابني يا أبت الى تبيتنا والله يدفنون (وحكى) عن هارون الرشيد انه أرق ذات ليلة ارقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له مايضحكك استهزاء بى ام استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا انعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منهم واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول) *

(الفصل الاول فى الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن

ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبي أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت هذه الاية قوله تعالى أجيب دعوة الداعي اذا دعاني اى أقبل عبادة من عبدني فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة في الدنيا واما أن يكفر عن الداعي واما ان يدخر له في الاخرة لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما ان يدخر له ثوابها واما أن يكف عنه من السوء مثلها وروي أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن في قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد ادخره لك واعلم أن اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا لأكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء ان يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط ومن آداب الدعاء ان يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روي عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحاق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال

كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع
غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول
اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها
من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والافتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق
وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان
ابن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ
قال رب انظرني الى يوم يبعثون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسألة فتعرف
الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شيء فليقل الحمد لله
على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء
الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة
فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن
يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال
يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة
وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء
الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث ان في الليل
ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة
والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر
في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين
ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر
ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة وفي بعض الكتب
المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا
أفشيت سرك فأفشه الي فاني وفي واذا أقرضت فأقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني
فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا
كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني
فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي
ويتضرع طويلا فقال موسى يا رب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو انه
بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى يبلغ عنان السماء ما أستجيب له قال يا رب لم ذلك قال
لان في بطنه الحرام ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحاق
ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم
تؤدوا حقه الثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث

قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى ابن معاذ يقول من أقر بربه باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الجنة ومن أخلص لله في دعوته من الله عليه باجابته وقال علي رضي الله عنه ارفعوا أمواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضي الله عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد (الفصل الثاني في الأدعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم اني أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهي لك أذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وأن رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكي) عن معروف الكرخي أن الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم أني لا أحسن شيأ من الدعاء فأسألك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه أن الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم ان ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن أدهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فذهبت الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم اني أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني أصف ربي وأمجد الهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار سمعت أنا من يدعو

بمن

من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون
به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لأنه لا فرق عندهم بين
الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه
وقيل لاعرابى أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير
أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه
البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى ان الله تعالى يقول كيف أرحمه من شئ
به أرحمه وقال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على على بن الحسين فقلت رجل
صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك
بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بهما فى كرب الا فرج عنى ودعا أعرابى فقال
اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى
أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية
بالموقف فقالت أسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا
مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا اعرابى فقال اللهم اجعل ما فى قلبى من كذب وخيانة
واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذ
ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت اعرابيا يقول اللهم
ان كان رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الارض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان
كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه وقال أبو نواس

أعجبت من شعر بشار وكلمه * بيتا لهجت به من شعر بشار
يا رحمة الله حلى فى منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ويعنى بها هنا رحمة الله
التى وسعت كل شئ وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار
الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقنى
برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك ملء السموات
والأرض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار
ولا تبذل جاهى بالاقتار فأسترزق طالبى رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك
وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة
والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى
الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى أعوذ بك
من الكفر والفقر والفاقة ومن مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال
يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابنى فقالها
فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى

اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والاخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والاخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم أن التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله العصر فمر بنا كلب فما بلغت يده رجليه حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت اذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن على بن أبى زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا قال دعوت الله أن يرينى الاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب فقمت ليلة أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهى واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ما روى عن وهب أن ابن عباس رضى الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم انى أسألك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بى كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته فى النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل فقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به فى الدنيا والاخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى تهنينى المعيشة اللهم اختم لى بخير حتى لا تضرنى ذنوبى اللهم اكفنى مؤنة الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة معافى وعن معروف الكرخى قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل

عيسى

عيسى بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفى باطن جناحيه مكتوب اللهم انى
أدعوك باسمك الاجل الأعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك
العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالى الذى ملأ الأركان كلها أن تكشف
عنى ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدى الى فقال
رسول الله لأصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطئوا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من
البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله
عنه قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فأتيته بخيلى
ورجلى فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الامير فقال أى الأمراء
فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لان العزيز من عز بطاعة
الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله
والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر
بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا
قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء
الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو
علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به فى
صباحى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد ما دمت أنت فى الحياة فقال
الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف
نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه
لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله
الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ
فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى ودينى باسم الله على أهلى ومالى
باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر
الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك
اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر
كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة
وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء
وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت
وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك
وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل

لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان
عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا
أستوجبه منك مما قصيته لى ادعوك آمنا وأسألك مستأنسا الاخائفا ولا وجلا لانك
أنت المحسن الى وأنا المسئ الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض
اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن الثقة
بك حملتنى على الجرأة على الذنوب فأسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلى
على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتغلق عنى باب الهم بقدرتك ولا تكلنى
الى نفسى طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فأضيع برحمتك يا أرحم الراحمين وروى الحافظ
النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك من مظالم
كثيرة لعبادك قبلى فأيما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها
اياه فى مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أتحللها فأسألك أن
ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير
كله يارب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فليسعنى رحمتك فانى لاشئ وأسألك
يارب أن تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يارب
يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء
أخى شعيب عليه السلام وقال صالح المزنى قال لى قائل فى منامى اذا أحببت أن يستجاب
لك فقل اللهم انى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر
المقدس فما دعوت بها فى شئ الا تعرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم
وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك بالعزة التى لا ترام وبالملك الذى لا يضام
وبالعين التى لا تنام وبالنور الذى لا يطفأ وبالوجه الذى لا يبلى وبالديمومية التى
لا تفنى وبالحياة التى لا تموت وبالصمدية التى لا تقهر وبالربوبية التى لا تستذل
أن تجعل لنا فى أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين وقال سعيد بن
المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن أنى قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت
أصلى وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفى يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم
انى أسألك بأنك ملك وأنت على كل شئ قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت
به فى شئ الا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى قال روينا عن قاضى القضاة
عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابن سباع
الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف
النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد بن الامام أبى محمد
ابن الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال

رويت بالإسناد وذكر اسناده الى الإمام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال
نزلنا بنهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد
الا أخذ متاعه فرحل أصحابي وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما نمت حتى رأيت أقواما
قد أقبلوا وجاؤا الى جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما
أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي ياهذا انسي أنت أم جني
فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد أتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة
وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص
طارق ولا سبع ضار وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر
قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لا يعود لهذا الأمر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد
الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله وهم فيها خالدون
وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله
أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن
والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البوني الى قوله شهابا رصدا والله
من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب
ابن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعد وامنها
الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك
الفالج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور
وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ وقد رشاخ وهي على ما رويناه
بل مما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات وقال أبو العباس أحمد القسطلاني
سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول سمعت أبا زيد القرطبي يقول في بعض الآثار
أن من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة
الوعد فعملت منها لأهلي وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان اذ ذاك يبيت معنا
شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي
منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب
معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول ياعم هذه أمي في النار ويصيح
بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب
صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت في نفسي
الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب
من النار فما استتممت هذا الخاطر في نفسي أن قال ياعم هذه أمي أخرجت من النار والحمد لله

تحصل عندي فانه قد تم امتحاني لصدق الاثر وسلامتي من الشاب وتعلّي بصدقه
ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول
يا شديد المحال يا عزيزا ذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما
شئت كفاه الله تعالى شره وروى القمي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن علي بن الحسين
رضي الله عنه انه كان يقول لولده يا بني من اصابته مصيبة في الدنيا او نزلت به نازلة فليتم
وليحسن الوضوء وليصل اربع ركعات او ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول يا موضع
كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجي موسى والمصطفى محمد والخليل
ابراهيم عليهم السلام ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته
دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه الا انت يا ارحم الراحمين
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لا يدعو
مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني اسألك
يا مؤنس كل وحيد يا قريبا غير بعيد يا شاهدا غير غائب يا غالبا غير مغلوب يا حي يا قيوم
يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم
الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم واسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت
له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب ان تصلي على محمد وعلى آله وان تعطيني
كذا وكذا انك على كل شيء قدير وهذه ابيات الفرج لاحمد بن حمزة البوني قيل ان
فيها اسم الله الاعظم وهي هذه

اني لأرجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى
لا بد ان ينشر ما كان طوى * جودا وان يعطي ما كان نوى
وربما يسر ما كان روى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شيء ينتهي الى مدى * والشيء يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد اتى * وكم سرور قد اتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا
سبحان من يهتو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه * جلاله من العطا لذي الخطا

ومن المنظوم ايضا

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * انت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
ما لي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري ادفع

مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به يستشفع

وقال آخر

ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال في محكم التنزيل أدعوني
اني دعوتك مضطرا لجذ بيدي * ياحيا على الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجيني
واطلق بزلي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملني * وقد تجدد بي ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وقال آخر

يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحي يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت في الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
اني دعوتك والهمو * م جيوشها نحوي تطارد
فافرج بحولك كربتي * يامن له حسن العوائد
فخفي لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريبا يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد يئست من الاقارب والاباعد
ثم الصلاة على النبي * وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

دعاء عظيم مأثور اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بغيض يتجهمني أو الى قوي ملكته أمري ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك

فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين * ومما جاء في أدعية
الناس بعضهم لبعض دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا
رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا أعرابي
لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله
ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرحق والوحق
وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله
بين الأعنة والأسنة ودعا أعرابي لعبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال لا ابتلاك الله
تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل
والنهار وتناسخت الظلم والأنوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الأمن في
سيرك والسعد في مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى
شبيب بن شيبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك
(ومما جاء في الدعاء على الأعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابي على ظالم فقال لا ترك الله
لك شفرا ولا ظفرا أي عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره
شتى وخرج أعرابي إلى سفر وكانت له امرأة تكرهه فأتبعته نواة وقالت شط نواك
ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة
وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا أعرابي على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه
أي جعله أعمى مقعدا ودعا أعرابي على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أي قتل ابنه وأخذ
ديته فشرب لبنها ودعا أعرابي على آخر فقال بعث الله عليه سنة وأشورة تحلقه كما يحلق
الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالي

وقالت امرأة من بني ضبة في زوجها

وما دعوت عليه حين أحنقه * إلا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليتني قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الأحزاب اللهم كل سلاحهم واضرب
وجوههم ومزقهم في البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا
ومن أرادنا بسوء فأحطه بذلك السوء إحاطة القلائد بترائب الولائد ثم أرسخه على
هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب
بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم إنك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا في بحار نعمتك ودعوتنا
إلى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك إلهي إن ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت وبحار الغفلة
على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم إلهي
ما عصيناك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا وأعانتنا شقوتنا

وغرنا سترك علينا وأطمعنا في عفوك برك بنا فالآن من عذابك من يستنقذنا وبحبل من
نعتصم ان قطعت حبلك عنا وا خجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت
فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهي ان كنا عصيناك
بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالي الهي تحرق بالنار وجها
كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذي دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين
يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم
الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل
يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا اغترهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد
ذلوا لعزتك وجلالك وهمد واكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم
اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن والسبعون في القضاء والقدر واحكامه والتوكل على الله عز وجل) *

اعلم أن كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة
ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه
ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته
كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو
كائن لا محالة كما أن ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك
بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شيء فبتقديره
وان اتفق شيء فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور فليس الطريق في تحصيله أن يحلق بابه وليه
ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الأمر بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه
الذي شرعه له فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول
المدينة حين تحزبت عليه الأحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من
خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه مصالحهم
واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي أنزل الداء أنزل الدواء فان
قيل فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو بريء من التوكل قلنا
أليس قد قال أعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا
على الرقية أو الكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف
الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب الا ترى أن الله قال لمريم عليها السلام
وهزي اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فمها وأنشد وافي ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يجعل أرزاقها
إليها في أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا إنهما
كالعدلين على ظهر الدابة إن حمل في واحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره
وثقل عليه سفره وإن عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا
عجيبا فقالوا إن أعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد وكان
في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزل الإطعام إلى أن هلك ذلك
الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فأجمع رأيهما على أن الأعمى
يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاستقل الأعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشد
إلى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر
سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب
الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا في ذلك على الله
وأنه قادر أن تلد امرأته من غير مواقعة وأن ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول
خارجا ولأمر الله كارها قال الغزالي أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة
لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت
سنة ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئا وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش
إقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على إبراهيم بن أدهم وهو في بستان بالشام وهو
مستلق على قفاه وإذا حية في فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فهذا توكل
يؤدي إلى هذا وعن عبد الله الهروي قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قبيس فقال
لو أن رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل
اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن وفي الإسرائيليات
أن رجلا احتاج إلى أن يقترض ألف دينار فجاء إلى رجل من المتمولين فسأله في ذلك وقال
له تمهل علي بدينك إلى أن أسافر إلى البلد الفلاني فإن لي مالا آتيك به وأوفيك منه ويكون
مدة الأجل بيني وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فأنا ما أعطيك مالي إلا أن تجعل لي
كفيلا إن لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد علي أن لا أغفل عن وفائك
فإن رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال للرجل
فأخذه ومضى إلى البلد الذي ذكره فلما قرب الأجل الذي بينه وبين صاحبه جهز المال وتهيأ
للسفر في البحر فتعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم
لذلك وأخذ الألف دينار وجعلها في خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم إني جعلتك كفيلا
بإيصال هذه إلى صاحبها وقد تعذر علي وجود مركب وعزمت على طرحها في البحر وتوكلت
عليك في إيصالها إليه ثم نقش على الخشبة رسالة إلى صاحبها بصورة الحال وطرحها
في البحر بيده وأقام في البلد مدة بعد ذلك إلى أن جاءت مركب فسافر فيها إلى صاحب

المال فابتدأ. وقال انت سيرت الالف دينار في خشبة صفتها كيت وكيت وعليها
منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد اوصلها الله تعالى اليّ والله نعم الكفيل فقال كيف
وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني وبينك بقيت اتردد الى البحر لاجدك او اجد
من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت اليّ ولم ار
لها طالبا فاخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرني بذلك فقرات
ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق املك لما توكلت عليه حق التوكل (وقيل) ان سبب بداية
ذي النون المصري رحمه الله تعالى انه رأى طيرا اعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر
في امر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة
هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم ذهب فبعد ذلك فتجهز ذو النون
وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكي) ان رجلا من ابناء الناس كانت له يد
في صناعة الصياغة وكان اوحد اهل زمانه فساءت حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة
في بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكان المعلم السلطنة وتحت يده
صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش
وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى ان بقي من احد الصياغ الذين في دكان هذا المعلم
واقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون اجرة عمله
تساوي عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل يوم فاتفق ان الملك طلب المعلم
وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلاده
كانت في يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له اكملها فاخذها المعلم وقد اضطرب عليه
في عملها فلما اخذها اوراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له احد انه يقدر
على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك
على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن ان يلحم سوارا
فلما رأى الصائغ الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسه هذا وقت المروءة اعملها ولا
او اخذه بجهله عليّ وعدم انصافه ولعله يحسن اليّ بعد ذلك فحط يده في درج المعلم
واخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت احسن
ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى
المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقي الصائغ
يرجو مكافاته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار ما زاده على الدرهمين شيئا
فمضت الايام قلائل واذا الملك اختار ان يعمل زوجين اساور على تلك الصورة
فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه واكد عليه في تحسين الصنعة وسرعة العمل وجاء
الى الصائغ واخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى ان عمل الزوجين
وهو لا يزيده شيئا على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يحدث بخبره ولا يجمل معه

فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منها ابياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك
فنقش في باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفي فعفي
خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفي
فلا برزقي أحظى * ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا * وعالم متخفي

قال وعزم الصانع على أنه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ماعنده وان غم عليه
ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما المعلم فرأى
ظاهرهما ولم ير باطنهما بجهله بالصنعة وما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى
بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في أنهما صنعته فخلع عليه وشكره
ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع وما زاده في آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما
كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الحلية التي عمل لها السوارين الذهب فحضر
وهما في يديها فأخذهما الملك بيده ينظر فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال
هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر
قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال
لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لأضربن عنقك
فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما
جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا
عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن
عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر
العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا * تداعت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

ما سلم الله هو السالم * ليس كما يزعم الزاعم
تجري المقادير التي قدرت * وأنف من لا يرتضي راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شئ لاعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

وروي في الاسرائيليات أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب
منه فقال له الطائر يا نبي الله هل رأيت أقل عقلا من نصب هذا الفخ ليصيدني وأنا أنظر

اليه قال فذهب منه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين ويروى أن رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد ابن المهلب انت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وعزّ دحا ديارها
وقال اخاف عادية الليالي * على نفسي وأن ألقى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب سكندرية غاب عن خدمته أياما ففي بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فما زال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا هو في دار النائب فلما طلع مسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أتى * طه بك العدو ولا تفر
لا نلت خيرا ان بقيت ولا عدا في الدهر شر
ان كنت أعلم أن غير الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وامر الله تعالى بالتوبة
فقال وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعدنا القبول فقال تعالى وهو
الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وروى فى الصحيح
عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس توبوا الى
الله تعالى فانى اتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة وروى احمد بن عبد الرحمن السلمانى
قال اجتمع اربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهم سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى
أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وانا سمعته يقول ان الله
تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وانا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته
بضحوة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
نعم قال وانا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وفى الصحيحين من حديث
ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله أفرح بتوبة عبده من
رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها
حتى اذا ادركه الموت قال ارجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته
عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد
فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين
مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله
عليه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال
كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب
فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله فكمل به المائة
ثم سأل عن أعلم الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له
من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا
يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها ارض سوء فانطلق
حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل

خيرا

خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى
أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الأرض التي أراد فقبضته
ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من
أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه أن امرأة
من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت
حدا فأقمه علي فدعا نبي الله وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر
يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل
المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي
نضرة قال لقيت مولى لأبي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم
سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشتري
تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى
نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم
الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثا ينفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته
وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن
الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي
قال الله عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر له ثم اذا مكث ما شاء الله
ثم أصاب ذنبا آخر فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب
ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم
ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وكان علي رضي الله عنه يقول العجب
لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب
اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن
قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت
ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل
عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني أسألك
وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي
ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل

نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكة ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فأغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فأغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتي ولا ييأس من مغفرتي أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له وقال بعضهم بلغني أن العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة للموكلين به ارفعوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها وان لم يستغفرني فاكتبوها (حكية) قيل انقطع الغيث عن بني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام حتى احترقت النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه السلام في بني اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من خيار الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيديهم صدقهم وخضوعهم وقربوا قربانا تهتد لهم وخشوعهم ودموعهم تجري على خدودهم ثلاثة أيام فلم يمطروا فقال موسى اللهم أنت القائل ادعوني أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ما ترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبي وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فأجود بنعامي عليكم فنادى منادي موسى في بني اسرائيل أن اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بني اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي ولقد أحسن من قال

أسيء فيجزي بالاساءة افضالا * وأعصي فيوليني برا وامهالا

فمن مثل أجفوه وهو يبرني * وأبعد عنه وهو يبدل ايصالا

وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الباب والله أعلم بالصواب

الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء في السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في الامراض والعلل وما جاء في ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله ابن أنيس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الضوالة الا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذي بعثني بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة

فى الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما حط الشجرة ورقها وكان يقول لا تزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت أن الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه ما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى

(الفصل الثانى من هذا الباب فى ذكر العلل) كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة قيل تساور أبخر وأصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى غير أنه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أميط الأذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وساره أبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فغضب أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالأسد والصقر فى البخر والكلب من بينها طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا * أهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدرت فاتخذ سواكا * من عرفط ان لم تجد أراكا
لا تقربنى بالذى سواكا * انى أراك ما صنعا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى

المخبر قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه وزعم
من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الصولي وقيل
ان طريف الشاعر مدح عمرو بن هذاب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين
مهذب صالح بر الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تفاخر به العرب
أما سمعتم قول سهل حيث قال

أبشمني زيد بأن كنت أبرصا * وكل كريم لا أبا لك أبرص

وقال

كفى حزنا أني أعاشر معشرا * يخوضون في بعض الحديث ولست
وما ذاك من عي ولا من جهالة * ولكنه ناني للصوت مسلك
فان سد مني السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

ومما جاء في العمى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت
له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حارث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل
أعرابي يطيل النظر اليه حاسبا نعيبه عن طعامه فكلمه المغيرة في ذلك فقال له والله
اني ليعجبني طعامك ومن يعني عينك قال فما يريبك من عيني قال أعور وأراك تطعم الطعام
وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت في فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه
في سبيل الله وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين
خطوة لم تمسه النار وقال علي كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده.
وقال أبو علي البصير

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي * ويقتادني في السير اذ أنا راكب
لقد يستضيء القوم بي في وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلابة العلم ما لها * من العلم الا ما تسطر في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتي سمعي ودفتري قلبي

وقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وسمعي منهما نور
فهي ذكي وقلبي غير ذي غفل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتي وسراج وجهي * وكانت لي بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب

اذا امامات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فأرسل الى امراة كان يحبها ثم انشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد

ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام واكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان ابان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية ألوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين اصم وممن فلج أبو دواد قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة وقد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبى دؤاد

وشجة عبد الحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى أن النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى أمية وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه اثر فى جبهته فاصبح الله أكبر هذا أشج بنى أمية يملاء الارض عدلا وقال أعور لابى الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولا شئ فقال أما الشئ فالبصير كانا وأما الاشئ فالاعمى وأما نصف الشئ فأنت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

الفصل الثالث من هذا الباب فى التداوى من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يرد ان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضى من الطبيب وانه متى أراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وأنشد

فأصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكننى أدعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل

في ما يريد فالح عليه اهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاحته ادفعي
اليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان نحاذقا في الطب فأتوه بما في
القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له مابهذا ا
وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا
الماء ان كان ماء نصراني فهو راهب قد فتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافي
فانه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع
زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي
هتف بي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة وقيل للربيع بن
خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عادا وثمود وقرونا بين
ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء اكثر فلم يبق المداوي ولا المداوى وقد
أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوي والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه والمشتري .

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة اما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء
من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصفا
لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فأحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى
أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت أصغرهن
وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بجريح بل خدشه عود بالت
عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل داووا كل مريض بعقاقير أرضه
فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله
في مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفي من وبائها واحتمى احمد بن العدل لعلة أصابته فبرئ
فقال الحمية طالع الصحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار
وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية أقتلها التخليط والمعتادة بالتخليط أقتلها الحمية لان الحكماء
تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا
ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغني عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا
الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش
أي الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقيل أنامله فكم أكلة أكلت نفس
وكم أكلة جلبت كل ضر وقيل من غريب الطعام أمن الاسقام وحكي عن بعض أهل البيت النبوي
عليهم السلام أنه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله
شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس
وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فكلوه هنيئا مريئا فجمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهني المري يوشك أن يبقى

العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضي الله عنه

توق فى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع قليلك بمثله * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى البحر وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مرو فوجد غالب أهل المسجد يشكون من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداوى بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تجلس على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الأدوية تنبت فى محراب سليمان عليه السلام وتقول كل دواء يا نبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فأنت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فأنت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى علمه أو فى السخاء فأنت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فأنت أبوذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فأنت السموءل بن عاديا فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحمية للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع الأطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان

من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ما هي قارورتك لانها ماء ميت
رأيت حتى تكلمني فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل
عنده صداع في رأسه فأحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه في الماء الحار وكان عنده خصي
فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت
لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه
علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب اليه بلغني صداعك فضعها على رأسك
يزول ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه احضر
رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم انه فتقها فوجد فيها رقعة
مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن وغير ساكن حمعسق
لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وقال علي رضي الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار في الشتاء بارد في الصيف
وقال أيضا رضي الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن
الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضي الله عنه ان لم يكن في شئ شفاء ففي شرطة
حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح
الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك
ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرئ ما فيه ولا تأوي الى فراشك حتى تدخل الخلاء
وكل الفاكهة في اقبالها وذرها في ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية وعهد أنه اذا
لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا
ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء
وعليك في كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا في أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم
واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على
المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم
ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت
الى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعي يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لأصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء في العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
في ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفي رواية ومعزي الثكلى

ومن

ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * الا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويعبو فاذا علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بالعافية وأعقبك زوال الضجة ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لا بك كلما * شكوت الى اليوم من ألم الورد

فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه بحملة وحدي

وقال آخر

بي السوء والمكروه لابك كلما * أراداك كانا بي وكان لك الاجر

وقال عبد الله بن مصعب

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضي الله عنه بعض المرضى فقال

عادني مالك فلست أبالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

وقال علي بن الجهم

أأرقد الليل مسرورا بعيدا منا * عيني وأحمد يرعى ليله وصبا

الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

وقال آخر

اذا امرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهي الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * ما رق للولد الصغير الوالد

وعلى الثاني قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل لحظ الطرف بالعين

لا تبرمن عليلا في مسالمة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

الباب الحادي والثمانون في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لأحدكم ميت فأحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال وهل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك في الآخرة ومن وصية علي رضي الله عنه لأبي ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى ويقال جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال يحمله أهله الى حبس الأبد ودخل عمرو بن العاص رضي الله عنه على معاوية في مرضه مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو ولم تقول هذا والله ما كلفتني رهقا ولا أصعدتني زلقا ولا جرعتني علقا فلم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك وأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل في الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا لي فراشا وأسندوني وأوسعوا لي دهانا ثم اكحلوا عيني بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا علي قياما ولا يجلسوا عندي أحد ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذي * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى وذكر أبو العباس الشيباني قال وفد على أبي دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر ان قلبي يحدثني أن بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدي وأجلسني ثم أقبل بوجهه اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده أني قبضت منك ألف دينار قالوا فكتبنا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع في كفني واذا لقيت

معها

محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال
يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى
يصل الى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن
عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجد وابرذة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن
الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب
قالوا الى الله تعالى فقال لا اكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولانى
عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة
ولا أدرى الى أين أهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام
فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال
اذن أنت ملك الموت وانى لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك
قال ماتا قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه رحمه الله تعالى
وفى الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ان الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرارى من شدة
سكرات الموت وقد أجمعت الامة على أن الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من
ذلك وقيل بينما حسان جالس وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبى فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * ما دمت ويحك يا مغرور فى مهل
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جل دابة
وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ولما
احتضر عمرو بن العاصى دعا بغل وقيد وقال ألبسونى اياهما فانى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال
اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعفو فأنت أهل
العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم مات
وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فقال استسلم الشيخ
ولعلها تنفعه ولما احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر
المجلود وسمع أبو الدرداء رجلا فى جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا
وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما وكثير عزة فى يوم واحد فقال رجل
اللهم كما جمعتهما فى زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقى فى المدينة أحد
الا استحسن كلامه ولما احتضر ابراهيم الخليل عليه السلام قال هل رأيت خليلا
يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحى
الساعة وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكي) أن شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينا هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليلا حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بأرض الهند وقد دخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وارتع وطلب مني أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الريح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت فوق حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الأطباء النعشة الاخيرة والله أعلم وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بليت به مما أحببت أحد الامات فقال يا أمير المؤمنين أحببتني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الأسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فخم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول أربعون سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسنا فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الاية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني أن قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى ما لا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد

العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى ان قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال لي يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا اني أشهد ان لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشروني بالجنة وهذه فاطمة قد احاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون ولما احتضر عبد الملك ابن مروان قال لابنه الوليد اذا أنا مت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء الكن اتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني عليك وشأنك فادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هارون

كأني باخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري
فيا أيها الذري على دموعه * سيعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني أنزل القبر ثاويا * أزار فلا أدري وأجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره صالح العمل ولا يغتر بالأمل فان من عاش مات ومن مات فات وكلما هو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره

وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول

(الفصل الأول في الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله ما في يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطي القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم تنه عن البكا، قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله عنهما أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ انني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه وقولي اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا ان عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان

معاوية رضي الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يا ابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لأمر الله فيما ابتلاكما

وقال

أيا صاحبي ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الأحداث بعده فان كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعة له في الصبر فأقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك ولما مات ذر الهمداني جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال ما لكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا في مثله ولما وضعه في حفرته قال رحمك الله يا بني وجعل أجري فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بي بارا ولي نافعا وكنت لك محبا وما بي اليك من وحشة وما بي الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعري ما ذا قلت وما ذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من الأجر الى ذر صلة مني له فلا تحرمني ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بي وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لي فهب لي اساءته اليك فانك أجود مني وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لي عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك الي المصير اللهم اني قد غفرت له ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك وفي الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ما ذا قال عبدي عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الحمد حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني

ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابنا
له وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان
ينبغي للعبد أن يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه فإذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة
ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله
تعالى في المصيبة ثوابا عظيما إذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من
الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك
واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يا رب العالمين (الفصل الثاني من هذا الباب في التعزية
والتأسي) روى الترمذي في كتاب السنن للبيهقي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره ورويناه في كتاب الترمذي أيضا بسند متصل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة وروينا في سنن ابن
ماجه والبيهقي بإسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن
يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم أن التعزية هي التصبير
وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة فإنها مشتملة
على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أيضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
وهي من أحسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه واعلم أن التعزية مستحبة قبل الدفن
وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لأن التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا
يجدد له الحزن هكذا قاله الجماهير من أصحاب الشافعي رضي الله عنه وقيل إنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام
إلا في صورتين وهما إذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما
لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعي أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم
أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفي المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفي الكافر
بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص عددك وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه
فسأل عنه فقالوا يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل
عن بنيه فقال يا رسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يا فلان أيما كان أحب إليك أن تتمتع
عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك فقال
يا رسول الله سبقه إلى باب الجنة أحب إلي من التمتع به في دار الدنيا قال ذلك لك وروى
البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي رحمهما الله أن الشافعي قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدي
مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول يا أخي عز نفسك
بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك واعلم أن أمض المصائب
فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا

وأجزل

ى أجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فمر بى مجوسى
وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه
وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله
الا هو أما بعد فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن
أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا
بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى
والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به
فى غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن
الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضى الله عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس
مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر
مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله
عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما طبعت له من الفناء
وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين
لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل
بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل الا بن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما ترى الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخى والقضاء نازل
والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر وأنت تعلم أن ثواب الله
لا يدفع الا بعد تمام الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من
نبلك وحاجزا من عقلك وذائدا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر
كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا فحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها
كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاى معزيا
وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الأكرم

والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع
تلك التعزية ستر سائرة وسنة ماضية غابرة وقدرانه هو المقدور واجل انه اذ لجاء لا يؤخر
ولولا ان الذكرى تنفع والتعزية يستوى فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاى أن
أواجهه معزيا واخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم الا يعلم والسابق لا يتقدم فبمولاى
يقتدى فى الصبر على النوائب وبنوره يهتدى فى مشكلات المذاهب وكلما كان من الرزء
أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاى من الصابرين على المصيبة وأعظم اجره
وجعل الجنة نصيبه وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بنى سوالحق
أخبر علينا من عهد السلف ومات لبعض ملوك كندة ابنه فوضع بين يديه بدرة من المال
وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه أعرابى وقال عظم الله أجر الملك كفيت
المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له وعزت
اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأثابه على طول البلى وآجركم ورحمه وكان
لعلى بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله
ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه
ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا اله الا الله وان سيدنا محمدا رسول الله والثانية
شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فاين يخرج ابنك
عن واحد من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز
ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين
وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما
بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين
تدمع وان القلب يخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان
عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدى ثم انه
لم يبك بعدها وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابى هذا فاجمعى
أهل بلدك وأعدى لهم طعاما ووكلى بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة فى أم أو أب
أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها فى نفسه
ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزنى
على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضنى عنه خليفة مثلك فعجب
المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها
عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحارث
قام نساء الحى يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه والقاها بين أيديها
وقال لها ابكين معى على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصحن
ويبكين وهو يبكى معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه وقال يحيى بن خالد التعزية

بعد ثلاثة أيام يجدد الحزن والتهنئة بعد سنة يجدد الفرح ومما قيل فى التأسى والتسلى بالخلف عن السلف قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية فى والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الحبآء من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح فى الايام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما فى الناس من خالد

وقال آخر

تبصر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فأكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم فى والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول
يغاث بها فى ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له فى تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل امور الناس هذا مصيرها

وسئل الأصمعى عن قول الخنساء فى أخيها صخر حين مات ورثته فقالت

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا أنها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويفيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بأبيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتى وأزور رمسى
ولولا كثرة الباكين حولى * على أمواتهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن * أسلى النفس عنه بالتأسى

وقال آخر

ولولا الأسى ما عشت فى الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبنى مثلى

وقال آخر

وهون وجدى عن خليلى أننى * اذا شئت لاقيت الذى أنا صاحبه

وقال

وما يؤدينى الى الصبر والعزا * تردد ذكرى فى عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عنك لما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

وقال

فقدت أرضنا هناك نبيا * كان يغدو به السنيات زكيا
خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا
وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا
حازما عازما حليما كريما * عائذا بالنوال برا تقيا
ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان جليا
فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان بن الحارث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرن العيش لي * فالعيش بعدهم حرام
اني رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

تسائلت الندى والجود ما لي أراكما * تبدّلتما عزاً بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدّما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متّما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزّى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال آخر

ولا أرتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتّقي للدهر بعدك من خطب

وفي المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسي المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا أن أروعا
فما أتّقي للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجي للعيش بعدك مربعا

ورثى أشجع السلمي عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا له فيه مادح
وما كنت أدري ما فواضل كفّه * على الناس حتى غيّبته الصفائح
وأصبح في لحد من الأرض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض * فحسبك مني ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وإن جلّ جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني * أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الأحنف

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فإن ينقطع منك الرجاء فإنه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقال آخر يرثي صديقه

خليليّ ما أزداد إلا صبابة * إليك وما تزداد إلا تنائيا
خليليّ لو نفس فدت نفس ميّت * فديتك مسرورا بنفسي وماليا
وقد كنت أرجو أن تعيش وإنّما * فحال رجاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك إنّما * عليك من الأقدار كان حذاريا

أخذها بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتي * يبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وقال آخر يرثي أولاده

وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد في شطري

ألا ليت أمي لم تلدني وليتني * سبقتك اذ كنا الى غاية نجري

وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخنساء اخبريني بأفضل بيت قلتيه في أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

ولأبي المحاسن الشواء في صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنسه وبنو الملوك أمامه * يدمون للأسف الأكف عضاضا

والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

وقال آخر

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا

وليس نسيم المسك رياحنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بأبي وأمي وجهك المقبور

وأرى دیارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور

فالناس كلهم لفقدك واجد * في كل بيت رنة وزفير

عجبا لأربع أذرع في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفي ولده في يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم في عيدهم * ولبست حزنا بأبي الحسين جديدا

أيسرني عيد ولم أر وجهه * فيه الا بعدا لذلك عيدا

فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا

من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤن مودة وعهودا

مت مع حبيبك ان قدرت والا فتى * من بعده ذا لوعة مكمودا

ما أم خشف قد ملا أحشاها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا

ان نام لم تهجع وطافت حوله * فتبيت تكلؤه بها مرصودا

مني بأوجع اذ رأيت نوائحا * لأبي الحسين وقد لطمن خدودا

ولقد عدمت أبا الحسين جلادة * لما رأيت جمالك المفقودا

كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا

ولئن بقيت وقد هلكت فانني * أجلا وان لم أحصه محدودا
لا موت لي الا اذا الأجل انقضى * فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزني عليك بقدر حبك لا أرى * يوما تقضّى هذا وذا لامزيدا
ما هدّركني بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالأسى مهدودا
يا ليت انى لم أكن لك والدا * وكذاك انك لم تكن مولودا
فلقد شفيت وربما شقي الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا بالخلا بدموعه * فعليك جفني لم يزل محمودا
فلأنظمن مراثيا مشهورة * تنسي الأنام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولدا له أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسماعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لأعلم ما لاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقالت الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذي الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
ليبكي كل ذي علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهي عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصفدي

يا غائبا في الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كاس الموت واحدة * في كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابنا له

أضحت بخدّي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمرو بن سعيد يرثي بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

وله يرثي الامير يلبغا

الا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي الا لمن بات وائقا * بأيام دهرنا وعى حق يلبغا

وقال آخر

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثى صديقاً له توفى وكان من الكرماء

ما ذرى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب فى ابن مقلة

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام

فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الأقلام

وقال الحسين بن مطير الأسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عاش فى معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا

ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال آخر

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

وقالت ريطة بنت عاصم

وقفت فأبكتنى ديار عشيرتى * على رزئهن الباكيات الحواسر

غدوا كسيوف الهند وراد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر

فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر

ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع آخر الى عمه ادريس ومحمد وكانا فى حبسه وكان أبوه قائما يصلى فقال له محمد أوجز فأوجز فلما أتاه وضع الرأس فى حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم والله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى فى حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشد يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الأمور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك فالا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيئا الا رأيته يقصر عنه والله أعلم

بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

• (الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا واحوالها وتقلبها باهلها والزهد فيها) •

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وانت ايها الانسان تعلم انك ما اوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع ايها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عباس لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما اوتى سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام اكفر وهذا افضل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع اهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدى واتى الى واد من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا واصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد اثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وانت رسول الله وقد اثر الشريط بجنبك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما اهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما اربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه اربع خصال ركون الى الدنيا وهم غد وحسد اخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى يا على اربع خصال من الشقا،

جمود العين وقسوة القلب وبعد الأمل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض أنه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض وأشكالا بغير وفاق
تجئ وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما أنعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتم * أن المفرط فى التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة * حيث المخدوم واحد والخادم

وقال آخر

عجبا لمن أضحى يروم تراب * وتعول الرزايا فى هذا فلات
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الأصحاب والخلان

وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فيا عجبى يا نفس مما تريته * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن أسد

يا من تملك ملكا لا بقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا

هل

هل الحياة بهذى الدنيا وان مدّ • الا كطيف خيال فى الكرى زارا

وقال بعضهم

وغاية هذى الدار لذة ساعة • ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الأمن والعز والتقى • ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها • وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن • بأنك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الأبطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اعتزوا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الأعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الأحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والأصفياء ونسيهم الأقرباء والبعداء لو نطقوا لأنشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس • وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم أكن لهم حبيبا • ولا كانوا الاحبة فى السواد
فموجوا بالسلام فان أبيتم • فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا الا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم • فتبسمت عجبا ولم تبدى

حتى مررت على الكنيف فقال لى • أموالهم ونوالهم عندى

وقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى أن أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا كتاب

لا ترجع الأنفس عن غيها • ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبى نواس قاله للخليفة هارون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتغضبها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد فى الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلعت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فأقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا الخادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت أن البستان لخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناطورنا اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاءوا الى البستان

فلما

فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين فبينما هو يوما يجرى من كرم اذ مر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله يا سيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى وروى أن داود عليه السلام بينما هو يسيح فى الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله انا جياع فأوحى الله تعالى اليه أن ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فباذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبى الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال أرسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الأمانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس ابن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعنى واياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك أن تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان لى لازم أنس الى فحمل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير

وعهدة بورد نثير فقعل فانى لنائم اذ انقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته
ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد لخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة
فهزني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خدل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما تراني ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وأنه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه لصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعا اليمن وكان
من الملوك الأجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربي فاذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة
جميلة وهي هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم * فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سالهم * تلك الوجوه عليها الدود ينتقل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

وروى أن عيسى عليه السلام كان معه صاحب في بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد
انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية
وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة
فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه السلام
رآه حين جاء ورأى الأرغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين
الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى أتيا
على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى
بالذي أراك هذه الآية من اكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما
حتى جاء قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة
فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه
الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى انتهيا الى
نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوزا النهر فقال له

الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قرب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونوا ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه من يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وبقى اثنان منهما الثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سبا بن نواس خدمت عيص بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرب الأكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الأجلاف الجفاة يستنزلونى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون أنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدلنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعظمهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الأموال ما لم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع أن أفتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات أن عيسى عليه السلام بينما هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوب على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الأبيات.

هذى منازل أقوام عهدتهم ⁕ يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها ⁕ ترنم المجد بين الجود والكرم

وقال فى المعنى

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان عامر بالملذات والطرب
نادى غراب المنايا في جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

وفيه

أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكى) أن رجلين تنازعا في أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الأرض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذني خزاف وعملني اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذني ضراب وعملني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان في هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فأصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شيء رآه في الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شيء رأيته أني مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التي ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا أنه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يتصيدون فيها السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والأسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا أعاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها اليها ولبعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

أيها الربع الذى قد دثرا * كان عيناثم أضحى أثرا
أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعونى عبرا

وقال عيسى عليه السلام أوحى الله الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مرى على أوليائى ولا تحلى لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفى أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفى أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح فى منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضئ قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذى يضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان فى ظل الأراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوب على قصر باد أهله

هذى منازل أقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وروى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا الا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله أعلم

الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه

لم يبق شيء في السموات والأرض إلا صلى عليه (الحديث الثاني) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام (الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك ما دام يصلي على نبيك (الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى علي مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى علي ألفا لم يعذبه الله بالنار (الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات (الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهي أن الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له إن كان قائما قبل أن يقعد وإن كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا (الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة (الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة (الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية (الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة حاجة (الحديث الحادي عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني مجلسا أكثركم علي صلاة (الحديث الثاني عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ألف مرة بشر بالجنة قبل موته (الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد إلا ويصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة (الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة علي لا يرد (الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة علي نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي علي (الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة علي قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة (الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة (الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون إلا الصلاة علي وعلى أهل بيتي (الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة علي ردت عليه ولم تقبل منه (الحديث

العشرون

العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة (الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما لم يندرس اسمي من ذلك الكتاب (الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني الصلاة على من أمتي فأستغفر لهم (الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل علي فأنا بريء منه (الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذلك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا علي (الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه الى الميزان فأضع له شيأ كالأنملة مني في ميزانه وهو الصلاة علي فترجح ميزانه وينادى سعد فلان (الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصلوا علي فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه (الحديث السابع والعشرون) قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلي علي أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يا رسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك (الحديث الثامن والعشرون) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح (الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم (الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله نبيه فأمره أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (الحديث الحادي والثلاثون) عن عائشة رضي الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود (الحديث الثاني والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (الحديث الثالث والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم واسألوا الله لي الوسيلة (الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم (الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله

منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على
(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه
(الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم (الحديث الثامن
والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد
يصلي علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه (الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة (الحديث الاربعون)
نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علي
فانه من صلى علي في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه
ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطي أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان
ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين
الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا
كبيرا فهذا الخطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الأنبياء ولا
رسولا بالرسالة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر
يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا
ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله
يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي
اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا
في أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكره هناك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الأول
قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها أن الشيطان
صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي
لقال الأعداء ليس هو محمد فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد الثاني قوله عز
وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا
بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لقال الأعداء ليس هو فعرفه باسمه
محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه

أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الأعداء من يقول من هو رسوله الذي أرسل فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد وله حكمة وهي أن الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بني اسرائيل يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فما ناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لأهل التجحيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لأهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا لمن اتبعك ونذيرا لمن ارتكب ما نهاك وقيل شاهدا بالملة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أي يدعو الناس بأمره تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعي الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أي يهتدى به كما يهتدى بالسراج في ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذي يقتبس منه لأن القمر لا تصل اليه الأيدي حتى يقتبسون منه والسراج اذا كان في بلد يملأ ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو طالب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق يكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته ولحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن سبيله ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي
عدد ما ذكره الذاكرون وغفل
عن ذكره الغافلون

وكان تمام طبع هذا الكتاب * الجامع من متفرقات الفضل ما تحلت به اولوا الالباب
بمطبعة الحجر الفاخرة * الكائنة بمحروسة مصر القاهرة * على ذمة ملتزمه
الساعي في تكثيره وتعميم نفعه * المعتمد على مولاه الحنان المنان * حضرة
علي اغا الترجمان * حفظه الله * بمناظرة وتصحيح العمدة الفاضل الكامل الشيخ
شاكر النابلسي عفي عنه لثمانية خلت
من شهر القعدة المعظم سنة ١٢٧٥ ه
خمس وسبعين ومائتين بعد
الالف من هجرته عليه السلام
على يد الفقير الى مولاه
الغني محمود حسن الشهير
بعنتر غفر الله له
ولمن
امين

